

محدث الشهر

مؤلفه (أنا الشعب) محمد فريد أبو حديد

يقدمه : محمد عبد الحليم عبد الله



للقائي معه ذكريات ترجع الى أكثر من عشرين عاما . هبت على في ذلك اليوم وأنا أجتاز الباب العتيق الضخم في حي عابدين .
وفي الممر الضيق الذي سرت فيه لألقى مؤلف قصة «أنا الشعب» كان هناك ورق مكس مثل بالات الفطن ... مثل عقول أطفال وادوا ولم ينطقوا بعد . ومن المؤكد أن هذا الورق أعد لكي ينطق بالحكمة .

وخفضت رأسي أنظر الى الأرض .. خيل الى أن البلاط لم يتغير وكذلك خشب السقف . وأزيز المطبعة يأتي من الجانب الأيمن بين أوامر ودندنة غناء . وحوض لغسيل الأيدي ركب في الطرقة عليه ألوان الماد .

(لجنة التأليف والترجمة والنشر) التي دخلتها منذ أكثر من عشرين عاما خائفا متلفتا ... لم تتغير أرضها ولا سماؤها . فهل أماكن «العلم والثقافة» أقدر على الاحتفاظ بالبقاء من أماكن اللهو والتسلية ؟ وفلت في نفسي وأنا أداولها هذا المعنى : « ولعل أهل العلم والثقافة أطول عمرا من غيرهم » ...

وسرني هذا خاطر سواء كان أملا أم حقيقة . سرني أن أصعد السام الذي صعدته ذات يوم خافق القلب لأقابل طه حسين وأحمد أمين وفريد أبو حديد وغيرهم والسلام متآكل الدرجات من أقدام المفكرين .

ووجدتني أبتسم ... في الهواء ... حينما طالعني البهو القديم في نهاية السلم بالحجرات والدهاليز والسقف المرتفع . لو أن المباني تبوح بأسرارها وتخرج عن صمتها لقال هذا المكان أشياء كثيرة . منها ما يتعاقب بالثقافة ومنها ما يتعاقب بالسياسة . فقد كان منذ زمن بعيد مقرا لجريدة (العلم) لسان حال الحزب الوطني ودخلته وأنا في الخامسة عشرة لأقابل ابن عمي المحرر في هذه الجريدة ... وهكذا صعدت السلم بأعيا . من الذكريات . لذيذة ثقيلة مفرحة كحزمة الكتب المدرسية التي كنا نعود بها الى بيوتنا أول يوم في افتتاح الدراسة ...

وهناك عبر البهو رأيت موظفين جللهم الشيب ... رأيتهم شبابا وغبت عنهم ثم رأيتهم شيوخا . كانوا يمرحون عبر باب مفتوح وهم يعملون . لقد شاخوا وهم لا يشعرون . ومراة البيت عظيمة النفاق ... تكذب علينا كل يوم بضع مرات .

مالى استطردت ... اننى اريد فريد ابو حديد . وبنفس هذه الجملة نطق
السانى لرجل لعله كان ينتظر مقدمى . ودخلت حجرة فسيحة فيها ما لا يقل عن
عشرين كرسيًا من طراز «الفوتى» لعلها معدة لاجتماع اللجان الثقافية . وهناك فى
الركن الايمن فى اقصى الحجرة جلس الاديب الذى ذهبت اليه . مثل دأبه تهاها...
السيجارة الرفيعة جدا فى يده ترسل شريطًا من الدخان وعلى وجهه وداعة ندية .
وداعة من فرغ فورًا من قراءة كتاب أحبه ومن هو قادر على التخلص من همومه
اليومية قبل أن يأتى الى الفراش آخر كل يوم .

— اهلا عبد الخليم .

وسارعت بالجلوس الى جواره . وخلفه نافذة تطل على شارع الكرداسى .
وبينما كان يطلب القهوة كنت أحدثه فى سرور حقيقى عن نشأتى فى هذا الحى .
انه يحمل بعض ذكريات « قصة شجرة اللبلاب » فى تلمذتى ووحدتى . وابتسم
مستغربا ... ونظرت اليه . لم أقل له ذات يوم : « اننى أتمنى ان تقدم بى العمر
ان أحمل مثل وجهك وأنا فى سنك » لم أر على وجهه طوال عشر سنوات ترجمة
للتعبير الذى قاله بعض الادباء : « ان الشيخوخة انتظار مهل » فرحة يوم العيد
تظهر فى عينيه عندما يتبسم . ولذلك دفعنى الفضول أن أعرف شيئًا عن نشأته
وهو صبى . قلت له :

— انك دون بقية كتاب جيلك لا تعرف شيئًا عن أيام طفولتك فهل سبب ذلك
انك لا تريد .

عند ذلك ضحك بكل ملامحه . بعينيه القويتين ووجهه الحالى من التجاعيد
ومنحته بشاشة الضحكة محة تشبه الشباب وأطلقًا سيجارته وأجاب :

— وماذا عن طفولتى ؟ ! ... ليس فيها شيء غريب .
قلت :

— ليس الغريب أحداثًا كبيرة . ربما كان الغريب فى حياة الاديب حدثًا عاديًا
جدا عند معظم الناس . مثل وفاة الاب او الام ... او ارتحال احدهما بلا وفاة .
فما رأيكم ؟ ...

عند ذلك رايت طلائع الذكريات تبدو على وجهه . فأجاب بصوته الهادى،
واشاراته الرزينة :

— كانت نشأتى الاولى فى دمنهور ...

— دمنهور ؟ ! ... انها بلدى .

— عجيب ... كان عمى رئيس نيابة هناك . وابى مزارعا فى بلدة «المسين» .

وكان فريد ابو حديد يتناول رشفة من القهوة وهو لا يعلم اين ذهبت انا بعد
ان نطق باسم قرية «المسين» ...

كنت أرى شريطين سينمائيين فى وقت واحد أهمهما بطله فريد ابو حديد وهو
فوق العاشرة من العمر يجرى فى الارض التى استأجرها أبوه الفلاح هناك وعاش
فيها يكافح الجذب والطبيعة . بينما عين الاديب ابنه الذى لم يشب بعد عن الطوق

تربط العلاقات الإنسانية المعقدة بين الناس ويلعب مع عبد القوي العربي «قوية» و «تعويضه» العربية وربما ظللتها قليلا ... في الصباح الباكر أو بعد الغروب التلاز الطبيعية التي كانت تقوم في هذه المنطقة . ونشأت علاقة ما من الحب .. وتقديس عظيم للوالد الذي اعتبره الاديب نموذجا للصراع .

كان كاتب قصة (أنا الشعب) يصف لى حبه لأبيه والارض المترامية الاطراف في هذه المنطقة التي هاجر والده اليها فتدخلت في هذه الوهلة ذكريات شخصية لى ... لأسرة قريبة ... هاجرت الى « المسين » وأنا صغير . كان قلبي يخفق عندما ذكرت دار اقربائى التي ظللها الصمت وكان قلب فريد أبو حديد يفعل نفس الشيء بلا شك . وبينما هو يذكر (تعويضه) بطله قصة «أزهار الشوك» على أرض « المسين » ذكرت بنية خرجت من قريتنا الى هذه الارض التي أكلت بجوع شديد جهد والده وجهد قريبي ... أطعموها هم بدل أن تطعمهم هي ... قضية معكوسة !!

ولذلك أحب فريد أبو حديد بسطاء الناس في قصصه وكان صديقا لهم . واسترسلنا في الذكريات معا . هو يتكلم وأنا صامت ... اكتب ... فعرفت ان لهذه الحساسية التي يفلقها الهدوء أصلا من الطبيعة . واحدانا منذ الصغر . وعرفت موطن قصته (أزهار الشوك) ثم رأيت ان أهم ما يسأل عنه فريد أبو حديد هو انقصص التاريخي فسالته :

- هل من الممكن أن نعرف بعض ذكريات عن قصة « أنا الشعب » كما هي العادة التي درجت عليها مجلة القصص ؟

وابتسم واشعل عود نقاب نظر اليه طويلا ... كان يتكلم ... لا يريد أن يضع السيجارة الرفيعة جدا في فمه ويشعلها فينتقطع جبل الكلام . وكاد اللهب أن يأكل العود كله فأشعل السيجارة .
كان يقول :

- أبوه ... أنا الشعب ... نعم يا سيدي ... كلنا الشعب . تعرف يا عبد الحليم ... اننى أحب هذه القصة .
قلت :

- انها أحد ابنائك فهذا شيء طبيعي . لكنه أشار الى بهدوئه بما يفيد انه سينتكم فسمعت :

- ليس هذا فقط بل لاسباب كثيرة منها اننى كتبتها قبل الثورة في سنة ١٩٥١ على التحديد ثم نشرت هذه الرواية في ظل الثورة وقراها الناس . فأحسست اننى شاركت في حركة «الضمير» العامة . وضعت حجرا في البناء الذي كنا نحلم بأن يوجد . التفاف الشعب حول زعيم ...
قلت :

ان هذه القصة فيها مواقف سياسية تدل على العزة ... فموقف « سيد

زهير» موقف شاب شديد الحساسية . يثور جدا عندما يشعر من قريب أو بعيد أن كرامته على وشك أن تلمس .

— وأظن أن الموقف المتفجر بين «سيد زهير» وبين «أحمد جلال» له أصل في تجربتك العادية . أنها ثورة صاحب الكرامة حين يشعره الفنى أنه هو الأدنى فهل من الممكن أن تكونوا أنتم «سيد زهير» في قصتكم «أنا الشعب» ؟

ودخل علينا في هذه اللحظة — بلا استئذان — وجه شعبى يعمل في لجنة التأليف والترجمة والنشر . وتنحج قبل أن يطلب من فريد أبو حديد شيئا أجابه إليه . فنظر كلانا الى الآخر وتبسم .

ثم قال فريد أبو حديد :

— نعم ... ربما ... نعم ... كما قلت . لعلى «سيد زهير» .

واطرقت أذكري ما قرأت من قصص تاريخي . عن القرون الوسطى والعصور الحديثة والثورات ... في الأدب الاجنبى والأدب العربى . وكان صوت أحد عمال المطابع في أسفل الدار يتناهى إلينا هينا لا يزعج . وكما ملأت أنفى ذكريات عن الذين قابلتهم في هذا المكان من سنوات وسنوات فى «ياقات منشأة وعصى وطرابيش» ماذت أنفى روائج التاريخ ... فى أماكن شتى من الدنيا ... ليس التاريخ الخام مثل الحديد الخارج من المنجم ... لكن هو التاريخ المصنوع الذى شكله الفنانون فجعلوا الزمن «أطارا» والناس فى قلب «الصورة» وعلقوا كل هذا على «جدار» حديث ... شممت رائحة «قصة مدينتين» لديكنز . و «الحرب والسلام» لتولستوى «والاحمر والاسود» لستندال . و «عذراء قرش» لجورجى زيدان و «على باب زويلة» لسعيد العريان و «رد قلبى» ليوسف السباعى و «وا إسلاماه» لعلى باكثير و «قلعة الابطال» لسلحار .. وقصصا أخرى ... ثم اذكرها على الترتيب بل اندفقت على كفتحة الشلال فيها روائج الأزمنة والأوان الناس والإماكن ونبات الأرض ...

لم أجدرنى أذكر أحد كتب التاريخ التى قرأتها مطلقا . ولم تغد على رأسى صورة ولا حفظ قلبى عبارة . فكانما الذاكرة الحقيقية للتاريخ انما هى فى (قصصه) وحدها ... نعم ... لذلك كنت أريد أن أتحدث مع أحد كتابنا المشهورين ... وبكتابة القصص التاريخية — عن موقفه ومدى تصوره للقصة التاريخية . فوجهت السؤال التالى لأؤلف قصة «أنا الشعب» :

— أنتم فى القصة التاريخية تمثلون تطورا جديدا بعد جورجى زيدان . فهل من الممكن أن تحدثنا عن وظيفة القصة التاريخية ومدى تطورها ؟

— كل قصة تعالج موضوعا حيويا . وهى فى ذلك اما أن تلجأ الى الحاضر فتأخذ منه مادتها واما أن تعود الى الماضى فتفعل نفس الشئ لكن نعم !!

— لكن ... ماذا تظن ! أى المادتين خير للقصة ؟ تلك التى نأخذها من الحوادث الجارية أو تلك التى نأخذها من التاريخ ؟ ما رأيك ؟

— فى انتظار رأيكم .

— نعم . يجب أن نعلم أنه لا فرق — من ناحية جدة الموضوع فقط — بين الحادثة الجارية والحادثة التاريخية لأن اختيار الحادثة التاريخية يجب أن يؤكد تصوير الكاتب علاقة ذلك بالفترة الحديثة التى كتب فيها روايته التاريخية والا كانت جثة محنطة .

ان الرواية التاريخية ليست كأننا حيّا مات وأعيدت اليه الحياة . . . لا مطلقا . ان القصة التاريخية كائن حي ولد حديثا له شهادة ميلاد تحمل تاريخ العام واليوم . والفرق بين القصة التاريخية والقصة العصرية هو فى شيء واحد . . . هو فى اختلاف الزى . فنحن لا يجوز لنا أن نلبس « يوليوس قيصر » على المسرح مثلا بذلة أو جلبابا والا انهيار كل شيء . لكن يجب أن تكون مشاكل قصة « يوليوس قيصر » هى مشاكل عصرنا فى صورة ما . . .

وسكنت فريد أبو حديد كأنه يتذكر شيئا . وحملق بعينيه الصافيتين فى السقف العالى فقلت له :

— زدنا . . .

فقال وهو يضغط كفا بكف :

— هناك مزية جديدة للحادثة التى تؤخذ من التاريخ . هذه المزية هى أن المصائر تقررت والحيوات انتهت والعظائم وقعت والجزاء الطبيعى والحكم التاريخى قد استقر . عندئذ يمكن للفنان أن يجد أرضا مهيبة لأن التاريخ قد وضع البداية والنهاية لكل قصة تاريخية . فعلى الكاتب أن يجوس فى تلفظ وتلصص وعمق خلال العرقات البشرية فى التاريخ . هل رأيت السائح الذى يحمل الكاميرا فى المعابد والمتاحف ويمشى على أطراف أصابعه كأنه يخاف أن يوقظ أحدا ؟ . . . ستقول نعم . . . الكاتب القصصى التاريخى لابد أن يفعل ذلك . لأن كل سائح يأخذ لقطة جديدة تذكارية لمعبد الكرنك أو هرم خوفو أو وجه أبو الهول . ولو كان العمل خاليا من الجديد لاكتفى « بكارت البوستال » التذكارى لكل أثر من هذه الآثار .

قلت :

— كارت البوستال . . . هو التاريخ . . . ولقطة الكاميرا بيد السائح . . . هى القصة التاريخية . . . ممكن ؟ !

— ممكن . وأريد أن أزيد فأقول ان « عنتره بن شداد » لقطة تاريخية . . . مثلا . . . تحرير فيها أن أبين الفرق بينه وبين أخيه (شيبوب) فعنتره يملك نفس الأحرار وأخوه يملك نفس العبيد . عنتره حر طلب الحرية عن طريق فعل الأحرار . . . فى الحب والترفع والشجاعة والعفة :

« يخبرك من شهد الواقعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم »

لذلك كان عنتره بين بنى عبس فى مكان مرموق وأحبته عبلة حبا لا زيادة عليه .

أما أخوه فكان خوانا غشاشا ناقما على الناس لأنه يحمل نفس العبيد .

وهكذا كان يفعل « وولتر سكوت » الكاتب الانجليزى عندما كان يسترعى نظره أى حادث فى زوايا التاريخ .

قلت لفريد أبو حديد :
- لقد جعلتني أحب التاريخ .
فقال :

- انه صورة لحب الحاضر . فالיום وليد الأمس ونحن من سلالة ناس (في التاريخ) لا نكاد نعرف أسماءهم بعد الجلد الثالث ...
وضحك . فألقيت السؤال التالي :

- هل كان من الضرورة التاريخية أن يسبق جيل « الموسوعيين » عندنا جيل المتخصصين أو أن ذلك لم يكن ضروريا ؟

- إن ذلك ضروري . وأنا اعتبر العقاد ممثلا صادقا لجيل « الموسوعيين » .
وفي انجنترا مثلا حدث مثل ذلك فدكتور « جونسون » أديب موسوعي قرأ كل المعارف حتى القرن السابع عشر . و « هازلت » أديب موسوعي من أدباء القرن السابع عشر . و « جون استيوارت مل » عالم اقتصاد وأديب .

غير أنني أحب أن أنبه إلى أن التخصص (إذا كنت تقصد به المدرسة الأدبية) يجب أن يطلق على العصر لا على مؤلف واحد . فنقول : هذا العصر تغلب عليه الرومانسية أو الواقعية أو غير ذلك . فعصر شكسبير مثلا كان عصر رومانسية لكنه كان رومانسيا كلاسيكيا في وقت واحد ولقد عبر فيه شكسبير عن القديم تعبيرا جديدا في مسرحياته التاريخية كلها ...
ثم قلت لمؤلف قصة « أنا الشعب » :

- لمحة عن المدارس الأدبية في بداية نهضتنا الفكرية ، وما الفرق بينها وبين المدارس الأدبية عندنا اليوم ؟

الصراع بين المدارس الأدبية في بداية النهضة كان بين المتحررين والمقيدين . كان بين عقول يمثل طرفا منها قاسم أمين صاحب الدعوة المشهورة في تحرير المرأة وبين عقول يمثل طرفا منها مثلا الشيخ علي يوسف صاحب جريدة « المؤيد » . ومن الممكن أن نسمي هذا صراعا فكريا .

وكان هناك صراع من نوع آخر يقوم حول التجديد في لغة الكتابة . كان المنفلوطي في هذا النزاع يمثل الطرف المتحرر أي الجديد وكان الرافعي في هذا النزاع يمثل الطرف الآخر . فالمنفلوطي كان (حديث) التعبير والرافعي كان (عباسي) التعبير فانت ترى أن الصراع كان قائما حول (التعبير والتفكير) في وقت واحد .

وكانت هناك - في هذه الفترة - « عموم وطنية » ... هموم حقيقية . كان الاستعمار الانجليزي لمصر في أعلى صورة من صور الضراوة وكانت الامكانيات الفكرية موزعة بين الوطنية والخلافة في الوقت الذي كانت تركيا فيه عاجزة عن فعل شيء حتى لنفسها .

والمدارس الأدبية اليوم تتخذ أسماء وشعارات عندنا . وهي طبعا وافدة علينا . لكنني أخذ على بعض كتابها تركيزهم على أسماء ما عندنا موضوعا وصورة باسم الواقعية .

أما هموم هذا العصر عندنا ... وربما في العالم أجمع ... فهي « القلق »
فنحن مثلا قد قضينا على الاستعمار ونحن نبني حياتنا الاقتصادية في جد ودأب
لكن عدوى القلق التي سادت العالم تنتقل الى كل النفوس وهي طبعا غير خاضعة
لنظام « الحجر الصحي » والا أمكننا التغلب عليها ومنعها دخول وطننا .
ثم قلت لفريد أبو حديد :

— بصفتكم مشرفا على مجلة الثقافة وأحد الذين أسسوا لجنة التأليف والترجمة
والنشر وبخبرتكم الشخصية في مجال الكتاب العربي — فهل ترون أن هناك مجالا
للتنافس بين القاهرة وبيروت حول موضوعية الكتاب ونشره . وهل تتنبأكم المخاوف
التي انتابت طه حسين من قبل ؟

— تريدني أن أتكلم عن مشكلة الكتاب العربي ؟ ... حسين ... اذا نظرنا الى
« المدى المحدود » ... اذا كانت نظرتنا وقتية فانه من الممكن أن يكون هناك محل
للقلق لسبب التنافس بين مكان ومكان في البلاد العربية . أما اذا نظرنا نظرة
أبعد ... نظرة طويلة المدى فانه — في رأيي — لا داعي للقلق . وذلك لسببين :

أولهما : أن التنافس بطبيعته احدى وسائل الرقي والاجادة والابتكار .
وثانيهما : أن مصر كقطعة من الوطن العربي لها ملامحها الخاصة الثابتة .
شعبها له اتجاه وفكر وتقاليد وشخصية من الممكن أن تشم غيرها في حارات
المدن وحقول الريف ومناذره ودواويره وفوق مصاطبه وتحت ظلال أشجاره هذه
الشخصية هي التي هزمت كل ارادة مسلحة أو متسللة بكل مستعمر أو غاز لمصر
منذ عهد الهكسوس حتى الانجليز . والترك ... وهم مسلحون لم يستطيعوا
« تترك » أهل مصر وهم من دين واحد . والسبب في ذلك هو الشخصية المنفردة .

والكتاب صوره طبيعية لشعبه في موضوعه وشكله . وما دامت الطبيعة
المتميزة للعربي المصري بارزة قادرة فان طبيعة الكتاب العربي المصري من حيث
موضوعه ستظل قادرة بارزة كذلك .

ويبقى بعد ذلك مسألة شكل الكتاب ... منظره ... وهذا في رأيي يخضع
لعوامل اقتصادية فكلما زاد رخاؤنا كلما حسنت ملابسنا جميعا ... حتى غلاف
الكتاب ... وهذه مسألة جزئية .

يجب أن نتذكر أن التأليف هو خلاصة الثمرات والازهار العقلية والوجدانية
وما دمتنا كقطعة من الوطن العربي لنا ثمار خاصة وازهار خاصة فلا بد أن يكون
تأليفنا صورة لكل هذا .

أما توزيع الكتاب وترويجه فهذه قضية متعلقة بالتجارة والعملية والدولة
أحرص من المؤلف نفسه على فتح الطريق للكتاب العربي المصري لا شك في ذلك .

وودت لو أنني وجهت اليه أسئلة أخرى . لكنني خشيت أن يكون خلف هذه
الوداعة شيء من الضجر . وكان الموظفون في الدار يمرون أمام الباب المفتوح على
الردهة آخذين طريقهم الى السلم . هؤلاء الذين رأيتهم في هذا المكان منذ عشرين
عاما يرتدون الطرابيش مروا أمام الباب ورءوسهم غارية لا يغطيها الا الشيب .

وخيل الى أن دار لجنة التأليف بدأت تتلفع بسكون هادئ • كأن الليل - مثلاً -
قد نزل • مع أننا فى النهار •

وتوقف الأزيز الذى كان يتناهى اليئنا حيناً ونحن فى الحجرة الواسعة
وبدأت مطانة السجائر تزدحم بالأعقاب الرفيعة المتخلعة عن تدخين الأديب • وعند
ذلك ••• بدا لى أن أستاذنا • قال لى الأديب الكبير :

- الى أين ؟ •

- الى بيتى •

- فلتنزل معا •

وقطعنا فضاء الحجرة الى الباب وهبطنا السلم الذى تأكل من أقدام المفكرين •
وعندما وصلنا الى الدهاليز الأرضية التى تملؤها بالات الورق مرصوفة حتى السقف
كعقول أطفال ولدت وسوف تنطق بالحكمة - قلت للأستاذ :

- ما أروع هذا المنظر •

فضحك بركة سائلاً :

- وماذا يعجبك فى هذا الزحام ؟ ألا ترى أنه (يسد الطريق) ؟ •

- أبداً ••• بالعكس ••• أن هذا الورق (يفتح الطريق) يا سيدى •

كان صوت المطابع ساكناً والعمال يأكلون • وبادلهم التحية فريد أبو حديد
مثل أب حنون ثم خرجنا من الباب العتيق الى شارع الكرداسى •

كانت روائح حى عابدين التى عشت فيه أنا أول لحظات حياتى بعد نقلتى
الى القاهرة من الريف - كانت تملأ أنفى وقلبى ومشاعرى ••• عت ابن أربعة
عشر عاماً ••• عادت الى ذكريات حية كأنها فصل محكم من قصة تاريخية ••

وكننت الى جانب مؤلف « أنا الشعب » فى سياوته ونحن نهر على مقربة من
حدود « ميدان الجمهورية » الذى كنت اجتازه أول دخولى القاهرة وأنا فى طريقى الى
المدرسة ريفياً قليل التجربة وكان هذا الميدان أيامها يحمل اسماً آخر ••• وكان على
أحد أبواب « القصر » فى ذلك الزمان والأوان حصانان واقفان باستمرار وعليهما
فارسان جامدان لا يتحركان ••• وكنت كلما مررت بهما أسأل نفسى فى همس
وسداجة وخوف : « ماذا ينتظر هذا الرجلان ؟ ! » •

ولما كبرت عرفت ••• عرفت انهما كانا بانتظار من يفك أسرهما فى فجر
ليلة من ليالى شهر يولييه ••

كان مؤلف قصة « أنا الشعب » صامتا ونحن على حدود ميدان الجمهورية •••
كان يفكر فى شيء ••• ربما هو ما فكرت أنا فيه أو شيء غيره • لكننى أشرت الى
الميدان الذى فرشته أشعة الشمس بحصير من الذهب وقلت له :

- كم بطلا وقف فى هذا الميدان وهتف قائلاً : « أنا الشعب » ؟ ! •

فضحك قائلاً :

- انسان فقط !!

وسكتنا نستمتع الى محرك السيارة التى كانت تتقدم الى ميدان التحرير •

خطوات على الشلال

إلى أسوان

بقلم : محمود تيمور



من رحلة بعنوان « خطوات على الشلال »
وصف فيها الكاتب سفرته الى موطن
السد العالي ، وزيارته لما هنالك من
آثار ومعالم ومنشآت .

لما دعيت الى حضور « ندوة الكتاب » فى « دار الثقافة » بمدينة « أسوان »
وثبت الى راسى على الفور حكمة لبعض هواة الترحل ، يقول فيها : « أطيب الرحلات
وأجداها هى التى يقوم بها المرء على ظهر دابة ذلول » . والحق أن الرحلة اذا توافر
لها التمهيل والتؤدة أتاحت لصاحبها أن يستجلى المشاهد فى هيئة ورفق ، ويستوعب
الحقائق فى روية واستمتاع . بيد أن هذه الحكمة على وجاعتها عسيرة التنفيذ من
نواح عدة ، فى عصرنا الحاضر ، ولاسيما فى سفرتنا هذه ، ونحن نؤدى مهمة لا تحتمل
التباطؤ والتسويق .

لا أقل اذن من اتخاذ وسيلة للسفر ، غير الوسائل السريعة الخاطفة ، وأن
« قطار الصعيد » لمطية حرية أن تبلغنا ما نريد .
انه ركوبة طيبة ، فيها راحة للمسافر بالنهار والليل ، وفيها مجال للتفرج
والتعرف والاستجلاء . فان « عربة النوم » تجمع لك فى مقصورتك كل أسباب
الطمأنينة لرحلة رغبة هائلة .

ما ان قر على ذلك عزمى حتى نمت الى علمى أن المسافة بين « القاهرة » و « أسوان »
تنطلب أربع عشرة ساعة أو تزيد فى « قطار الصعيد » ، على حين ان الطائرة تقطع هذه
المسافة كلها فى نحو ساعتين اثنتين .

ولبثت أراجع نفسى لحظات ، ثم هتفت : لا شأن لى بالقطار ، فلن أقضى يوما
وبعض يوم ، حبيسا فى « عربة نوم » دعنى أيها القطار المكسال ، لقد أصبحت
- والزمن زمن سرعة واغتنام - تثير الاشفاق والرثاء . أنت يا صاحبى على أبواب
المعاش وأما أنت يا « عربة النوم » فلا أستطيع أن استبقى نفسى هربعا بين
ذراعيك الدافئتين طوال ساعات وساعات . وأخشى ما أخشاه أن يتسرب منك الخدر
الى كيانى ، فاذا أنا أستعمري التراخى وأركن الى الخمول ان الساعات التى
أمضيها فى صحبتك مجلبة للملل ، مبعثة على الضيق ، فالراحة والرفاهة - وإن كانت

«ستعذبة - اذا طالت وامتدت عادت مكروهة لا لذة فيها ولا متعة - نحن على موعد مع العمل الجاد ، والنشاط العارم ، والطموح البعيد ... نحن فى رحلة استطلاع ، نتعرف فيها مجد ماضى غبر ، وجبروت حاضِر تتجلى فيه صلابة العزم ، وصرامة الجهد ، وعبقرية الانشاء والتعمير ... اليك عنى يا غانية الامس الدابر ، ومرحبا بك يا غادة اليوم المشرق الجديد ... اليك عنى يا «عربة النوم» ، ومرحبا بك ابنتها الطائرة ! ولعلت فى خاطرى مشاهد قديمة ، حين زرت تلك البقاع السياحية ، منذ ثلاثين عاما وثيف . لقد قطعت الرحلة من قبل فى ذهبية نيلية يجرها زورق بخارى ، وكنت يومئذ ضيف صديق كريم ، واستغرقت الرحلة خمسة عشر يوما ، ومرة قطعناها بالقطار ، فاستغرقت ليلة وبعض نهار ، وهانذا اقطعها الآن على بساط الريح فى نحو ساعتين فهل تكتب لى سفرة قادمة الى موطن القراعنة متخذة من «الصاروخ» وسيلة انتقال ، فابلغ ماربى فى دقائق معدودات ؟

سبحانك مبدع الكون ، ومودع الانسان مواهبك الغالية ... ماذا فى الغيب المحجب من اسرار وكشوف يفاجئنا بها العلم ، وتطالعنا بها الحضارة ؟ ا تكون مطية المستقبل القريب اشعة الشمس ام ضوء القمر ام طاقة الذرة ؟ كل شئ محتمل الوقوع وكل اساطير الاولين مظنة التحقيق ، وان الاحلام المفرقة فى الخيال لتصبح من الحقائق فى واقع الحياة .

دخلنا مطار القاهرة الدولى ... مبنى شامخ الذرى ، ابهاء فساح ، الواح مصورة تزين الجدران ، سلم متحرك ، مقصورات من زجاج ، اندية محدثة الطراز ، نشاط دائم يشعرك بانك فى سوق دولية عامرة . فتابعنا خطاى ، يملا جوانحي فخر واعتزاز .

واحتوتنا الطائرة المصرية الكريمة ، فما هى الا أن مضت بنا تصعد ، والبرد قارس ، والغيم ضارب ، وتحت أنظارنا رمال الصحراء كأنما هى بساط من ذهب ، وسرعان ما علت بنا الطائرة على مناط السحب فى اجواز الفضاء ، فاذا بالبساط الذهبى قد تحول الى غطاء من ذوب الفضة ، والسماء من حولنا باهرة الاشرار ، تمرح فيها أضواء الشمس . وبعد حين ظهرت الصوانى الرشيقة مرصوفة عليها ألوان الطعام ، وشغلنا بها وقتنا نصيب غداءنا الشهى ، ثم عدنا نتطلع من الطاق ، فاذا غطاء السحب الفضى من تحتنا قد تهتك وتشعث ، فترأى لنا ذهب الرمال المراق من جديد على اديم الصحراء ، ولا شئ غير الصحراء ... فيا ترى أين النيل ، وأين النخيل ، وأين نضرة الوادى الجميل ؟ لم تطل نجوى ، اذ استباننا رقاع خضر سرعان ما تلاحمت ، حتى استطالت بساطا سندسيا يشقه مسيل النهر الفياض .

ولم نلبث أن شددنا أحزمطنا على خصورنا ، فالطائرة وشبكة الهبوط فى مطار «الاقصر» ، وخرجنا اليه ، فاستقبلنا مبنى عصريا مزهوا بجدته وروثقه ، كل ما فيه يوحى باصالة ذوق ، وبراعة فن .

وعدنا بعد قليل الى الطائرة ، تستأنف مضيها بنا الى «أسوان» ، وعادت الرمال الذهبية تملأ عيوننا سهولا وكثيانا ، فالرمال فى هذه الرحلة طابعها الغلاب ، وما اقربها شبيها - لونا وغزارة - بالحمص فى موالد الاولياء الصالحين !

وتبدي النيل ، على حافته حاشيتان من خضرة زاهية ، وهو بينهما يتخايل ويتخطر ، ادلالا بقدرته على أن يحيل الأرض الموات جنة فيحاء !
وأخيرا نزلنا مطار « أسوان » . . . وهو على نحو مطار « الأقصر » في الجسده والرونق ، وخرجنا الى بابه ، فتقدم منا رجل ربة في سمرة قاتية ، على محياه بشاشة ، يرتدى جلبابا بلديا سماوى اللون ، وعرض علينا سيارته . انه سائق يملك سيارة فاخرة ، يتخذها مورد رزق ، فركبناها على بركة الله ، وانسابت بنا على طريق معبد عريض ، تتساقق بجانبه أعمدة المصابيح ، ثم رأينا مجموعات من العمارات حديثة البناء ، جميلة التنسيق ، أقيمت مساكن للعاملين بالسد . ولما تدانينا من خزان « أسوان » أخذت أعيننا منشآت كهربية جديدة ، لاستغلال القوى المائية للخران في الانارة وغير الانارة من مطالب العمران . وقد ظلت تلك القوى طوال نصف قرن أو يزيد ، منذ اقامة الخزان ، تذهب هدرا ، لا ينتفع بها فى شىء حتى عنى بها العهد الثورى الحاضر ، وبها تجدد شباب هذا الشيخ الوقور ، الخزان القديم ، وتهض بأعباء اقتصادية يواكب بها أعمال التعمير فى جد ونشاط .
وتابعنا السير . . .

وصلت أمامنا ضاحية مستحدثة ، شرعت السواعد الفتية من العمال تنشئها على طراز عصرى ، تلك هى « مدينة ناصر » التى أريد بها أن تتلقى المد العمرانى الزاحف من المدينة . وليكون لها فى القريب شأو بعيد .
وبلغنا « نيو كاتاركت » - وهو « فندق الشلال الجديد » - تحفة هندسية رائعة اشتركت فى اعدادها وتشبيدها كفايات مصرية صميمة ، فمثلت وقتا أمام هذا الصرح الرفيع ، أجتلى فنا وصناعة . وفنتت ناظرى لوحتان بارزتان على النمط الفرعونى ازدانت بهما طلعة الفندق . وطالت وقفتى أتملاهما حتى أنبهنى صوت رقيق ، هو صوت أمين الفندق المشرق على استقبال الزوار ، ينبئنى بأن الحقائق قد بلغت مستقرها ، وأن حجرتى تتأصب للقاءى .

ولم يطل مكوثى بالحجرة ، فنزلت منها الى « ندوة الكتاب » ، والليل مرخ سدوله ، والمصابيح الواجبة تبده الظلمة ، وقد عقدت الندوة فى « دار الثقافة » حيث يقام مهرجان « أسبوع الكتاب » .

دخلنا قاعة فسيحة ، بل قاعات وقاعات ، فيها تحتشد دور النشر ، يزاحم بعضها بعضا فى منافسة شريفة مجدية . كل دار تحتل ركنان عرض فيه كتوز العقول والأذهان .

ان الكاتب اليوم ليستشعر الفخر والعزة بان « الكتاب » لم يعد زخرفا كماليا كوردة تزين الصدر ، بل أصبح غذا طيبا تعنى الدولة به وتعتد ، ولا تفتأ تكفل له عوامل التنمية والاتقان .

وجزت بأركان المعرض ، كانى أزور قادة الفكر وأعلام العلم والأدب ، فى صوامعهم الانيسة ، وقد امثلت أرجاؤها بعبق زكى ينعش النفس ويمتع الروح . وانتقلنا الى قاعة المحاضرات ، ولك أن تسميها مسرحا للتمثيل ، ومناوبة للعرض السينمائى . . . قاعة اكتملت لها وسائل التحضر فى توفير الراحة للاستماع وللأداء على السواء .

والتقينا هنالك بنخبة من شباب « أسوان » المثقف ، لمسنا فيهم براعم متفتحة واعدة بمستقبل مشرق ، وجلسنا اليهم ساعة أنيسة ، متنوعة كانت فيها أسئلتهم متباينة متنوعة ، تشهد بيقظة وعي ، ولطف ملاحظة ، وشغف باستكشاف أسرار المشكلات التي تعن لخواطرمهم في قضايا الأدب والفن والاجتماع .

وكان يومنا الثاني في طوفة جامعة للمدينة ، فزرننا « فندق الشلال » القديم وهو وصنوه الجديد متصلان بحديقة جميلة متدرجة ، تبهج العين بألوان أزهارها وأشجارها ونخيلها ، وما اكتست به أرضها ، وماتناثر عليها من مقاعد وظلات . وإن هذه الحديقة لتتجدر الى مرسى الزوارق البخارية والشرابية على ضفة النيل في انتظار المتنزهين والمتنقلين من السياح .

وفي أعلى مدرج الحديقة مستشرف لطيف يقضى فيه الزوار أوقات النهار ، مستمتعين بلوح رائع ينبسط أمام العيون ، ذلك هو اللوح الذي نعتقه يد الطبيعة الفنانة ، يلوح فيه النيل الساحر وقد مد أجنحته يمنة ويسرة ، فاذا المجرى خلجان ومسارب وجزر ، واذا هو فيه صخور وجنادل ، والأشعة البيض في جيئة وذهاب ، كأنها حمامات سابحة على متن الماء ، وعن كنب جزيرة « أسوان » العتيقة تطل منها خرائب الأمس البعيد ، وفي بقعة خضراء وراها تبدو دار « البيجوم أغا خان » بيضاء ناصعة ، وخلف ذلك صحراء مترافية يرتفع على قمة فيها ضريح الزعيم الاسماعيل الكبير

هذا الموقع الفريد على روعته وفنتته لا تطول جلستك حياله ، فالوقت يمر ، وما جئنا لننطقه استدفاء بالشمس ، أو استرخاء على الارائك ، ولكننا قد علمنا التعرف والتطلع والاستخبار ، فهيا بنا الى قلب المدينة نجول .

مضينا الى رصيف النهر « الكورنيش » ، وكلما أوغلنا فيه شاهدنا كيف الصراع بين الجديد والقديم ، هي حرب طاحنة شنتها روح التطور والتجديد ، على روح التخلف والجمود ، ففي كل مكان يحل المستحدث المبتكر محل العتيق البالي ، وانها لحرب حامية الوطيس ، ولكنها صامتة لا تسمع فيها جعجعة ، بل ترى طحنا : أطلال تنداعى ، وأنقاض تتزائل ، وفي مكانها تقوم منشآت تناسى في عزة وجلال .

يسير معك رصيف النيل مسافات قاصية ، وعليه من يأسق الشجر صف معدود كأنه حرس يؤنسك على الطريق . وينتهي بك عند منطقة عامرة بمنشآت عمرانية كلها من مفاخر البناء العصري : مسجد تعلو مئذنته المربعة ، ناد للتجديف ، حوض للسباحة ، دار للثقافة ، متاجر تنافس أحدث المتاجر في الغرب - هذا الى المعاهد والمشايف ودور الضيافة . انها حقاً مجمع بنائي شامل ، أو هي وحدة عمرانية نموذجية لمدينة المستقبل المرموق .

أنت تسابقين الزمن يا مدينة العصر القديم ، ولكأنك مومياء نفضت عن عينيها سبات السنين ، ونهضت من ناووسها الحجري تطرح عنها ألقاف الماضي السحيق ، فسرت فيها حيوية الحاضر ، ودبت فيها روح العصر الجديد ، وما هي الا أن اكتمل خلقها ، متوردة الوجه ، خفاقة القلب ، فارحة الشباب .

هكذا لايقينك يا « أسوان » الفتية المتلألئة ، ولكن من ورائك « أسوان » أخرى تستتر في حياء وخفى ، هي « أسوان » القرن الماضي ، ما برحت تتخذ المنزر، وتسدل

على وجبها اللثام ، وتحيا في جو عبق بالبخور : بخور الشرق الأصيل ، يتبر نواضح
الأخيلة وغرائب الأحلام .

أضافتنا تلك المدينة الشرقية ، وقتنا ، فذرناها طولا وعرضا ، حارات وأزقة
متداخلة ، يسلمك بعضها إلى بعض ، من حيث تدري ولا تدري . فانت هنالك ملامح
فقد ابرته المغنطيسية التي يسترشد بها في معرفة وجهته ، فراحت مركبه تخوض
الوج على غير هدى ، أو كأنك عابر صحراء ضل الطريق ، فانطلق يضرب في زمال
متشابهة ، لا يبلغ بها غاية ، ولا يعرف معها من قرار . أو كأنك في تلك المتساهة
المعروفة في الإعياب الملاحى ، تبدأ من نقطة ثم تدور وتدور وتحسب آخر أنك انتهيت
إلى باب الخروج ، وإذا أنت حيث كنت ، ولكنك على الرغم من التيسر والضيعة في
مجاهل الحارات والأزقة لاتحس من وحشة ولاضيق ، بل نانس بما يحوطك من
طريف المشاهد في سوق عامرة بألف صنف وصنف ، أو مولد حافل بالمواكب
والطبول ، فتود لو طال بك السير ، وتنامت عنك آخرة المطاف .

ولاحت لنا فرجة طالعنا فيها رصيف النهر العظيم ، فقصدنا إليه نكمل جولتنا
معه ، وآثرنا أن نعود إلى الفندق راجلين . وماكدنا ندفع بخطانا حتى استرعى
نظري مايشير الغضول : مركبة خيل لها حصان فرد ، ومازال هذا الضرب من المركبات
له شأن في « أسوان » خاصة ، وأظنه بات جزءا لا يتجزأ من معالمها الأثرية الباقية
على وجه الزمان .

ورأينا حول المركبة جمعا من السياح ، هم أسرة واحدة : أب وأم وصغار ، عدد
النمل ، يتأهبون للركوب . ولكن أنى لهذا الصندوق الخشبي الأثري أن يستوعب
هؤلاء جميعا ؟ وما لبثت المعجزة أن تحققت أمام جمهرة من السابلة تكاثروا ليستمتعوا
بذلك المشهد الألباني العجيب . وكان من الطبيعي أن يتبوا الأبنان مكان الصدارة ،
تاركين لكل من غلمانهم وبناتهم أن يختار المكان الملائم له ، وفقا للقانون الغاشم :
حق الأقوى . وما نشبت المعركة حتى انتهت بسلام . وشاهدنا المركبة وقد نبشت
على جوانبها وفي انحائها براعم متحركة أوشكت أن تخفى هيكلها عن الأنظار ، ففي
كل شبر منها مخلوق غائص في مكانه ، أو متشبث به ، أو متسلق له ، حتى أن كومة
البرسيم تحت قدمي الحوذي لم تضق بغلام أو غلامين .

وراقنا المشهد الطريف ، فتعالت أصواتنا نحن الجمهور ضاحكين ، وإذا المركبة
بمن فيها تشاركنا في الضحك ، والكل يتمايل طربا ، حتى الحوذي المهشم ، إلا
مخلوقا واحدا ترفع أن يقاسمنا ذلك المرح الشامل ، وأعني به الحصان الهزيل ،
وهو مشدود إلى عريشه بأحزمة من جلد ، مغلوب على أمره ، لا يملك الفكاك . لقد
كان انسكين يقلقت حوالبه ، ليرمق الجمع الفرح المحتاج بنظرات تنطوى على صبر
واذعان . ولبثت مليا أرمق ذلك المخلوق الناعس ، وأنا أحس التوجع له . أنه مائل
في وقفة نمر عن نبل حزين ، فهو لا تختلج فيه عضلة ، ولكن تستبين على محياه
كأبة خرساء .

شد ما رقت نفسى لهذا الحيوان الأعجم ، ووددت لو تقدمت اليه أقبل غرته ،
وأناجيه بقولى :

لا تأس أياها الصديق الكريم ، فأنت فى محنتك عظيم أى عظيم • احتمل الثقل
الذى هبط عليك ، وسر به فى شهامة وإقدام • وأعلم بأن الحياة أعباء وأحمال وكلنا
من حملة الأثقال ، والبطولة تتجلى فى شجاعة الصبر وقوة الاحتمال !

وكانما بصر الحيوان بى ، وكانما فهم ما أناجيه به ، فقد بانّت فى نظرتة لمحات
شاكراً مستجيب ، واتبسّطت أساريه ، ولاحت عليه طمأنينة وهدهد ، وصاح الحوذى
المهشم بصوته المتحشرج صيحات لم يفهمها الا حصانه ، فتحرّكت المركبة ، واشتمت
الجلبة ، ورفع الحيوان رأسه ، وأحد من نظرتة ، وسار متخطراً على الطريق ، وكأنه
حصان فرعون يجر عجلته الحربية الى ساحة القتال!



مصرية الحب

قصة بلا اسلوب

بقلم : فؤاد القصاص

تقديم

حقيقة .. القصة بلا اسلوب كاتلوجة بلا ألوان .. وكالفاكهة بلا طعم .. فالاسلوب هو الذى يعطى القصة مذاقها ويشجع لها رداها .. والقصة ان خلت من الاسلوب قد تعطى المعنى والمضمون .. ولكنها تفتقر الى الجمال والرقّة والروح .. وهو لذلك - أى الاسلوب - أصعب عناصر القصة وأكثرها غنا .. ولا غنى عنه للقصة المقروءة .. فهو الذى يحمل المضمون على بساطه السحري الى ذهن القارئ، ويفتح أمام وجدانه أبواب الخيال والتأمل !

ورغم ايماني بهذه الحقيقة ، الا أن عصر السرعة الذى أخذ يفرض نفسه على الحياة والاحياء ، لم يدع للقارئ وقتا ينقعه فى تتبع التشبيهات الجميلة والجمل الموسيقية والكلمات العذبة .. فأصبح يقفز بنظراته فوق السطور ليصل بأسرع ما يستطيع الى الحدث والمضمون ..

اننى أقدم الى قارئ (القصة) هذه التجربة القصصية التى خلت من الاسلوب .. واكتفيت فيها بالاحداث تتابع .. تحمل فى النهاية مضمون القصة ..

والرأى فى هذه التجربة متروك للقراء .. وللنقاد ..

دعوة لزيارة لبنان وحضور حفل لتكريمه
يقيم له الادباء هناك ..

وكان عادل يعيش وحيدا فى القاهرة الضخمة رغم كثرة أصدقائه والمعجبين بفنه وطالما أحس بالملل والفراغ العاطفى .. مما دفعه الى تلبية الدعوة والرحيل الى بيروت .. وهو يحلم بأيام هنيئة يقضيها وسط جمال الطبيعة وبين

(عادل) أديب مصرى شاب أعزب نال شهرة واسعة فى العالم العربى بقصصه العاطفية الملتببة التى أصدرتها له احدى دور النشر فى بيروت ..

وحدث عقب نشر قصته الاخيرة التى أحدثت ضجة كبيرة فى لبنان بعد أن نفذت كمياتها الكبيرة فى ساعات ، أن تلقى من الاستاذ (مازن) ناشر كتبه

حسان لبنان اللاني طالما سسمع عن
سحرهم الكثير . أملا أن يستوحى من
وجوده هناك أحيانا تصلح لتكون نواة
لقصته الجديدة .

وقد أقام الناشر لعادل حفلة تكريم
في بيته المظل على البحر ضمت صفوة
رجال الفكر في لبنان وباقية من الجميلات
اللاني يعشقن الادب وتستهوين معرفة
ابطاله وفرنسانه .

وأحسن عادل بسام من جو الحفلة
لما فيها من الرسميات والتكلف ولكنه
كتم مشاعره حتى اذا انتهت الحفلة
صحب صديقه مازن وذهبا الى أحد
الملاهي الليلية وجلسا يحتسيان كأسا
من الخمر ويتحدثان . ولكن سرعان
ما وقعت نظرات عادل على شابة فاتنة
الوجه والقوام تجلس وحيدة وهي تدخن
وأمامها كأس من الصودا . وكان في
عينها غموض مثير جذب انتباه عادل
فسأل صديقه عنها ولكن صديقه كان
يجهل مثله كل شيء عنها . فانتهر
عادل فرصة عزف الفرقة الموسيقية لأحد
الالحن الراقصة وقام اليها يستأذنها في
الرقص ولكنها صدمته ببرود واستخفاف .

وعاد عادل الى مقعده بجوار صديقه
وهو أكثر رغبة في التحدث اليها مدفوعا
باحساس خفي لا يقاوم .

وشل يختلس اليها النظرات ويحاول
جذب اهتمامها اليه . ولكنها ظلت
تنجاهله ولا تأبه لوجوده . حتى
عزفت الفرقة لحنا من الحان التسانجر
الحزينة فرأها تتمايل مع النغمات في
نشوة فتشجع ونهض اليها رغم معارضة
مازن وعندما سألها أن تراقصه فوجيء
بها تنهض وتضع نفسها بين ذراعيه

دون كلمة وراحت تدور معه على النغم
وهي ضاردة كمن تحلم . . بينما عادل
قد انطلق يتحدثها عن نفسه وعن سبب
وجوده في بيروت . . وعن اعجابه بها . .
وهي لاتعيره سمعا ونظراتها سابحة في
سقف المكان . .

وعندما انتهت الرقصة مضى معها الى
منضدتها وهم بالجلوس ولكنها سألته
في برود وضيق عما يريد منها . . لقد
طلب أن يراقصها فرفضت معه . .
وانتهى بذلك لقاءهما !

ولكن عادل يصر على أن يعرف
اسمها . . فتخبره بأنه يستطيع أن
يناديها باسم (صفاء) ثم تنهض لتنصرف
ولكن عادل يلح في أن تعطيه موعدا للقاء
فتحاوره في ذكاء لتهرب من اجابة طلبه
. . ولكنها أمام اصراره تحذره بأسلوب
غامض قائلة انه لن يفيد من هذا اللقاء
كما يتوهم . . بل ربما يخسر الكثير! . .

ولكن غموضها يزيد من رغبة عادل
في رؤيتها مرة أخرى فتعده مكرمة
باللقاء في غروب اليوم التالي في مكان
حدوته على شاطئ البحر . .

وتنصرف (صفاء) ويعسود عادل الى
صديقه مازن فرحا سعيدا بموعد الغد
ولكن مازن يبدي قلقه وخوفه من هذا
المراة الغامضة ويحذره من مقابلتها . .
بينما عادل يؤكد له انه واهم وأن المرأة
تميل بطبيعتها الى الغموض لتثير
الرجل . . وانه أي عادل يحس بأنه
مقبل على أحداث قصة رائعة لم يكتب
مثلاها أحد من قبل ! . .

وقبل الموعد المحدد بقليل كان عادل
جالسا في المكان الذي اختارته صفاء
يحلم باللقاء وما بعد اللقاء . . رغم

ما يداخله من شك في مجيئها ..

حتى رآها تدخل المكان في هدوء وثبات
وتحييه بإيماءة من رأسها ثم تجلس
بجواره ..

ويبدأ عادل الحديث بسؤالها ان
كانت قد قرأت آخر كتبه الذي يحمل
اسم (انت لي يا حبيبى) فيبدو عليها
التجهم ولكنها سرعان ما تكتم عواطفها
وتجيبه بالاجاب ! فيسألها ان كان قد
حاز اعجابها فتجيبه في اقتضاب بانها
قد اعتادت ان تحتفظ لنفسها برأيها في
الأخرين وفي تصرفاتهم ..

ويحس عادل بالحرج .. ولكنه يفتح
موضوعا آخر للحديث عن الجو وعن
شاعرية المكان .. فيفاجأ بها تسأله في
برود عما يريد منها .. فيقول لها
بلا تردد انه معجب بها ويتمنى أن يتأذى
معها أكبر وقت يستطيعه .. ويقول في
تهكم ودهاء ان ما يريد سوف يكلفه
كثيرا .. فيؤكد لها استعدادده للتضحية
بالكثير لينال هذا الحلم ..

وامام اصراره تشتت صفاء لكي
تحقق له رغبته ألا يوجه اليها أية
أسئلة .. وان يغادر المكان الذي
سيقتضيان فيه ليلتهما قبل شروق
الشمس .. فيوافق عادل ..

تغادر صفاء وعادل المكان حيث كانت
تنتظره سيارة سوداء فخمة يستقلانها
لتمضي بهما في طريق الجبل الوعر
المتعرج .. وتظل السيارة تلف بهما
وتدور نحو ساعة من الزمان وصفاء
صامتة شاردة الفكر .. بينما عادل قد
بدأ يداخله الخسوف من نتيجة هذه
المغامرة .. فتلاحظ صفاء ذلك وتؤكد

له بأنه يستطيع التراجع والعودة الى
المدينة .. وهي تفضل ذلك لانه في
مصلحته .. ولكن عادل يؤكد لها بأن
حبه لا يعرف الهزيمة ..

تقف بهما السيارة في مكان منعزل
امام كوخ احمر صغير يحيطه سور متآكل
من الخشب غير المظلي .. وتهبط صفاء
بصحبة عادل فيفتح باب الكوخ صبي
نوبى في ملابس نظيفة .. حيث يدخلان
الى ردهة الكوخ المؤتنة بأثاث شرقي
فخم ...

وتختفي صفاء في احدى الحجرات
وتتركه مشغولا بتأمل المكان وخاصة
اللوحة الزيتية الكبيرة التى تصور قلعة
محمد على بالقاهرة تصورا دقيقا
بارعا .. ولا تمضى لحظات حتى يفاجأ
عادل بصفاء تدخل الردهة وقد ارتدت
غلالة رقيقة شفافة تكشف مفاتن جسدها
الناثر .. وقد انسدل شعرها
الكستنائى الغريز على كتفيها العاريين ..
ولأول مرة يقرأ في عينيها الشوق
اليه .. وبينما هو نائر الدم مبههور
الانفاس يسمع صوتها يدغدغ وهى
تقول ان حلمه بين يديه .. يسرع عادل
نحوها ويرفعها بين ذراعيه فتشير له
باصبعها الى الحجرة التى جاءت منها
فيندفع بها حيث يختفيان وراء الباب ..

يقضى عادل مع صفاء الليل فى متعة
جارفة لا يفيق منها الا على صوتها وهى
تنبيهه الى أن موعد رحيله قد حل ..!

ثم تترك الفراش وتزيح ستارة
النافذة وتنظر الى القمر الذى بدأ يختفى
فى الافق ليخلى مكانا لاضواء الفجر
الزاحفة ..

ويسألها عادل وهو يرتدى ملابس
متى يلتقيان ؟ فتخبره بأن علم ذلك عند
السبأ .. ولكنه يؤكد لها أنه سيلتقى
بها .. فانه قد أصبح يهيم في حبها
ولن يستطيع العيش بدونها .. وتسأله
صاخرة من أين جاء التأكيد ؟ فيخبرها
بأنه عود نفسه على أن يحقق كل
ما يريد .. وهو لهذا سيلتقى بها غدا
وبعد غد وكل ليلة .. وتجييه في
غموض كثير أنه ليس في حياتها شيء
اسمه الغد .. لأنها لا تحب أن تفكر في
شيء لا تملكه .. وإن صلتها قد انتهت
عند هذا الحد .. فيقول لها مبتسما
(سترى !)

ثم يسألها قبل أن ينصرف أن تأمر
سائقها بتوصيله بسيارتها حتى المدينة
ولكنها تمتنر بأن السيارة مع السائق
الذي يقيم في مكان يبعد كثيرا عن
الكوخ .. ويعود فيسألها حائرا من
الوسيلة التي سيعود بها الى المدينة
فتخبره بأن عليه أن يسلك طريق الجبل
الذي يوصل الى المدينة يبدأ بعد مسيرة
دقائق من الكوخ .. حيث سيجد إحدى
السيارات التي تحمله الى المدينة ..

ويودعها عادل بقبلة حارة ثم يغادر
الردهة وهي ترقبه بعطف وعلى شفتيها
ابتسامة غامضة ..

ولا يكاد يغادر الكوخ ويخرج من
باب الحديقة ويسير قليلا بمحاذاة
سورها الواطئ .. حتى يستغرقه
جمال الليل تحت ضوء القمر الغارب ..

وفجأة يسترعى انتباهه وقع اقدام
مقبلة من خلفه .. فيتلفت وراءه وإذا

به يرى رجلا ضخما الجثة مقبلا وفي يده
عصا غليظة وملاحه تنطق بالشر
والقسوة فاستدار وفي نيته أن يطلق
ساقبه للريح ولكنه قوجء بشخص
آخر يقبل نحوه من الطريق المضاد ويسد
عليه سبيل الهرب .. وأحس بالخوف
وقد أدرك من هيئة الرجلين انه معرض
للخطر .. فلم يجد امامه الا سور
الحديقة فقفز فوقه وأصبح داخلها
وأسرع الى باب الكوخ وأخذ يطرقه في
عنف وينادي (صفاء) وقد أصابه
الهلح .

ومضى وقت طويل قبل أن تفتح كوة
صغيرة في باب الكوخ وتطل منها امرأة
عجوز ذات شعر مشعث ووجه مخيف
وتسأله في حدة عما يريد فيخبرها بأنه
يريد صفاء .. فتبدو عليها الدهشة
وهي تجيبه بأنه لا يوجد في كوخها
أحد بهذا الاسم .. وعندما يؤكد لها انه
كان معها في داخل الكوخ منذ لحظات
تجيبه في ضيق بأنه مخطيء ثم تغلق في
وجه الباب في عنف ..

ويقف عادل لحظات حائرا خائفا
لا يدري ماذا يفعل .. بينما القمر قد
اختفى خلف سحابة عابرة فاشعاع
الرحبة في نفسه .

ويدور عادل بنظراته من فوق سور
الحديقة بحثا عن مهاجميه ولكنه لا يجد
لهما أثرا فيتشجع ويقفز من على سور
الحديقة ولا يكاد يفعل حتى يفاجأ
بالرجلين يبرزان امامه كأنما انشقت
الارض عنهما فيضرب احدهما بقبضته

بكل ما يملك من قوة ورغبة فى الحياة
ثم يطلق لساقيه العنان والرجل الآخر
يطارده حاملا عصاه الغليظة .. ويفضل
عادل يجرى ويجرى حتى يصل الى
طريق الجبل وقد بدأ يلهث وتضعف
سرعته .

وفجأة يفكر المكان ضوء كشاف سيارة
آتية من المنحنى وفى نفس اللحظة يحس
عادل بضربة هائلة تهوى على رأسه
فيستقل فاقد الوعي .

يفيق عادل ليجد نفسه فى غرفة بأحد
المستشفيات وبجواره صديقه الناشر
(مازن) وأحد ضباط الشرطة .. ويخبره
مازن بأنه انتظر عودته الى الأوتيل الذى
ينزل فيه ولما تأخر الوقت استراب فى
الامر ، فاستطحب معه صديقه ضابط
الشرطة الذى كان فى اجازة فى ذلك
اليوم وذهب الى المكان الذى واعد فيه
الفتاة على اللقاء فعرف بأنه استقل معها
السيارة السوداء الكبيرة وقد استطاع
ضابط الشرطة بتحرياته السريعة أن
يعرف أن السيارة قد اخذت طريق
الجبل وان لم يعرف وجهتها بالتحديد ،
فصحبه مازن بسيارته وانطلقا يقطعان
طريق الجبل ذهابا وايابا حتى عثرا عليه
فى اللحظة المناسبة .. أما المعتدى فقد
تمكن من الهرب .

ويقرر عادل فى محضر الشرطة انه
تعرض لمحاولة قتل بيد أشخاص
مجهولين أكد بانهم من اتباع السيدة
الغامضة التى أعطى أوصافها والاسم
- صفاء - الذى يعرفه عنها -

ولكن بحريات البوليس لم تصل الى
كشف شخصية هذه المرأة أو مكانها .

ومضت ثلاثة أيام قبل أن يسترد
عادل قواه ويصحب بعض رجال الشرطة
الى الكوخ الذى التقى فيه بالفتاة .
ولدهشته فوجيء بأن الكوخ لونه أصفر
وليس حوله سور من الخشب كما رآه
وكما ذكر أوصافه فى التحقيق .. وظن
ضابط الشرطة انه واهم فلا يوجد فى
هذه المنطقة كوخ غير هذا الكوخ ..

ويستقل فى يده امام نظرات الشك
من ضابط الشرطة وزملائه فيصف لهم
عادل أثار الكوخ وصفا دقيقا ويطلب
أن يدخله ليتحققوا من صدق روايته .
ويجيبونه الى طلبه .. ولا يكاد يدخل
الكوخ حتى يفاجأ بأثار عتيق مترب
كأنه مهمل منذ سنوات .. ولا وجه
للشبه بينه وبين الأثار الذى وصفه .

ويعود عادل مع رجال الشرطة الى
المدينة وهو فى حالة ذهول وغضب ..
ولا يكاد يفرد بصديقه مازن فى الأوتيل
حتى يعلنه بتصميمه على كشف سر هذه
المرأة ولو ضحى بحياته .

ويحاول مازن أن يقنعه بالتخلي عن
هذا الامر والتمتع بأيامه فى لبنان ..
ولكنه يصر على رغبته فهو مصمم على
الانتقام من هذه المرأة السفاحية ..
ويلاحظ مازن أن عادل يحبها رغم حقه
عليها وعندما يكشفه بهذه الحقيقة
يعترف بها على الفور .

يبدأ عادل بمفرده جولة فى الاماكن
التي التقى فيها بصفاء وفى الاماكن التي
يحتمل أن تتردد عليها .. ولكنه لا يجد
أحدا يعرف عنها شيئا .. فيذهب الى
طريق الجبل على يجد كوخها ويجدها

فيه ٠٠ وأثناء بحثه يمر بببيت عتيق متهدم حوله حديقة مهملة ٠ وفجأة يشاهد صفاء في شرفة المنزل فيندفع نحوها في حقد ويمسكها من رقبتها وهو يصرخ فيها لماذا أردت قتله ؟ فتصرخ الفتاة مستغيثة ليسرع لانقاذها رجل عجوز تان يسقى بعض اشجار الحديقة من رشاشه في يده ٠٠ بينما تنظر اليه مذهولة خائفة دون أن تنطق بحرف ٠

ويقول عادل للرجل العجوز أن هذه الفتاة قد حاولت قتله ، وأنه لن يتركها حتى يسلمها للشرطة ولكن الرجل العجوز يفاجئـه بأن هذه الفتاة لم تغادر هذا المكان ثلاثة أعوام ٠٠ وانها عمياء وصماء ٠٠ ورغم أن عادل تأكد من صدق الرجل الا انه شك في الامر وعول على معرفة الحقيقة بنفسه فقد كان على ثقة من انها هي صفاء بشعرها وعينيها وكل مافيها ٠٠ وانها تمثل أمامه دور العمياء الصماء حتى تفلت من عقابه ٠

وعادل عادل في اليوم التالي يحمل هدية للفتاة كاعتذار عما بدر منه ٠٠ فاطمأنت الفتاة اليه وكذلك الرجل العجوز لاسيما بعد أن عرفا أنه اديب مصري غريب عن لبنان ٠

ومضت ايام وعادل يتردد على الفتاة ويستميلها اليه حتى تعلقت به ٠٠ وبدأ يستعد لحظرتـه التالية التي قال عنها لمازن انه سيكتشف بها حقيقة الفتاة التي ليست في اعتقاده سوى غريمته (صفاء) وكانت طريقته الى ذلك أن ينفرد بها بعيدا عن الرجل العجوز الذي لا يفارقها ويخلق عنها ثيابها ولو بالقوة ليري الشامة السوداء الكبيرة الموجودة بأعلا كتفها والتي رآها في نفس الموضع من جسم صفاء ٠٠ ويستنكر «مازن» هذه الطريقة ويحذره من نتيجتها ٠ ولكن

عادل يصر على رغبته مهما كلفته من ثمن ٠٠ وخلال الحديث يكتشف مازن بأن عادل يحب الفتاة الصماء العمياء كانها هي صفاء تماما ٠٠ وهذا ما يؤكد له انها صفاء !!

يستطيع عادل أن ينفرد بالفتاة العمياء التي مال اليه قلبها ، وفي جلسة شاعرية تهتاج عواطفه فيعتدى عليها رغم مقاومتها ويغتصبها ٠٠ مدفوعا برغبته في رؤية الشامة ولارضاء شوقه الجنسي في وقت معا ٠

ولكنه يفاجأ بخلو جسمها من أي اثر للشامة التي رآها في جسم صفاء ٠٠ وبينما هو مذهول من اكتشافه يأتي الرجل العجوز مع بعض الاهال على استغاثة الفتاة ويقبضون عليه ٠

ويسجن عادل في قسم الشرطة تحت التحقيق بعد أن قررت الفتاة انه اغتصبها ٠٠

وقد حاول المحامون الذين وكلهم مازن لانقاذه ان يفتنوا عادل بانكار التهمة المنسوبة اليه لاسيما والفتاة عمياء ٠٠ ولكن عادل أصر على الاعتراف بجرمه مدفوعا بعبقه على الفتاة وحبـه لها وشعوره بالذنب والندم ٠

ولكنه يفاجأ في صباح اليوم التالي بمأمور القسم يستدعيه ويخبره بأن الفتاة العمياء حضرت مع أحد الاشخاص وعدلت أقوالها وقررت انها لا تعرف الشخص الذي اعتدى عليها ٠٠ وبذلك أطلق سراحه ٠

وكانت الصحف قد بدأت تتهاشم بما حدث وأشار الى الاديـب الكبير دون أن تذكر اسمه فيدل مازن جيودا كثيرة حتى استطاع أن يعتبر الموضوع حرصا على سمعة كاتبه الذي يكسب من وراء مؤلفاته الكثير ٠

ترتديها عندما قضت معه ليلتهما الوحيدة .

وقبل أن يفیق عادل من ذهوله دعتة صفاء ببساطة للدخول . فدخل وانغلقت الباب خلفه ثم تقدمته للرددة ففوجئ بنفس الاثاث الشرقي الفاخر وباللوحه الزيتية لقلعة محمد علي بالقاهرة في مكانها على الحائط .

وجلس صفاء امامه في وضع منير واحذت تنظر اليه في حنان وشوق فتسى حقه عليها ورغبته في الانتقام منها . وكاشفها في انفعال بحبه . وانه لا يريد أن يصدق صوت عقله من انها حاولت قتله بلا سبب . ولكنها تجيبه في بساطة انها فعلا حاولت قتله . فيسألها مذهولا عن السبب وهو لم يسيء اليها فتذكر بما اشترطته عليه في لقائهما من ألا يوجه اليها أية أسئلة .

ولكنه يعود فيسألها عن الفتاة الصماء العمياء التي اغتصبها ، ولكنها ترفض أن تجيبه . فهو ليس زوجها حتى تفسر له ما يريد . فيعرض عليها عادل الزواج منه ويؤكد لها انه قد نسي الماضي بكل ما فيه .

وتسأله في هدوء هل قراره هذا نهائي . فيجيبها بالإيجاب . فتعود وتسأله ألم يندم عليه ؟ فيؤكد لها في حرارة أن زواجه منها هو كل أميته في الحياة .

فتصفق بيديها فيدخل أحد رجال الدين ويحييها فتدعوه للجلوس وتطلب منه ان يعقد عليها . ويسألها عادل في ذهول هل كانت تنتظره وهل كانت تعرف انه سيستعرض عليه الزواج . لتستهله الى ما بعد اتمام العقد حيث تفسر له كل شيء .

وحاول مازن أن يحمل صديقه على الرحيل عن لبنان والعودة الى مصر بعد ان نجا بأعجوبة من السجن . ولكنه فوجئ بعادل وقد زاد اصراره على كشف أمر صفاء لاسيما بعد عدول الفتاة العمياء عن اتهامه الذي لاشك يخفي وراءه سرا يحس انه سيوصله الى صفاء .

ويذهب عادل الى الفتاة العمياء في منزلها ليحاول معرفة هذا السر ولكنه يفاجأ بأنها تركت المنزل الى حيث لا يعلم أحد . فيذهب الى قسم الشرطة ويحصل على اسم الرجل الذي أتى معها عندما عدلت أقوالها وتراجعت عن اتهامه .

ويفرح عادل وقد اعتقد أن عنوره على هذا الرجل يعتبر وصولا الى طرف الحيط الذي سيوصله الى صفاء . ولكن يفاجأ بأن المكان الذي ذكره الرجل على انه عنوانه ليس سوى خرابة مهجورة .

ويزداد عادل رغبة وتصميما في كشف هذا الغموض وقد احس بأنه يعيش في قصة مزيرة سيكتبها يوما لتخلد اسمه واسم ناشره كما ذكر لصديقه مازن .

ويعود عدل مرة أخرى الى طريق الجبل قاصدا الكوخ معتقدا انه لابد سيلتقي بصفاء بطريقة ما فهي كالمجرم لابد وان تحوم حول مكان الجريمة .

ويفاجأ عادل بأن الكوخ الذي رآه مع رجال الشرطة ذا لون أصفر . يراه الآن ذا لون أحمر وحوله نفس السور الحسبي المتآكل . وهو نفس الكوخ الذي التقى فيه بصفاء . فيندفع الى باب الكوخ وقبل أن يرفع يده ليطرقة في عنف . ينفث الباب ليجد أمامه صفاء في نفس الغلالة الشفافة التي كانت

وينتهي رجل الدين من عمله
وينصرف .

ويحاول عادل الاستفسار عما غمض
عليه من امرها ولكنها تستمهله الى ما بعد
أن يتمتعا بلقائهما . . وتصحبه الى
حجرة النوم التي قضى معها فيها ليلته
الوحيدة .

ويقضيان بعض الوقت في متعة جارفة
. . ثم يعود فيسألها عما غمض عليه
ولكنها تستمهله مرة أخرى الى حين
خروجها في نزعة بالقارب في عرض
البحر . . عند غروب ذلك اليوم .

وعند الغروب تستقل صفاء وعادل
قاربا بخاريا صغيرا تملكه كان واقفا
بمرفأ امام الكوخ . . ويلاحظ عادل ان
هذا الجزء من الشاطئ وضعت عليه
لافتة خشبية مكتوب (خطر) . . يوجد
سمك قرش في هذه المنطقة فيدرك ان
هذا تحذير للامالى حتى لا يستحمون في
هذه المنطقة .

وينطلق بهما القارب البخارى في
عرض البحر حتى يغيب الشاطئ عن
ناظره وعندئذ يتوقف القارب ، ويحاول
عادل ان يعيد تشغيله عندما تقول له
صفاء باسمه انه لا فائدة فالوقود قد
نفد . . فيبدي عادل دهشته . . فتخبره
في غموض ان كل شيء له نهاية ، حتى
الانسان .

فيسألها عادل حائرا هل كانت تعلم
ان البنزين لن يوصلهما الا الى هذا المكان
فتهز رأسها بالموافقة . . فيبدي عليه

الاذى ولكنها تدعوه الى الجلوس ليستمع
الى أجوبة الاسئلة التي يريد أن يوجهها
لها . .

وتخبره وهو مذهول بأنها اميرة من
عائلة فاروق هربت مع والديها واختها
الصغيرة الى لبنان بعد قيام ثورة ١٩٥٢
وان والديها قد فاست على يد والدهما
كل أصناف العذاب قبل أن تطلق منه
وتتزوج من رجل آخر أحسنت به الظن
فاذا به أكثر قسوة ونذالة . . ولكن
القدر رحمها منه فمات في حادثة . .
وتزوجت من الرجل الثالث الذي
استطاع بحبه الزائف وتمثيله المتفن أن
يقنعها بأنه يختلف عن غيره من الرجال
وان يحملها على الزواج منه . . وهي
فرحة سعيدة تحلم بالرجل الذي
سيعوضها ماقلسته من عذاب .

ولكنه لم يلبث بعد ايام من الزواج
ان ظهر على حقيقته انانيا قاسيا ندلا . .
يعيش أيامه بين الخمر والنساء
الساقطات يستنزف أموالها ليعيش
حياته الملوثة . . يعتدى عليها بالضرب
المبرح بلا سبب . . وأدركت الأم بعد
فوات الأوان أن الرجال كلهم سواء . .
ذئاب شرهة تفترس النساء اللواتي
يقعن بين مخالبيهم . حتى حدث ذات ليلة
أن حاول الزوج الشرس ان يعتدى على
صفاء فدافعت الام عنها فهجم عليها
وقتلها امام أعين طفلتيها حتى أصيبت
أختها الصغيرة من عنف الصدمة بالعمى
والصمم فقد أراد عقلا الباطن أن يحميها
من رؤية المنظر الرهيب ومن سماع
صرخات أمها .

وهكذا خرجت هي ، أى صفاء الى

الحياة وهي تكره الرجال وتحقد عليهم
وتنتقم من قاتل أمها في أشخاص كل
الرجال الذين توقعهم سوء حظهم بين
يديها .

ويسألها عادل إن كانت الفتاة الصماء
العمياء التي اختصمها هي اختها؟ فتجيبه
بالإيجاب . . وتخبره بأنها دفعت رجلها
لقتله بعد خروجه من الكوخ حتى لا تحين
له الفرصة مع الأيام للسيطرة عليها
وتعذيبها . . كما تعذبت أمها ، وعندما
نجس من الموت أدركت أنه لا بد عائد
ليبحث عنها فأعادت طلاء الكوخ باللون
الاصفر وغيبت أناته وأخفت معاملة حتى
لا يستدل عليه . . وأخبرته بأنها أنقذته
من السجن بأن دفعت اختها بالتراجع
عن اتهامه . . فقد يحمله ذلك على الاكتفاء
بما حدث والعودة الى وطنه . . وبذلك
تخلص منه .

ولكنها فوجئت به يتجول في طريق
الجبل فأدركت أنه يبحث عن الكوخ الذي
كانت قد أعادته الى حالته الاولى . .
وأيقنت أنه يحبها وألا مفر من لقائه . .
فاستدعت رجل الدين في انتظار وصول
عادل .

ويذهل عادل لما سمع . . ويسألها
إن كانت بعد زواجها قد تخلصت من
عقدتها من الرجال . . وأكد لها أنها
مخطئة في اعتقادها . . فكل ما في الحياة
فيه السيئ وفيه الحسن .

ولكنها تسخر منه . . وتخبره بأنها
إن تخدع فيه وتترك له الفرصة ليتلذذ
بالسيطرة عليها وتعذيبها .

يبدو على عادل الخوف . . ويسألها
عما تنوي فعله . . فتخبره بأنها ستحقق
له أمنيته وسيبقى معها الى الابد . .
وتلتصق عيناها ببريق مخيف يصيب
عادل بالذعر وقد أدرك أنها مجتونة .

وفجأة تمد يدها الى بطن القارب . .
وتنزع قطعة مربعة من الخشب وتلقيها
في البحر وهي تفهقه في جنون بينما
الماء قد بدأ يتدفق الى القارب . . يندفع
عادل نحوها في غضب هائل ولكنها
تخرج مسدسا من حقيبتها وتشره
في وجهه . . وهي تقول انه سيموت
معهما فهي لا ترضى بأن تعيش صورتها
في خيال احد .

يقذفها عادل بوسادة كانت بجواره
فيسقط المسدس من يدها في البحر . .
ويندفع نحوها محاولا اقناعها بالنجاة
بنفسها عن طريق السباحة ولكنها
تقاومه في عنف ووحشية فيتركها ويخلع
ملايسه ويقفز الى الماء سابحا في اتجاه
الشاطئ . . ولا يلبث أن تهاجمه سمكة
فرش فيصرخ مستغيثا بينما صفاء
تضحك في القارب في جنون والماء يعلو
حتى يصل الى فمها . . بينما قرص
الشمس قد بدأ يغيب في الافق البعيد
يصبح السماء بلون الدم .

عادل جالس في بيته وقد تقدمت
به السن وأمامه طفلان في نحو العاشرة
ويبدو انه كان يروي لهما هذه القصة .

تدخل الفتاة العمياء الصماء تقردها
خادمة فيستقبلها عادل بحب وحنان
ويجلسها بجواره .



من أقاصيص الأولين

عرض وتقديم : سامية زكي

هذه قصة من الادب العربي القديم

قصة تكشف عن مكانة المرأة في ذلك المجتمع • مكانتها من أبيها ، ومكانتها عند زوجها •

كما تكشف عن ذلك الدور الذي كانت تلعبه المرأة في ذلك المجتمع - وهو دور المرأة المدركة لجميع المشكلات التي تواجه الرجل ان في الحياة اليومية ، وان في الحياة العامة •

والمرأة هنا تحب السلام والوثام ، وتعمل على استقرارهما وانى حين اقدم هذه القصة انما أرجو ان تنال المرأة المعاصرة حظ المرأة العربية - المرأة الحرة الكريمة •

ثم دخل اوس على امراته مغضبا :
فقالت له : من الرجل الذي سلم عليك
فلم تطل معه الوقوف ، ولم تكلمه ؟

فقال : ذلك سيد العرب الحارث بن عوف •

فقالت : فمالك لاتستنزله ؟

قال : انه استهجننى •

قالت : وكيف ذاك ؟

قال : لانه جاءنى خاطبا •

قالت : ألمست تزعم انه سيد العرب ؟

قال : نعم •

قالت : اذا لم تزوج سيد العرب فى

زمانه فمن تزوج ؟

قال : قد كان ذلك •

قال الحارث بن عوف بن ابي حارثه
مأرجه بن سنان : اترى انى اخطب الى
احد فيردنى ؟

قال : نعم •

قال : ومن هو ؟

قال : اوس بن حارثة الطائى •

قال : اركب بنا اليه •

فركبنا اليه حتى اتينا اوس بن حارثة
فى بلاده ، فوجدناه فى فناء منزله ،
فلما رأى الحارث بن عوف قال : مرحبا
بك يا حارث ثم قال : ما جاء بك ؟

قال جئتكم خاطبا :

قال : لست هناك •

فانصرف ولم يكلمه •

قالت : فتبدارك ما كان منك .

قال : فبماذا ؟

قالت : بأن تلحقه فترده :

قال : وكيف وقد فرط منى اليه
مافرط ؟

قالت . تقول له : انى لقيتسك وأنا
مغضب لاسر ، فلك المعسرة فيما فرط
منى ، فارجع ولك عندى كل ما طلبت .
فركب فى اثرهما .

قال خارجه بن سنان فوافقه انا لنسير
اذ حانت منى التفاتة فرأيتة وقلت
للحارث - وهو يكلمنى - هذا أوس وهو
فى اثرنا .

فقال : ما أصنع به ؟

ومضى ومضيت معه ، فلما رأنا لاتفق
قال : يا حارث أربح على .

فوقفنا له . وكلم الحارث بذلك الكلام
الذى قالته له امراته . فرجع الحارث
معه مسرورا .

قال خارجه : بلغنى أن أوسا لما دخل
منزله قال لزوجته : ادعى لى فلانة -
كبرى بناته ، فانتة .

فقال لها : أى بنية . هذا الحارث
ابن عوف سيد من سادات العرب جاءنى
خاطبسا وقد أردت أن أزوجه منه فما
تقولين ؟

قالت : لاتفعل .

قال . ولم ؟

قالت : لأن فى خلقى رداة ، وفى
لسانى حدة - ولست بابنة عمه فيراعى
رحمى ، ولا هو بجار لك فى البسلة
فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى منى ما
يكره فيطلقنى فيكون على بذلك مسبة .
فقال لها : قومى بارك الله فيك .

ثم دعا بابنته الاخرى فقال لها مثل
قوله لاختها ، فاجابته بمثل جوابها .



فقال لها : قومي بارك الله فيك .

ثم دعا الثالثة - وكانت أصغرهن سنا - فقال لها مثل ما قال لاختيها .

فقالت له : أنت وذاك .

فقال لها : اني عرضت ذلك على أختيك فأبتاء - ولم يذكر لها مقالتهما .

فقالت له : والله اني الجميلة وجها ، الرفيعة خلقا ، الحسنة خلقا ، السديدة رأيا . فان حفظني فقد فاز ، وان طلقني فلا أخلف الله عليه .

فقال لها : بارك الله فيك .

ثم خرج اليه فقال : زوجتك يا حارت يا بنتي فلانة .

قال : قد قبلت .

وأمر اوس أمها أن تهيئها له ، وتصلح شأنها .

ثم أمر ببيت فضرب للحارت وأنزله إياه .

ثم بعثها اليه .

فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الى . . .

فقلت له : أفرغت من شأنك ؟

قال : لا والله .

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : لما مددت يدي اليها قالت : مه أعند أبي راحواتي ؟ هذا والله لا يكون .

ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معا . . . وسرنا ماشاء الله .

ثم قال لي : تقدم .

فتقدمت ، فعدل عن الطريق ، وما لبث أن لحقني .

فقلت : أفرغت من شأنك ؟

قال : لا والله .

قلت : ولم ؟

قال : قالت تفعل بي كما يفعل بالامة المسيبية الأخيذة ؟ لا والله حتى تسحر

الجزور والغنم ، وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي .

قلت : اني لأرى همة وعقلا .

قال : صدقت ، واني لأرجو الله تعالى أن تكون المرأة النجيبة التي أطلبها .

فسرنا حتى وردنا الى بلادنا ، فأحضر الحارث الابل والغنم ، ونحر وأولم ، ثم دخل عليها ، وخرج الى .

فقلت : أفرغت من شأنك ؟

قال : لا والله .

قلت : ولم ذلك ؟

قال : دخلت عليها أريدها فأظهرت العجب من أمرى وقالت :

لقد ذكرت من الشرف ما ليس فيك ؟ قلت : ولم ذلك ؟

قالت : أتتفرغ للنساء والعرب من حولك يقتل بعضهم بعضا - وكان ذلك في أيام حرب قيس وذبيان .

قلت : وبحك ! فماذا تريدن ؟

قالت : اخرج الى القوم فابذل من مالك وجاهك للصالح بينهم ، ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ما تريد .

فقلت : اني لأرى عقلا ورأيا سديدا . قال : فأخرج بنا .

فخرجنا حتى آتينسا القوم - وقد تساقط قتلاهم كأوراق الحريف - فمشينا بينهم بالصالح ، فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية ، فحملنا منهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بغير . . . فانصرفنا وقد حملنا أجمل ذكر وأطيب فخر .

ثم دخل عليها فقالت له : أما الآن فنعم .

فأقاما معا في الذ عيش وأهنئته حتى أدركهما هادم اللذات ومفرق الجماعات .

الطريق

موسى

بقلم : الدكتور محمد كامل حسين

ولم يكن لموسى عهد بهذا الذى يتحدث به الناس ولم يكن يعترف شيئا عن الجبال ، فخامره شك كثير فى هذا الذى سمع وحسب اكثره من نسج الخيال . وروى الرواة أن اهل ذلك الوادى قوم آمنون مطمئنون ، فيهم دماء خلق وطيب نفس ، يعيشون عيشة راضية هادئة . لا يطفى منهم قوى على ضعيف ولا يحقد منهم فقير على غنى ، وانهم لا يردون سائلا ولا يسيئون الى غريب ، يضيفونه حتى يبلغ مأمنه . وان بعدهم عن صخب العالم وتقاليد الناس على خيرات الدنيا جعلهم من احسن الناس خلقا . وان حرموا لذات الشراء العريض .

ولما كثر الحديث عن ذلك الوادى اخذ موسى يؤمن ببعض ما يرويه البدو عنه . واطمان الى ان هناك على كل حال فى أعلى جبال سيناء واديا نائبا عاليا خصبا جميلا وان يكن المرتقى اليه صعبا .

ورغب فى الهجرة اليه . وحببه الى نفسه انه بعيد لن يستطيع أن يتعبه

حدثوه اعجب الحديث عن واد فى أعلى جبال سيناء فيه اشجار من الفاكهة والزيتون لم ير الناس مثلها قط . وفيه عيون من ماء بارد وعذب صاف ينحدر من صخور عالية . يستقى به الناس وتروى به الارض فى غير عناء . وتحدثوا عن طيب هوائه ، وان صيفه لاحر فيه وان برد شتائه غير مرهق لما يحيط به من قمم شاهقة تحميه قر الرياح الهوج التى تعصف فوق أكثر الجبال . وقالوا انه يسقط من سمائه شتاء شيء لا يعرفه اهل السهول يشبه القطن يغطى الارض جميعا بثوب ابيض ناصع . حتى اذا اقبل الربيع ذاب هذا الثلج وسالت الاودية بماء عذب يجري عيونا أو يقور آبارا قريبة المنال .

حدثه بهذا الحديث وبما هو اشد منه غرابة البدو الرحل الذين يجوبون الصحارى والجبال وردد حديثهم الصيادون الذين اقام بيوتهم منذفر من مصر الى ساحل البحر الاحمر . ولم يكن اولئك ولا هؤلاء ممن يوثق بكلامهم



اليه احسد من الذين انتمروا به ليقنلوه
حين قتل رجلا من اهل مصر منذ امد
غير بعيد .

واهمته هذه الرغبة فلم يعد يطبق
صبرا على التفكير في الهجرة اليه .
واعد نفسه للرحلة الشاقة . جمع
ما استطاع من اخبار عن الطريق خوفا
من ان يضل بين هذه الجبال الشاهقة
والوديان الملتوية وقيل له ان معالم
الطريق واضحة . وانه ان احتمل
مشقة الصعود فلن يخطيء الطريق .
وعلم ان الوادى على مسيرة ثلاثة ايام
من حيث كان يقيم على ساحل البحر .

ولم يخبر احدا بهجرته هذه .
وحمل معه قربة صغيرة فيها ماء واخرى
بها قمح مجروش . وبدأ رحلته ذات
صباح عند مطلع الفجر . ولم . . . يفتقده
احد من الصيادين الذين عاش بينهم .
وكانوا لا يالفونه وكان لا يالفهم . ضاقوا
به صدرا لجهله كل ما يعرفون . وضاق
بهم صدرا لجهلهم كل ما يعرف .
وظنوا به الكبرياء والصلف . وان حرص
على الا يدلهم شئ . يعمل على احتقاره
اباهم . فكان سعيدا ان يفارقهم ولم
يكونوا آسفين لفراقه .

سار ساعات خمس في السهل الذى
يقع بين البحر والجبال . حتى اذا بلغ
اول الجبال وجد منفرجا بين جبلين
هو اول الطريق الذى ينتهى به الى
حيث يريد . وشغلته جدة الرحلة
وشوقه الى ماسيلقاه فيها عن التفكير
في ماضيه الذى يفر منه . وعن البحث
في المستقبل المجهول الذى هو قادم عليه
فكان اقرب الى النشاط والفرح منه
الى القنوط والتردد .

حتى وجد امامه نخلة باسقة تحيط
بها قطعة صغيرة من ارض خصبة خضراء
ووجد عندها رجلا اشيب يعمل في
الارض . ووقف موسى عليه فلم يعرفه
الرجل التفانا . وراى موسى ان يبدأ .
بالحديث فقال له .

— ماذا تفعل يا عم ؟

— ازرع .

وكاد موسى يضحك لهذا الذى
يسميه الرجل زرعاً . وعنده بالزرع في
مصر يكون ارضا شاسعة وماء غزيرا
ودوابا كثيرة وعملا لا ينقطع . ثم قد
لا يصلح الزرع بعد ذلك كله فكيف يكون
زرعاً هذه القطعة الصغيرة من الارض
وتلك الشجرة الواحدة وليس حولها
ماء ولا دواب .

— وماذا تزرع ؟

— هذا الذى تراه .

— ايكفيك هذا ؟

— لو لم يكن يكفينى لرحلت .

وعز على موسى ان يجد نفسه
مضطرا الى الحديث مع رجل على هذا
القدر من الجهل وراى في اقتضاب هذا
الحديث احتقارا له . ولكنه عزم مع
ذلك ان يتابع حديثه معه .

— ولم لا تذهب الى الوادى الخصب
في اعلا الجبل . لعلك تجد فيه ارضا
واسعة .

— اذهب انت اليه .

— اليس فيه فاكهة كثيرة ورزق
عظيم ؟

- (متبهكما) احضر لى بعض فاكهته
حين تعود منه .

- لعلك لاتصدق ان هناك واديا
كالذى اصفه لك .

وتشغل عنه الرجل وهو يعمل
بنفاسه فى الارض واعرض عنه ولم يجبه
بشيء .

ولما راي موسى اعراضه تركه وهو
عليه حائق وتابع سيره وحمل متاعه
بطرف عصاه ووضعها على كتفه كما
يفعل الفلاحون فى مصر . واتخذ طريقه
فى واد طويل اخذ يضيى شيئا فشيئا .
وشق على نفسه ما لقيه من الناس
جميعا منذ خرج من مصر هاربا .
وغضب على نفسه اشد الغضب ان
تعرض بفراره هذا الى ألوان من الهوان
انزلها به بدو رحل وصيادون جهلاء .
وهذا الفلاح الصغير هزا به وتهكم عليه
وحقر امره . وكان قبل فراره اسرع
الناس غضبا لكرامته واشدهم اعتزازا
بنفسه . ولم يكن يجهل ان حياته غير
طبيعية . مضطربة منذ يوم ولد .
عاش فى قصر فرعون عيشة عجبا تختلف
عن حياة اهل ذلك القصر كافة . وذكر
انه ترك فرعون مختارا . وهو يحسب
انه سيجد فى قومه وبين شيعته حياة
اقرب الى نفسه ما سيكون فيها من شدة
وفقر وعذاب . ثم فعل فعلته وهو
يحسب انه انما ينصر مظلوما ، ويحق
حقا واضحا . وكان يظن ان ذلك مما
لا يعاقب عليه احد . فلما تبين انه قتل
نفسا بغير نفس علم انه اقصد بذلك
حياته كلها . وانه اصبح طريقا . لا يرجو
من الدنيا الا ان يجد عملا يقتات من
جزائه مهما يكن حقيرا . وماوى يسكن
اليه . وكبر عليه انه لم يجد شيئا من

ذلك حتى الآن . وهو اقل ما يرجوه
انسان لنفسه مهما يكن فيه من ضعة
وضعف ويأس . وذاق مرارة الدل .
ولم يعد له أمل يرجوه الا ذلك الاملى
الواهى الذى تعلق بالوادى البعيد الذى
لم يؤمن بعد انه موجود فعلا .

كان يعرف من نفسه الشجاعة اقدا
وصبرا . لم يرهب احدا يوما رهبة
تمنعه ان يحق حقا او يقوم بواجب او
ينصر ضعيفا او يؤنب ظالما . اما اليوم
فقد اصبح جبانا رعيذا لا يفكر الا فى
الفرار . واشتد به الخوف فالهاه عن
ان يفكر فى امه التى كانت تعيش مؤملة
فيه الخير كله . ترجو ان يعوضها بعض
المكروه الذى ذاقته فى حياة مملوءة
بالكروب . والهاه عن ان يفكر فى اخته
التي حملته رضيعا والقتة فى اليم ودلت
اهل فرعون عليه غير هيباة لهؤلاء
الاسياد . وكان تحدث العبيد الى
الاسياد امرا محقوفا بالمخاطر . وكان
قومه يثنون من العذاب . وكانوا يرجونه
ليوم يستطيع فيه ان يخفف عنهم بعض
هذا العذاب بعد ان نال الخطوة عند
فرعون نفسه . عرفوا عنه ذلك فباتوا
يرجونه للجلى . فلما جاءهم كان
قدومه سرا ونذيرا بعذاب اشد لا يعلم
احد مداه .

حين ذاك اشتد به الرعب فلم يفكر
الا فى الفرار . وكان يعلم ان فرعون
نفسه اقرب الى الطيبة والبساطة منه
الى العنف والانتقام . وانه غفر له من
قبل كثيرا من سيئاته . ولكن الامر
اصبح جدا بعد ان فعل فعلته المتكررة
وهو بعد كثير العدو قليل الصديق .
ولم يشك انه سيكون من رجال فرعون
من يقولون له : ان العبيد اذا علموا ان

أرضها حجارة صلبة قلقة تضطرت تحت قدميه وأرهقه الصعود في هذا الوادي . وأهل السهول يتعبهم الصعود أكثر مما يتعب أهل الجبال . ولهؤلاء أسلوب في الصعود بأجسامهم لا برجلهم فلا يعي بهم تسلق الجبال الساعات الكثيرة . وسمع على مقربة منه خرير ماء يجري من عين صغيرة ثم ينحدر بين الصخور إلى غير قرار يراه . وكان الماء عذبا صافيا باردا . روى نفسه منه وغسل يديه وقدميه وهو يحسب أن ذلك يذهب بما فيها من حرارة واحتقان والم . وهو خطأ لا يقع فيه من خبر السير الطويل في الأرض القفرة . وعزم أن يقضي ليلته عندها غير نادم ولا قلق .

وخطر له أن هذا الماء قليل حلو . وأن ماء الأنهار في السهول كثير كدر . وكأنما الإنسان من الحياة لا يكون إلا إحدى حالين . حياة قليلة صافية حلوة أو حياة كثيرة كدرة . أما الحياة الكثيرة الصافية فلعله لا سبيل إليها . وذكر موسى ما عاناه من الحياة الكثيرة الخبيثة في قصر فرعون . وخطر له أنه يكون سعيدا لو أن هذا الماء القليل انحدر إلى أرض تبت نباتا حسنا يأكله وترعاه دوابه ويقم حوله كما يفعل الفلاح الصغير الذي لقيه أول الطريق . وأنه مستعد أن يتنعم من حياته بهذا وحده لو تهيأ له . ولكن ذلك الفلاح له رفيقة وأولاد ، يصلون بينه وبين الحياة وأين لطريد مثله أن يكون له ذلك ؟

وكان من قبل لا يطبق النساء . شهد منهن في قصر فرعون كثيرات . ومنهن الشريفات الباهتات المتخاذلات . ومنهن الفائنات تملأ عيونهن وبشرتهن حرارة الحياة وقوة الرغبة . وكان ينظر من

هؤلاء لما يراه في سلوكهن من ابتذال . أما اليوم فهو يحلم بأمنية عزيزة عليه . أن يجد رفيقة تهيء له أبسط الحياة . وبدأ رحلته في اليوم الثاني مبكرا نشطا سعيدا ثم وعرت الطريق وكثرت الحجارة وشق عليه السير وتعبت قدماء . وطال به المسير وهو لا يرى له غاية . فالطريق طويلة والوديان متشابهة والقمم عالية كعمده بها أول ما بدأ رحلته وكأنها لا نهاية لها . كلما صعد قمة وجد وراءها قمما أعلى وأبعد .

واشتد الجذب حوله فلم يعد يرى للخضرة أثرا . ولم يلق عين ماء واحدة منذ ترك العين الأولى . وأزعجه هذا الجذب الذي أحاط به وهو من تعود الخضرة والماء والشجر في مصر . فاجذب عليه أشد وأقوى . ولم يبشره شيء بقرب الوادي الجميل الذي يرجوه . واشتد عطشه ثم وجد قليلا من الماء الراكد في منخفض من الأرض وحمله عطشه على أن يعب فيه وهو واضح الكدر تعافه النفس لو أن له إلى غيره سبيلا .

وقضى ليلته الثانية في فجوة من الجبل تعلوها صخور كبيرة تقيها شدة البرد وصقيع الليل وكان متعبا . ولكنه تعب لم يبلغ حد الانهالك . ومن التعب البالغ ما يشعر بالصحة والقوة . ومنه ما ينسى المرء همومه وأفكاره وتشاؤمه فلا يفكر في راحة جسمه من هذا التعب الذي يكاد يكون مريحا لذيذا .

دخل هذه الفجوة وقد ورمت قدماء وتنقطت عن فقاعات كبيرة جعلت السير عليه عسيرا . وجد حوله أعشابا جافة قديمة مما ينبت ويذبل حول الماء الضحل فأوقدما ناراضفينة ووضع قدميه أمامها . فوجدتها تذهب بآلم قدميه وساقيه أكثر

مما ذهب به الماء البارد . ولما احس
بالدفء انشرح صدره . وقنع بما يلقاه
من راحة لجسمه وعقله .

واقبلت على النار هوام كثيرة صغيرة .
وبعض الفراشات البيضاء الرقيقة .
وعجب لذلك اذ كان يحسب ان هذا
المكان لا يصلح لحياة الكائنات مهما تكن
صغيرة . وكانما رأى فيها رفقاء غربة
تترفق بها . وحزن حين رأى فراشة
تقبل على النار فتحترق اجنحتها قبل
ان يستطيع انقاذها .

وسطع القمر على هذه الفجوة فلرح
به فرحا شديدا . اليس هذا هو القمر
نفسه الذى يسطع الآن على مصر .
والذى يعلو الآن فى سماء مصر مطلا على
من فارقه من احبابه واعدائه . وكانما
وجد فيه ما يصله بالناس والحياة .
وخيل اليه ان وحدته الموحدة ليست
انقطاعا تاما عن اهله واصحابه بل
استوى عنده اذ ذاك من كان يحب ومن
كان يكره فهو مشوق اليهم جميعا .

واخذت احلامه تحلو له . رأى فى
ما يرى الناس ان احدى فتيات قصر
فرعون وكانت تهواه أقبلت عليه . وكان
يعرض عنها دائما . أما اليوم فلم يعرض
عنها بل تركها تقترب منه وتقبله وهو
لا يشيح بوجهه عنها . وطاب له ان يرى
فى حلمه وجهها جميلا مشرقا وشفتين
حمراوين يفتران عن ابتسامة حلوة .
وشعرا ناعما . وبشرة بيضاء رقيقة
وجسما دافئا يحتضنه وعظفا وحنانا .
ركان فى اشد الحاجة الى ذلك كله بعد
أن ذهب الجنب الذى حوله ولون الصخر
الرمادى القاحل بكل ما يشعره بجمال
او طمأنينة .

وقام من غده يتابع صعوده هذه
الجبال التى لا آخر لها . وكان سيره

بطيئا وتعبه بالغا . ولكنه كان يعلم انه
سيبلغ الرادى يومه هذا . وساعده هذا
الامل على احتمال المشقة والالم . ولما
كان وقت الظهيرة وجد نفسه فوق مضبة
واسعة مستوية تحيط بها قمم غير
عالية . يستطيع من اراد أن يرتقيها .
ومال بصره فلم يجد منها مخرجا . وخيل
اليه لجهله بطبيعة مسالك الجبال ان هذا
آخر الطريق . ولم يكن يدري أن طرق
الجبال قد تكون ضيقة بين صخرتين
ولا يكون طريقا واضحا دائما ، وأزعجه
أن يكون هذا آخر رحلة . وكان يظن
آخر الطريق جنات فيحاء وفاكية
واشجارا وماء كثيرا جاريا .

وكان قد أرهق عينيه ألوان الصخور
القاحلة والحجارة الجافة وومج
الشمس . وبرح بهما الالم وغشيت
عيناه فاضعربت لذلك أنصابه . وكان
يتمنى اذ ذاك لو رأى ورقة واحدة خضراء
أو قطرات من ماء يسيل .

واجتمع عليه التعب والجوع والعطش
والياس . ولما رأى الغاية التى انتهى
اليها مضبة مرتفعة قاحلة لا مخرج منها،
ولا طريق وراءها خارت قوته وتهاوت على
أقرب صخرة اليه وتمسكه اليأس .
ولليأس قدرة على الارهاق لا يبلغها
التعب ولا الالم مهما يكن مبلغهما .

وتمثلت أمامه فى تلك اللحظة حياته
كلها وما فيها من اضطراب . ومرت أمام
مخيلته صورها متتابعة سريعة : طفولة
غير طبيعية . كان فيها موضع عطف
وحنان من امرأة فرعون يشبهان عطف
الامومة وحنانها وليس منها فى شيء .
وحب تقدمت به اليه نساء كثيرات ولكنه
حب محدود الغاية معروف أصله
وأغراضه . وكان يراه حبا قدرا . وهو

شديد الاحساس بالفذارة يعانيتها مهما
قيل له عن لذاتها . وصداقة قامت بينه
وبين شباب ذلك القصر ممن هم في مثل
سنه ونشأته ، ولكنها لم تكن صداقة
تامة خالصة . كان موضع ثقتهم دائما
دون أن يكون موضع سرهم أبدا وكانوا
يعجبون به حين يفوقهم في الصيد
واللعب والفترة . وكانوا يستنصحوونه
ويتبعون ما يشير عليهم به . حتى اذا
هموا بأمر من عبث الشباب كتموه عنه
فهم يحبون مالا يحب ولا يفرون مما
ينفر منه كأنهم يعرفون فيه من الطهر
مالا قبل لهم به .

علم علم الكهنة فحقر في عينيه ذلك
العلم . رأى أن يقدم لكبار الكهنة
ما يطلبونه من طاعة عمياء وخضوع تام .
ثار على تعاليمهم ونفاقهم وخلقهم فغضبوا
عليه . والبرا عليه ذوى النفوذ في
الدولة ولم يكن شأنه مع هؤلاء خيرا من
شأنه مع الكهنة . وكان يكره منهم الذلة
والخضوع لمن يعلنونهم والقسوة العانية
على من دونهم مقاما أو جاها أو غنى .
وكانت ثورته هذه ترضيه من نفسه
وهو في قصر فرعون . أما اليوم فقد
تجلى له أثر هذه الثورة . جعلته طريدا
وأحاله جبالا . وتركته يائسا . وليس
أمامه بعد جهاده في سبيل الخلق القريم
كما تصوره الا الخيبة . وكان خيرا له
لو تخلق بخلق من حوله ، يحيا حياتهم
وينعم بما ينعمون به ولو بقدر .

وظن أنه سيجد قوما آخرين أقرب الى
طبيعته وخلقهم . وما هو قد أخفق في
تحقيق هذا الامل استدبر حياة القصور
التي كرهها . ولم يستقبل الحياة التي
يرجوها . وهو اليوم قد جاوز اليأس
وأصبح قريبا من موت لا يرى منه مفر .

أ يكون تمسكه بنوع خاص من الخلق
الكريم سببا فيما أصابه من شر ؟
أ يكون ترفع الانسان ترفعا عظيما عن
حوله مؤديا الى عكس ما يراد من الترفع ؟
ولم يكن يريد الا أن يحيا حياة هادئة
مطمئنة غير صاخبة مهما يكن ضيقه .
وكان يظن أن حياة الناس تضطرب ،
يرغبون رغبة عارمة في أمر لا يستطيعونه
فتحيلهم ذلك على الشطط وليس له
شيء من ذلك . غيره يصيبه الشر حين
تعتريه غيرة ممن هم أغنى منه أو حقد
على من هم أقوى منه . أو تعلق بما
لا سبيل اليه ، ولم يقع في شيء من مثل
هذا . فمن أين أتاه الخطأ الذي أوقعه
في ما وقع فيه ؟ .

والناس جميعا يخطئون كثيرا وقد
يكون خطاهم فاحشا ثم لا يصيبهم
ما أصابه . وهو لم يرتكب الا جرما
واحدا حين قتل مصريا ظلما ولم يكن
يريد قتله انما كان يريد أن يمنع شره .
فكيف اختص هو بجزاء فظيع كالذي
تعرض له .

وندم على ما تردد في بعد جريمته .
وندم على جبنه حين فر من الجزاء
الطبيعي لما فعل فكان أن تعرض لما هو
أفدح . والواقع انه فر من مصر لا جبن
ولا خوفا ولكن حملة على ذلك أن قومه
غضبوا عليه وطلبوا اليه أن يرحل عنهم
حتى لا يحمل الابرياء منهم مغبة الذنب
الذي ارتكبه .

ولما ذكر قومه أحزنه ما هم فيه من ذل
وبؤس وما يتعرضون له من ظلم . على
أن شيئا برج به أكثر من تعرضه للموت
القريب . ذلك أن قومه علقوا عليه آمالا
كبارة فخا أن آمالهم كلها . ولم يبك لشيء
مما أصابه حتى ساعته هذه . ولكن

عينيه دمعاً حين ذكر آمال قومه فيه .
طنوا فيه القوة فلم يجدوا الا الضعف
ووثقوا بحكمته وعلمه فتبين له ولهم أنه
ليست به حكمة ولا علم . وكان أقسى
شيء عليه في هذه الساعة المظلمة ضياع
آمال المؤمنين فيه الى غير رجعة . وأنه
لن يستطيع أن يكفر عن هذه السيئة
أبداً .

ومرت ساعة حسبها عمرا

ثم مرت ساعة حسبها دهر

وغلبته غريزة البقاء فتعامل على نفسه
ليقف . وعزم أن يعود أدراجه وأن ينزل
من فوق هذه الجبال فيعود الى الفلاح
الصغير الذي لم يأت به له . بل تمنى أن
يعود الى الصيادين الذين كرهوه بل
لم ير بأساً أن يعود الى قومه الذين
رغبوا أن يفارقهم . ولعله كان يقبل اذا
اشتد به الحال أن يعود الى فرعون
يستسلم له ليقترضوا منه كما يشاءون .

وتقدم بضع خطوات . تبين له عند
ذلك أن النزول أصعب من الصعود .
ووجد نفسه يخطئ التقدير في خطأ .
فهو يحسب أن الخطوة النازلة أقرب أو
أبعد مما هي عليه في الواقع فكان ينزل
بعنف على الصخرة القريبة . ويظن
الصخرة البعيدة قريبة فتزل قدمه .
وتعب من ذلك تعباً شديداً . وبينما هو
واقف يريد أن يقدر خطواته التالية
تقديراً صحيحاً وقع (من طوله) ووجد
نفسه منكبا على وجهه . ولم يكن ذلك
أشياء ولا زلة قدم وإنما كان خور الهزيمة
واضطراب النفس . ولما لم يقو على
النهوض عرف أن من العبت أن يحاول
النجاة بالنزول .

وليقن أنه هالك لا محالة في مكانه
هذا . وكأنما أخذ يؤن نفسه . وخيل

اليه أنه من انهار أن تبقى جثة في
العراء . وهو ممن نشأوا على العناية
بحث الموتى الى حد بناء أهرام تدفنها
البلى . وتوابيت ضخمة تحميها من
الفناء . وعز عليه أن يبلى جسمه على
هذا السحر وود لو استطاع أن ينقش
على حجر بجانبه رجاء الذئاب - أن كان
في هذه البقعة ذئاب - ألا تنهشه .
أو توسلا الى الطيور الجارحة - أن كان
منها من ضل طريقه في الهواء فبلغ هذا
المكان كما ضل هو الطريق في الأرض -
أن تتعفف عن هذا الجسم الذي كان
كريما جميلا وكان موضع آمال الناس
وحبهم فلا يتخطفونه . ولكن أين له أن
يأمر الأمطار والرياح أو يرجوها أن
لا تذيبه وتكتسح ما يبقى منه الى أسفل
الوادي فينتهي أمره الى الأبد الا جمجمة
خربة وعظاما هشة وهو ما كان يخشاه
المصريون أشد خشية .

ثم استطاع أن يجلس . وبينما هو في
وسط هذا السكون المظلم وهو في رابعة
النهار سمع صوت رنين جرس صغير .
سمعه بعيدا خافتا . ولم يتبين حقيقة .
وحسبه من تصورات الذبول الذي يعتري
المشرقيين على الموت . ومضت مدة حسبها
طويلة جدا وهو يصيح الى الفضاء يلتبس
أضعف الاصوات . ثم سمع الصوت
نفسه أقرب اليه وأقوى وتساءل ماذا
يكون هذا الصوت . أنه من غير شك
ليس صوت الرياح حين تمر في الفجوات
الضيقة بين الجبال . بل هو صوت
جرس لا نزاع فيه . ثم سمعه قريبا
قويا . والتفت وراءه فإذا بالصوت
يصدر عن جرس صغير معلق في رقبة
مناحر صغيرة تنظر الى غير وجهته ثم
أخذت تلتفت يمنة ويسرة وهي فوق

من الأدب الصيني القديم

زئب تشنجشان

للكاتب هيسيا ليانج

ترجمة: منير عبد الجوار وكروسي

مزدهرا آنذاك ، والذي يتميز أتباعه بحياتهم الصارمة التي تدعو إلى التضحية بالنفس والانصراف إلى خدمة زملائهم من بني البشر ، وأخذوا يبشرون بالحب العالمي . محاولين هداية الملوك والارستقراطيين والانس العاديين بحماسة متعصبة وكرسوا أنفسهم لحياة فقيرة مفامرين بأرواحهم في كثير من الأحيان لمساعدة الآخرين وسعادتهم .

سمع تونجكيو الضوضاء والاضطراب ثم رأى الذئب الجريح يجري مندفعاً تجاهه والصيادين يجدون في أثره ، وما أن رأى الذئب الموتى ، حتى عوى في ألم طالباً المساعدة ، فهزت الشفقة قلب تونجكيو إذ رأى السهم مغروزا في ظهر الحيوان المسكين وقال له :

— لاتخف ، سأنزع السهم منك .

فصاح الذئب :

— اوه ، أنت موتى ، انك رجل طيب

ان الصيادين يجدون في أثرى ، دعنى اختبئ في حقبتك حتى تنتهى المطاردة

في احد الايام ، وفي كثير من الصخب والفجيج ، خرج البارون تشاو للصيد في جبال تشنجشان ، تصحبه مجموعة من كلاب الصيد ، وصيادون محترفون مسلحون بحراب وسهام ، وبعض نسور الصيد المدربة ، وفي الطريق ، رأى البارون ذئبا يقف على مسافة قريبة عند مفترق الطرق تماما . كان الحيوان يقف على رجليه الخلفيتين ويعوى كأنما ليجتذب الانتباه اليه ، وهكذا أصبح هدفا ملائما فاطلق البارون سهما أصاب الحيوان وجرحه ، ولكنه استطاع الهرب فطارده الصيادون ، ودوت الغابة بصيحات الرجال وكلات الصيد وارتفعت سحابة من الغبار ، ساعدت الحيوان على الهرب .

في هذه اللحظة ، كان السيد تونجكيو في طريقه إلى تشنجشان منتظيا حمارا هزئلا ولا يحمل سوى حقيبة تحتوى على كتبه وملابسه القليلة . والسيد تونجكيو هذا أحد الموتىين ، أتباع موتى ، ذلك المذهب الدينى الذى كان

وساظل معترفا بجميلك الى الابد اذا
انقذت حياتى .

— لماذا ورطت نفسك فى هذه المشكلة
ايها الذئب المسكين ! انك فى حاجة الى
قليل من الحكمة ، هذا هو كل ما ينقصك
وعلى أية حال ادخل الحقيبة بسرعة
ولا تتحدث عن العرفان بالجميل ، انى
لمسروور ان اقوم بما استطيع تجاهك .

ثم نزع الموتى الاشياء من حقيبتيه
واخذ يحشر الذئب بهما ، ولكن الذئب
كان بالغ النمو والحقيبة اصغر من ان
تسعه ، فاذا ادخل راسه أولا ، بقيت
ارجله الخلفية وذيله الكت خارج الحقيبة
واذا ادخل ذيله أولا ، لم يكن يستطيع ان
يحشر مخالبه الامامية ورأسه دون ان
يكسر رقبته ، حاول وأعاد المحاولة بكل
وضع ممكن ، ولكن دون أى نجاح ،
واخيرا صاح الذئب فى الموتى :

— اسرع ! ان المطاردة تقترب ، هيا
اربطنى .

وتكوم الذئب على الارض وترك الموتى
يربط جسده ، وارجله فى حزمة واحدة
واخيرا ، وبكثير من الضغط والحشر ،
افلق تونجكيو فى ادخال الذئب فى الحقيبة
ووضعها على ظهر الحمار .

نظر تونجكيو حوله فوجد ان الذئب
قد خلف على الارض آثارا ونقطا من الدم
تنزف من الحقيبة ، بل واكثر من ذلك
راى يديه هو نفسه قد تلطختا بالدم ،
ففرغ ، وباسرع ما يمكنه غطى الآثار ومسح
يديه وادار الحمار حتى يمكنه اخفاء
الحقيبة . وعندما وصلت الجماعة ،

سأله البارون ما اذا كان قد رآى ذئبا
فرد تونجكيو بهدوء :

— كلا ! ان الذئب حيوان ماهر ، وما
كان ليسلك هذا الطريق ، لابدانه مختبئ
فى مكان ما فى الغابة الواسعة .

حدجه البارون وضرب على سيفه
الذى فى يده وقال :

— اذا حاول احد ان يساعد الحيوان
على الهرب فسيذفع الجزاء غالبا مقابل
ذلك .

وبهدوء امتطى تونجكيو حماره ولوح
مودعا للبارون وهو يقول :

— اذا رايتك فى اى مكان فساحيبك
علما ، وانمنى لك حظا سعيدا فى الصيد .

وعندما تلاشى وقع حوافر جباد
جماعة الصيادين ولم يعد الذئب يسمع
اصواتها ، صاح من الحقيبة .

— اطلقنى بسرعة ! انى اكاد اخنق !

وفى الحال ، نزل الموتى من على حماره
وساعد الذئب فى الخروج من الحقيبة
وفك وثاقه ولمس الجرح برقة وسأله :

— اما زال يؤلمك ؟ انى خائف من
اجلك :

— كلا ! ان الجرح مجرد خدش
طفيف ، والآن ، وقد انقذت حياتى ،
انتكرم على بجميل آخر ؟

— سيسرنى جدا ان اؤدى لك اى عمل
يكون فى مقدورى ، فانا موتى كما تعلم
ولن يستطيع انقاذ العالم الا مبدأ الحب
فقط . ماذا تطلب منى ؟ انى تحت
امرك .

اقترح ان نخضع للتحكيم ، وحسب
العادة نسال ثلاثة من كبار السن ليقرروا
ما اذا كان الحق فى ان تأكلنى ام لا ، مع
مراعاة حقيقة انى انقذت حيائك .

فاجاب الذئب :

— حسن ، حسن ، ولكن لاسكن
مسيها ، انى مقتنع ان الله قد خلق
الرجال لتاكلهم الذئب ، اننا اسى جدا
بالقياس لجنسكم ، انت لانتطيع حماية
نفسك ، انتم جنس منحط ، هذا هو
انت !

وسارا معا فى الطريق ، ولكنهما لم
يقابلا اى شخص ، اذ كانت الدنيا قد
بدات تغطم ، وقال الذئب مشيرا الى
ارومة شجرة عجوز على جانب الطريق .
— انى فى الواقع جد جوعان ولاستطيع
الانتظار اكثر من ذلك ، دعنا نسال هذه
الارومة .

— انها مجرد شجرة ، ماذا تعرف
هى ؟

— اسألها وستخبرك .

فانحنى الموتى للأرومة العجوز
وأخبرها انه قد انقذ حياة الذئب معرضا
حياته هو للخطر ثم سألها :

— خبرينا ، هل من العدل فى رايك
ان يأكلنى الذئب ، هل هذا يعد عرفانا
بالجميل ؟

فاطلقت الشجرة صوتا ضخما هادرا
وقالت :

— ياسيدى الفاضل ، انى افهم مانعنى
انت تتحدث عن العرفان بالجميل ، دعنى
اخبرك بقصتى ، انا شجرة مشمس ،
عندما غرسنى البستاني لم اكن سوى

— حسن ، انى جائع — ولم اذق طعاما
منذ ثلاثة ايام ، واذا مت هذه الليلة
فانك تكون قد انقذت حياتى هباء ، لما
لاندعنى آكلك ؟ مجرد بعض التضحية
بالنفس كما تعلم ، فانا لا اطلب كثيرا ،
هل اطلب كثيرا ؟!

وفغر الذئب فاهه واشرع مخالبه
وتحفز للانقضاض عليه ، ففزع تونجكيو
واندفع بسرعة الى الجانب الآخر من
الحمار وهو يرتعد خوفا على حياته وقال
محتجا :

— انك لا تستطيع ! لا . . . لانتطيع
ان تفعل هذا !

— لم لا ؟!

— لانتطيع ، لقد انقذت حيائك
منذ لحظة وجيزة .

وبدا كل منهما يطارد الآخر حول
الحمار الذى اربكه هذا الشجار والنقاش
للغاية .

وقال الموتى مخاطبا الذئب من فوق
كتف الحمار :

— والان كن منطقياً ! لا فائدة من
مناقشتنا ومحاولتنا فض النزاع بالقوة
لن اقتنع بانك على صواب حتى لو انك
نجحت فى تقطيعى اربا ، وسيؤلمك ضميرك
الا تراه سيؤلمك ؟ اظن انه يهيك ان تتأكد
عندما تأكلنى انك انما تفعل الشئ
الصواب .

فعوى الذئب قائلا .

— بالطبع ، ولكنى جائع ومتعب من
هذه المناقشة .

— اذن دعنا نفض هذا النزاع منطقياً

بدرة ، وفي خلال سنة ازهرت . وفي خلال ثلاث سنوات اثمرت ، وفي خلال خمس سنوات كان جذعى فى حجم الدراع ، وفى ظرف عشر سنوات كان فى حجم كرش الطفل . والآن بلغت العشرين ، وطوال حياتى وانا اطعم البستانى واصدقاءه ، بل انه كان يبيع بعض ثمارى فى السوق وكون منها ثروة ، والآن يرى البستانى انى عجوز ولا يستطيع الاثمار ، فنزع اوراقى وقطع اغصانى ، ونشر اطرافى ليأخذها وقودا ، ولم يكتف بذلك ، فقد سمعت انه سيبيع مابقى منى خشبا ليشقق وينحت ، حسن ، هذه هى الحياة فلماذا لا ياكلك الذئب ؟

فصاح الذئب فى سرور عظيم وهو يستعد للهجوم على تونجكيو :

— هاهى ذى روح حكيم تتكلم .

فقال تونجكيو :

— انتظر ! مازال علينا ان نسمع راي اثنين مسنين آخرين علاوة على ذلك .

— ليكن ماقول ، ولكن يجب ان اقول لك ان رايك تبدو لى اشهى الان مما كانت فى اى وقت مضى .

وسارا لمسافة قصيرة ثم التقيا بجاموسة تستند على سور قديم وتبدو جد متعبة من الحياة فقال الذئب :

— سلها ، انى متأكد انها قد تعلمت الكثير من الحياة .

وفى الحال اخبرها الموتى بقصته وسألها حكما عادلا ، فنظرت اليه الجاموسة ببرود بينما هو يفكر باستخفاف ، فكرت الجاموسة لحظة ولعلت لسانها ثم اجابت :

— ان ماخبرتكم به شجرة الشمس صواب ، انظر الى ، انى عجوز ونحيفة ، واموت من الجوع ، كان يجب ان تروانى عندما كنت صغيرة ، لقد اشتراى احد المزارعين من احد الاسواق وجعلنى اعمل فى مزرعته ، كانت البقرات الاخرى يهرمن واقوم انا بمعظم العمل ، كان المزارع يقول انى المفضلة لديه . وعندما كان يذهب الى اى رحلة من رحلاته كان يسرجنى ، وعندما اراد ان يعمر ارضا مجدية حرثتها له وجعلتها ارضا خصبة تمكن زراعتها ، وفى موسم الزراعة كنت اخوض فى الوحل ، وفى موسم الحصاد كنت اعمل فى الطاحون ، لم اشفق على نفسى وكنت اقوم بعمل عاملين او ثلاثة فتحسنت حال المزرعة والمزارع نتيجة لكدى وكدحى فقد كان طعامه ولباسه والنقود التى يدفع منها ضرائبه ، كل هذه النقود جاءت منى ... والآن ! لقد صار فى امكانه اضافة جناح جديد لمخزن غلاله ، وزوج ابنه واصبح يحيا حياة مريحة كالنبلاء ، يحيط به ابناءؤه واحفاده ، ليتكما رايتماه عندما جئت الى بيته ، لا ... لاتحدث عن ادوات المائدة ، لماذا !! لقد تعود ان ياكل فى اوان واطباق وملامق من القخار ، والآن ، ان لديه قوارير من الخمر فى مخزنه . ماذا صنعت انت للذئب ولم اصنعه انا لاسرة المزارع ؟ ولكن زوجته تظن انى عديمة الفائدة ، انى عجوز ، وهذا كل ما فى الامر ، وتدعنى اتركع فى الخارج وانا فى العراء معرضة للرياح والبرد . وهالانت ذا ترانى واقفة هنا محاولة الحصول على قليل من دفء الشمس ، ولكن عندما ياتى الليل ، فانى اصير وحيدة ، ومع ذلك لم اهتم ، فكل واحد يهرم ، ولكنى

سمعت زوجة المزارع تقول انهاستبيعنى للجزار ، فلهى يمكن حفظه وجلدى يدبغ اما حوافرى وقرونى فيمكن نحتها ونقشها وصنع بعض الادوات المفيدة منها ، آه ، هذه هى الحياة ، لاتحدثنى عن العرفان بالجميل ، انى لا ارى سببا واحدا كى لاياكلك الذئب .

ومرة ثانية استعد الذئب ليفرز أسنانه فى ذراع الموتى ، ولكن تونجكيو قال :

— كلا ! ليس الآن ، لقد كنت صبورا فدعنا نسمع ماسيقوله العجوز الثالث طبقا لاتفاقنا .

وفى الحال رايا شيخا مسنا يسير على عصا مقبلا نحوهما . كان العجوز ذا احية بيضاء ، ويبدو كقديس فسر تونجكيو لوجود آدمى واسرع نحوه يرجوه أن يفض هذا النزاع بينه وبين الذئب .

— أرجوك ، كلمة واحدة منك ستتقذه حياتى أيها العم العجوز .

واستمع العجوز الى القصة ثم قال وهو ينظر الى الذئب بعيون غاضبة .

— ياله من تكران للجميل ، اتعرفان الشخص الناصر للجميل سيكافأ فى كهولته بابن عاق ؟؟؟ سيكون لك فى يوم من الايام ابن ، وسيكون قاسيا عليك على الرغم من كل ما فعلته له ، اغرب عن وجهى والا قتلتك .

فقال الذئب فى توسل .

ولكنك لم تسمع قصتى بعد ! من فضلك استمع لى ! لقد كنتنى الموتى

وحشرنى فى حقبة بالغة الضيق حتى كدت اختنق وظننت انى على وشك الموت ، ليست لديك فكرة كم انا متعب داخل الحقبة :

فقال الشيخ :

— فى هذه الحالة يجب ان يلام الموتى

وبدأت المناقشة من جديد فقام الشيخ :

— لاادرى لمن منكما استمع ؟ ولا من اصدق ؟ تقول انك انقذت حياة الذئب ، والذئب يقول انك آذيته ، والطريقة الوحيدة للحكم من منكما على صواب ان ارى تصويرا فعليا للحادث ، سأرى بنفسى الوضع المتعب الذى جعلك الموتى فيه داخل الحقبة .

فقال الذئب :

— سترى

وسمح لهما أن يقيداه ويحشراه داخل الحقبة وهمس الشيخ للموتى .
— الديق سكين .

فقال تونجكيو فى حيرة .

— نعم

— حسنا !!

— انك لاتطلب منى ان اقتل الذئب !
اتفعل !

— كما تشاء ! اما أن تقتله او يقتلك هو . يالك من أخلاقى غير عملى ! وبينما هو يقول ذلك ، ساعد الموتى فى تمرير السكين على الذئب فى الحقبة مماوضع حدا للمناقشة .



مولى

حنان

بقلم السيدة صوفى عبد الله

وتدفقت غزوبة الذكريات فانتشلتها من حاضرها عبر ستة عشر عاما - وعلى شاطئ آخر ، شاطئ شعبي ، كانت تجلس وبجانبيها مدحت وأمامها طفلتهما حنان فى سلة كبيرة مما تحمل فيها الاطفال الصغار ... كانت فى شهرها الثالث ، جميلة ، يانعة ، كالزهرة المفتحة ... ولكن شيئا فيها لم يكن طبيعيا : صمتها المطبق وعدم تمييزها لمن حولها من الاشخاص والاشياء ! .. لم تكن تعرف أمها . وهى أول من يتعرف عليه الطفل ! .. ولا أباه ! .. كل الاشخاص حولها سواء ! ..

كانت حنان طفلتها الأولى بعد زواج دام خمس سنوات . زواج أقل ما يوصف به أنه حلم كل عذراء . فمدحت زوج توافرت فيه كل مميزات فارس الاحلام . رقيق أنيسق عطوف حبيب الى النفس مريح للأعصاب . وهى تعبد من دون الله . وترى فيه زخرا أيامها وجنة حياتها .. وحنان . طفلتها المعبودة . لكم هفت نفسها الى الاطفال مدى الخمس سنوات . ولكن مدحت لم يكن يريد رغم حبه الشديد لهم ... لم يكن يريد أن يكبل نفسه بطفل وهو بعيد حياة

انحسر الموج عن الشاطئ ، واندفعت الطفلة الصغيرة الجميلة بكل حيوية الطفولة البريئة ، اندفعت تجرى وهى تتعثر فى خطاها تسبقها صرخاتها المرحية ويدها ممدودتان كأنما تستعطف الموج أن يعود . وفزعته الام الشسابة فأسرعت تصبح خلفها قبل أن يدركها المدة مرة ثانية :

- حنان ... ارجعى ..

ورفعت سيده نصف عينيها عن شغل التطيرز الذى فى يدها ، وكانت تجلس أمام كابينها على بعد خطوات قليلة . رفعت عينيها تنطلق الى الام الشسابة والطفلة السعيدة المرحية . وانطلقت من صدرها أنه جريئة وتمتعت تحدث نفسها :

- حنان ... ياله من اسم !

وغامت عينها خلف قطرات من الدموع ترقرت ثم انحدرت فوق خديها الغائرين ، فرفعت يدها تتحسس وجهها وتزيح خصلة من شعرها تهدلت على جبينها ثم عادت تحدث نفسها من خلال دموعها .

- ترى كيف أصبحت الآن ابنتى

أنا ... حنان !؟

الانطلاق . حياة التحرر من كل الالتزامات
التي تعسوقه عن الاستمتاع بمباحج
الحرية . والأطفال قيد ، ولو كانوا قيداً
من حبيب ، ولكنه لم يستطع الصمود
أمام الحاجة . . وجاءت حنان .

وحمل الهواء اليها صوت حنان .
الطفلة المرحة السعيدة وأما تلعب معها
بالكرة على الرمال ، ثم تجرى خلفها
فتدركها والطفلة تقفز وضحكاتهما تملأ
الجو . . .

لكن هذا قلبها الى هذا الدور من سنين
الطفولة العذب لا ينتها حنان ، لكنها لم
تدركه . . . لم تدركه لأن حنان ابتنتها
لم تكن كبقية الأطفال ! كانت تاكل
وتنمو وتزداد جمالا ويكتسى وجهها
بحمرة العافية . ومع ذلك لا تتكلم ولا
تتحرك ، ولا تنادىها بأعذب لفظ حلمت
به في حياتها . لم تقل لها أما لأن
قدرة التمييز كانت تنقصها ، ولم تلفظ
كلمة بابا لأن إدراكها كان قاصراً تماماً
. . . بل كان معدوماً !

وأصبحت حنان الغصة التي يشرق
بها حلقاها ! . . أصبحت نكبة حياتها
من حيث أرادها فرحة وحدثهما . . .
لم ينفع معها طب أو دواء . وأجمع
الاطباء أنها ستعيش وتكبر ولكن عقلها
سيظل متخلفاً ! . .

ووضعت يديها على عينيها تحجب
الذكرى المرعبة وأحسنت نفسها تنسلخ
من حاضرها ، وتمتعت بتوسل :

— مدحت . أريد طفلاً آخر . . . أريد
طفلاً يشعرنى بأموئى . . .

وسمعت صوته أقرب الى البكاء :
— كيف ؟ كيف يمكن أن تخطئ
جبالك هذه الرغبة القاسية ؟ .

وأجابته فى ضراعة :

— ان حنان لا تعرفنى ، وأنا أريد
طفلاً يعرفنى يا مدحت . وينادىنى
ويتجاوب معى . . .

وتحسرج صوته بدموع يحاول
جهده أن يحتجزها :

— ان حنان محتاجة لكل حنان
ورعايتها . . . ان حنان عاجزة وأى طفل
آخر سيسلبها حناناً وحناناً . . .
— صاحت فى لهفة :

— لا تقل هذا . ستكون حنان دائماً
فى المكان الأول من نفوسنا ، ومهما كان
طفلتنا الثانى فلن يستطيع أن يحرمها
من حناننا .

— هذه محض تخيلات . . . لقد لمست
بنفسى كيف يحرم مثلها من الرعاية اذا
وفد على الأسرة طفل جديد . . .
وقالت فى عتاب :

— لسنا نحن يا مدحت ممن يتصرفون
هذا التصرف الجائر . .

— انت واهمة بارعاء . وكلامك محض
تخيلات . . ولن أسمع لك بالحوض فى
هذا الموضوع بعد الآن .

وجئت على ركبتيها وراحت تستعطفه
بدموعها :

— أرجوك يا مدحت ، أترسل اليك ،
لا تحرمنى من اللذة الوحيدة فى الحياة
. . . لا تحرمنى من الامومة . . .

وصرخ فيها بياس :

— ان كلامك كخنجر يطعننى فى
صدرى . . اليس حنان ابنتك ؟! كيف
تقولين اننى حرمتك لذة الامومة ؟!
أتنكرين عليها بنوتك ؟ ! .

- انها ابنتي يامدحت ولكن امومتى
معطلة بالنسبة لها ... ان شعور
التجاوب بينى وبينها معدوم ! .. انها
لا تعرفنى !!

- وهل هذا ذنبها ؟ ! اما يكفيك
مايها حتى تريدن حرمانها من عطفك
لتغذيه بلى طفل آخر فيكبر معها
احساسها بالاضطهاد من القدر ومنك
ايضا ؟ !

ودفن راسه بين يديه مستندا على
ركبتيه فى يأس مر ، وخرج صوته
كالآنين :

- رجاء .. اعلى ، والا كانت نتيجة
تصرفاتك وبالا علينا .
وقالت فى لجاجة :

- ولنفرض أنها استمرت على هذا
الحال ... الن تفكر ...
ولم يدعها تتم بل صاح وقد تملكه
غضب شديد :

- نعم لن افكر فى طفل آخر قبل
أن اراها قادرة على خدمة نفسها وفى
غنى عن كل انسان .
وفى صوت هامس قالت :
- هل هذا قرارك الأخير ؟
واجابها بحزم :

- نعم . هذا قرارى الأخير ولن
أتراجع عنه مهما حدث ..

واحست بجمر نار يحرق صدرها
وزفرت بحرقه : ترى كيف اصبحت
ياحنان ؟ وشدها الذكرى وهى ترى
الشهور تمر وحنان تزيد فى فجيعتها ،
نعم :

فجيعتها هى ، فان كان يأسه من عدم
تقدمها للشفاء وحزنه على مصيرها يعد
فجيعة ، فان ألم حرمانها من الامومة
وعقارب الغيرة التى تلدغ أحشائها كلما

سمعت طفلا ينادى على أمه .. هذه
الاحاسيس كانت تدنو بعقلها شيئا
فشيئا نحو النهاية ! .

وبدا عامها الثالث وهى طريحة على
ظهرها حتى الحركة لا تستطيعها ، شئ
واحد هو الذى تقدمت فيه صوت
كالصراخ تفتح به فيها اذا تلكأوا فى
اطعامها ثم تدير نظرها فيما حولها
وترفع يدها وتضعها فى فمها وتحدث
غرغرة .

ووصلت الازمة برجاء الى منتهاها ،
فاختلت بمدحت ذات مساء وكانت
خلواتهما نادرة ، وسألته وهى تحاول
أن تدخل على نبرات صوتها شيئا من
الليونة والانكسار .

- علام عولت يامدحت ؟
ولم يجبها بل رفع عينيه عن الجريدة
متسائلا بعينيه :

واحست بشجاعتها تخونها تحت وقع
نظراته . فتشأغلت بوضع صحاف
الطعام أمامه على المنضدة الصغيرة .
وخرج صوتها مرتجفا :
- ألم تصل الى حل ؟
واجابها فى دهشة :
- حل ؟ له ؟

- لقد تقدمت الحال بحنان وأظنها
أحسن كثيرا الآن .

وانتظرت أن يرد عليها - بأى كلام ،
ولكنه تشبث بالصمت . فأردفت بسرعة
وقد أحست بشجاعتها على وشك أن
تخونها :

- ألم يؤن الأوان بعد ؟
فاجابها ببرود :
- أوان ماذا ؟

وغاظها بروده وأمدتها ببعض القوة
وارتفع صوتها قليلا وهى تقول :

أوان انجاب طفل .

وبنفس البرود القاتل قال :

- كلا .

واحسنت لبروده مخالب تنزع قلبها
من بين ضلوعها فانفجرت في ياس :

- اذن طلقني .

وكانما نزلت على نافوخته بقضيب
من حديد ، فاستعنت عيناه وبرزت
ونفرت عروق رأسه ، وجف حلقه ،
وخرج من بين شفثيه شبه فحيح :

- أطلقك ؟

- نعم لأحقق أمومتى المعطلة من
زوج آخر .

والجمت صراحتها لسانه فراح ينظر
إليها غير مصدق واستدركت هي :

- مادمت تبخل على بهذه الرغبة التي
تقتلني ببطء فلن أعيش معك .. ان
حبك وحنانك كله قد تحولوا الى ابنتك
حنان وليس لى مكان فى نفسك .. لقد
كرهتنى يامدحت .. كرهتنى لدرجة
أنك تظن على ببعض السعادة التي
تملكها أنت ولن تكلفك شهينا ! ..
قلت لك ألف مرة ان سعادتي فى الامومة
وقد حرمتنى منها . فلا أقل من أن أبحث
عنها مع آخر !

وكانما كلماتها هى القشة التي
طفحت بكيل همومه فصرخ وقد انفجرت
يتابع خقه جميعا :

- أيتها المجردة من كل عاطفة ،
ياجاحدة ، يا قاسية اليك عنى . اذهبي
.. تزوجي .. انجبي .. أما أنا
فسأعيش لابنتى . واسعدى أنت

بحياتك فليس لك بعد الآن موضع فى
بيتى ...

وسقطت يداها من فوق عينيها اللتان
غاصتا فى البحر أمامها ، ولم تبك ..
لم تسقط دمعة واحدة من عينيها .
كانت أحشاؤها تبكى ...

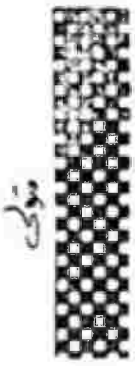
نعم لقد تزوجت ولكن الله حرّمها من
الانجاب .

واحسنت بحركة عجلات تدر بالقرب
منها فوق الارض المرسوفة فالتفتت
بطرف ذابل فاذا بعينيها تصطدمان
بشابة جميلة يانعة ، ممثلة الجسم ،
فارعة الطول ، تجلس فوق كرسى
ذى عجلات مستندة الرأس على وسادة
مثبتة على ظهر الكرسى ، وعيناها
لا تطرفان ! ويدها راقدان فى حجرها
فى استسلام ومن خلفها رجل طويل
نحيف أسمر اللون أبيض الشعر فى
لون الثلج يدفع الكرسى ببطء بينما
تسبح عيناها فى الفضاء اللانهائى غير
عابىء بما حوله من عجيج الحياة ! ...

والجم فاها .. لم تصدق نظرها ..
أصابها ذهول .. ولم تفق الا والعربة
قد اختفت عن ناظرها ، وصاحت فى
ياس :

- حنان ... ابنتى .

وسمعتها حنان هى الاخرى .. الجميلة
الصغيرة ، والتفتت اليها وقذفتها بالكرة
وهى تصيح فى تشوة ثم جرت رافعة
يديها نحو الموج المنحسر تحاول أن
تستوقفه فأسرعت اليها بالكرة وقد
غشت عينيها الدموع ولكن الصغيرة
حدقت فى وجهها المتقلص ثم جرت منها
مذعورة وارتمت فى حضن أمها ...



حقول البطيخ

بقلم : محمود اليدوى

وظللت الحال هكذا حتى ينس
الفلاحون .

ولم يتنفسوا الصعداء الا بعد ان
قامت الثورة وطرد هذا الثرى من
الارض ... ووزعتها الحكومة عليهم
فاعطت فدانين لكل أسرة .

وللمحظوظ منهم من وقع نصيبه في
الارض على الساحل .. لانه زرعها
بطيخا والبطيخ يأتى للفلاح بدخل
طيب .

وكانوا يبكرون في الزراعة قبل ان
يرتفع مستوى الماء في موسم الفيضان
فبأكل الزرع . ويجيدون تخطيط
الارض ... فتبدو الحقول المزهرة في
خطوط مستقيمة .. كأنها خُطت
بالمسطرة على لوح من الورق .

والمشاهد للمزرعة من المارين تحتها
في المراكب والصنادل كان يؤخذ بجمالها
وبرى أنها من المزارع النموذجية .
وكانت تمتد الاسواق في منطقة
الصعيد بأجود أنواع البطيخ وأعذب
حلاوة .

وكانت الكلاب الكبيرة تحرسها ولكل
حقول خصه وكلبه .

كانت قرية « العمارنة » مشهورة
بحقول البطيخ .. وكانت تزرع أجود
أنواعه وأحلاها على الإطلاق .
وتقع الحقول في أرض رملية على
سيف النيل .

وكانت الأرض ملك الحكومة وتؤجرها
لأحد الأثرياء بإيجار قليل .. ولنفوذ
وسلطته استغلها أبشع استغلال وأخذ
يؤجرها للفلاحين بعشرة أصعاف القدر
الذى يدفعه ، وقسمها الى قطع صغيرة
ليسهل عليه توزيعها على أكبر عدد
منهم بإيجار مرتفع .

وكان يسلط عليهم سوط العذاب
فإذا تأخر أحدهم عن السداد يوما
واحدا حُجز على الموائى والمحاصيل ..
وفى كل مطلع النهار يرون وجه الصراف
ودفائره وأوراقه .

وكان الأمل يلوح في أفق حياتهم بعد
كل ثلاث سنوات فيسمعون ان الأرض
ستؤخذ منه وتعطى لغيره ... فيشعرون
بقرب الخلاص .. ولكن الزمن كان
ينخبأ آمالهم دائما فتعطى له الأرض من
جديد بمزاد صورى يعمل في البندر .

وراء هذه الحقول في الارض العالية
يقوم بستان كبير من شجر النخيل
والنبق والسنت . . وخلف هذا الجسر
العمومي . .

ومن الجسر تأتي العربات وتحمل
البطيخ الذي يتكوم في طرف من البستان
.. كان بمثابة السوق لهؤلاء الفلاحون
وفيه يتعاملون مع التجار . . .

وفي شهر يونيه من كل عام يبدأ
قطف الثمار الناضجة . . فتري الفلاحين
في الصباح مبشرين في الحقول . .
وايديهم تضرب على البطيخ قبل قطعه
من العريش فاذا استوى في نظرهم . .
وتحت سمعهم بعد جسه باليد . .
قطعه وكومه . . وحمله الصبيان على
ظهور الحمير والجمال الى الجسر .

وكانت القرية على مبعده ثلاثة
فراسخ من المزرعة . .
وتبدو في موسم البطيخ مهجورة . .
لان الحياة كلها تتحول الى جانب
النهر . .



وكان حقل عبد الفغار ياتي باجود
المحاصيل اطلاقا في هذه المنطقة . .
وكان عبد الفغار يزرع البطيخ
والشمام عن خبرة ويقصر لراعتيه عليهما
فاشتهر بهما واجاد . . وكان ودودا
وطيب القلب وامينا ويتفاني في خدمة
الناس . . فاحبه الفلاحون وعهدوا اليه
محاسبة التجار واخذ الثمن منهم
وتوزيعه عليهم كل حسب حصته .

وكان له اربعة من الابناء الاشداء
اصغرهم في العشرين من عمره وفيهم
كل صفاته فساعدوا والدهم في عمله
وجعلوا «خصه» اجمل خص في المزرعة
.. وبمشابهة منتدى للفلاحين جميعا . .

فكانوا يتجمعون حوله في العسارى . .
ويتحدثون في شئونهم ومشاكلهم . .
وهم يشربون الشاي ويدخنون السجائر
او يقتلون حبال الليف او يعملون
المرباط والشواغل . . للجمال . .
استعدادا لعمل الشتاء .

وكانت الطبيعة تجود على المكان
باجمل المناظر الطبيعية . . فالنييل
يجري كاللجين تحت اقدامهم والسماء
الزرقاء الصافية فوقهم . . والشمس
ترسل شعاعها الاصفر على المزارع . .
وعلى صفحة الماء . . فتحول كل شيء
الى لون العسجد . . والطيور والعصافير
.. تحلق في الجو . . وتفرغ . .
والكلاب تتوثب وتتمرغ على الرمال
الناعمة .

ويبدو الجميع كأنهم في عيد . . .
وموسم البطيخ في الواقع عيد الاعياد
لهؤلاء المزارعين . . فالنقود تجري في
أيديهم . . ويشترون المواشي والملابس
الزاهية . . والمراكيب الجديدة . .
والمذازي والفرووس . . ويصلحون
النوارج والمحارث . . .



وعلى الرغم من أن القرية آمنة
واهلها مشغولون بمعاشهم . . ولكن
الفلاح في كل هذه المناطق يحمل السلاح
.. فالبنديقية السريعة الطلقات حلت
محل الهراوة والتبوت . . لانه يسوق
مواشيه وحده في الليل . . ويعود بها
من السوق . . ويحرس بها الاجران
والاقطان . .



وفي عصر يوم تجمع حول خص
« عبد الفغار » نفر من الفلاحين كعادتهم
واخذوا في فنون الاحاديث عن التقاوى

لضيفه .. واخبره الفارس عن المهمة
التي جاء من اجلها .. اذ انه يرغب في
مقابلة فلاح يدعى محفوظ له حقل في
في هذه المزرعة لمساة تتعلق بقطعة ارض
اخرى وراء شريط السكة الحديد .

وارسل عبد الغفار ابنه عثمان على
جحش على التو ليأتى بـمـحفوظ من
البيستان ... وظل الجواد في مكانه
وجلده يلمع في الشمس ..

وكان يحرك رأسه الجميل وينظر
الى ناحية اليمين .. ثم يعود يرد البصر
الى الحقول .

وعيون الفلاحين معلقة به اكثر من
نظرها الى الفارس الذي يركبه ..

وازاح الفارس كوفية حريرية بيضاء
عن عاتقه ووضعها على الحرام الذي
جلس عليه متربعا .. وهو ينفض
المكان بعينيه النفاذتين ..

كما ترك بندقية قصيرة في الجزء
الامامي للرجل .

وبض كلبان من كلاب الفلاحين
التوحشة .. امام الجواد كأنهما
يحرسانه من العيون المحذقة به ..

وجلس الفارس يتحدث وعيناه على
البطيخ الناضج والمزرعة التي تبدو
كأحسن المزارع التي شاهدها في حياته .

وبدا الجو رغم اقتراب الاصيل
وانحدار الشمس خافا وشديدا
الحرارة .. ولكن الفلاحين اعتادوا على
مثله وعلى ما هو اشد منه وطأة ..

وكانوا يحتمون في الظل .. أما الذين
كانوا لا يزالون في قلب الحقول الى تلك
الساعة فكانوا يكتفون بعصب رءوسهم
انقاء لضربة الشمس الحامية ..

الجديدة .. التي زرع منها عمار في
هذه السنة نصف فدان ... فانت
ببطيخ كبير الحجم ولكنه قليل الحلاوة .
وعن عليان الذي شق بطيخة وتركها
في الشمس .. ثم ذهب لبعض شأنه
.. ولما رجع وجد البطيخة باردة كأنها
مثلجة وعذبة المذاق جدا .. ولكنه
وجد ثعبانا كبيرا يحاول الاقتراب
منها .. !

فمثل هذا البطيخ تحبه الثعابين الى
درجة شديدة .

واخذ كل واحد من الموجودين يروي
رواية عن حب الثعبان للبطيخ وكيف
يلعقه بلسانه بلدة وشقف .. حتى
تعددت الروايات عن الثعابين وجاوزت
المائة ..

وفجأة ظهر شيء جديد في الأفق
شخصت اليه الابصار ... شيء بدا
كأنه يسبح في الجو .. ظهر جواد
احمر كان ينطلق في الطريق الزراعي في
سرعة الريح .. وبدت قوائمه من فرط
سرعته كأنها لا تمس الارض .

وكان راكبه منتصباً فوقه في سكون
.. ومرتديا جبة كحلية ولبدة بيضاء .
ويبدو من جلسته على الحصان
فارسا من امهر الفرسان على الخيل
ومال به عن الطريق واتجه في السيف
الصغير المفضى الى حقول البطيخ .

وظلت العيون معلقة به حتى اقترب
وهو يهديء من سرعة الجواد ..
ولما أصبح الفارس حذاء الخص
عرفوا انه غريب .. ودار دورة بالفرس
ثم ترك اللجام وترجل .. ومشى اليهم
.. وصافحهم فردا فردا .

ثم اخذ يجلسه بجوار عبد الغفار ..
الذي رحب .. وقدم الشاي والسجائر

وكان عرقهم وتحرك عضلاتهم مع
الفتوس يقيهم كل ما يصيب الانسان
من الجو الحار ..

وكانت الحرارة الشديدة قد جعلت
المواشي تبتعد على شط النيل او تحت
من الهجير بظل البستان .
وظلت الكلاب وهى الوحيدة التى
تلثت فى الشمس .

وشق عبد الغفار لضيغه وللجالسين
بطيختين كبيرتين ..

واخذوا يأكلون قطع البطيخ بشهية .
وقال « حماد » وهو ينظر للجواد
وكان يحب الخيل ..

— هل اشتريت هذا الجواد حديثا ؟
— لا ... انه من نتاج فرس فى
بيتى ..

— كم هو جميل .. اعربى ؟
— أجل .. وعربى اصيل .. وامه
اطلق عليها جواد الشيخ عمران ..
وهو اشهر جواد عندنا .. جواد رفض
صاحبه ان يبيعه للسباق .. رغم
مغالانهم له فى الثمن ليفروه على البيع .
— ولماذا رفض .. فى امكانه ان
يشترى غيره .. ؟

— ولا شك انك تعرف ان الجواد
الاصيل نادر الوجود فى هذه الايام ..
فالجواد تنقرض .. كما ترى نحن فى
عصر الآلة ولم يعد هناك سامر .. ولا
دف ترقص على وقعه الخيل .. كما
كان الحال فى الريف منذ خمسين او
مائة سنة .. لا يوجد الآن الفراغ الذى
كان فى الماضى .. والحياة تدور بسرعة
ونحن نجرى فيها بأسرع مما كان ..
والجواد لطول العشرة يصبح قطعة من
جسم صاحبه ..

— وجوادك هذا الا ترغب فى بيعه ؟

— ما فكرت فى هذا قط ..
— حتى ولو اعطيت فيه ثمن سيارة ؟
— وما نفعى من السيارة .. ان هذا
الجواد صديقى ورفيق الطريق فهل
ابيع رفيقى بسيارة ..
اننى عندما امسح يدي على كاهله
.. واراد يهتز فرحا احس باننى اضع
كفى على الدنيا بأسرها ..
— أترقص به فى الموالد .. ؟

— افعل به كل شئ .. كل ما يخطر
لك على البال .. وأركبه بسرج ومن
غير سرج .. وبلجام ومن غير لجام ..
وامضى به فى الليل المظلم وفى وضوح
النهار .. وفى النار الموقدة .. وفى
النسيم العار .. واتخطى به الجداول
.. وأعبر القنوتات ...

وهو يعرف بمجرد ان اضع جسمى
على ظهره ما اطلبه منه .. دون ان
احته على الاسراع او التبختر ..
فهل هذا الجواد يباع .. ؟
— أبدا .. ولو بكل ما فى الدنيا من
ذهب ...

وكان الجواد قد مد راسه نحو
الحشائش .. فنهض الفارس وأزاح
عنه السرج .. واللجام .. وتناول من
السرج البندقية .. وأمسك بها فى يده
وجلس مكانه .. وقدم ابن عبد الغفار
بعض العلف للجواد .. فأرخى رأسه
وأخذ يأكل ..

واستغرق الجالسون فى الحديث ..
حتى مالت الشمس للعقيب ثم تنبهوا
على صوت الجواد وهو يصهل ..
وتلفتوا فوجدوا ثعبانا ضخما يزحف
عليهم ..
ووثب الفلاحون من مكانهم ..

وعادوا لحديثهم .. كان لم يحدث
شيء .

وامتدروا فى سمرهم .. حتى مضى
جزء من الليل .. ولأن محفوظ كان
قد ذهب الى السوق ولم يعد حتى بعد
صلاة العشاء .. فقد استبقى
عبد الغفار ضيفه الى الصباح .. لينجز
المسألة التى جاء من أجلها .

ورضى الفارس أن يبقى وتعيشوا
وفرشوا له خارج الحص فى العراء لأن
الحرارة كانت لاتزال شديدة .

وناموا جميعا مثله فى العراء ..
وبقيت الكلاب وحدها ساهرة فى
المزرعة ..

ولاحت النجوم متألقة فى السماء ..
ولكن القمر لم يطلع بعد ..
وفى الصباح استيقظ عبد الغفار قبل
ضيفه ودار حول الحقل كعادته .

وعندما رجع الى الفارس وجده
لا يزال نائما .. ووجد على قيد ذراع منه
شيئا أفزعه وأجرى الرعشة فى بدنه ..
وجد ثعبانا ضخما ميتا .. ولما أمعن فيه
البصر عرف أن حوافر الجواد دكته بعنف
وخمن أنه أنشئ الثعبان الذى قتله
الفارس فى ساعة الغروب .. خرجت
الحية الرهيبة لتنتقم .. وكان الجواد فى
مكانه يصهل .. ولم يكن عبد الغفار
يدرى الدغمت هذه الأنشئ الجواد قبل أن
تموت أم لا .. ولكنه كان يعرف أن
الجواد قد تغلب بقوته وذكاؤه على الشر
.. وحتى السموم سيتغلب عليها ..

وكانت نظيرة الجواد الى صاحبه
النائم .. تدل على أنه فعل شيئا كبيرا
.. من أجله ... فى الظلام ... شيئا
لم يحسن به انسان ...



وتناول كل منهم فاسا واحاطوا
بالثعبان ..

وتقدم عبد الغفار اليه رافعا الفاس
.. وحاول ضرب الثعبان فى راسه ..
ولكن الثعبان رواغه وخابت الضربة
واضطرب الجميع .

وزاد الامر خطورة ...

ولما شعر الفارس بخطورة الموقف
وحرجه .. تناول بندقيته سريعا
واطلق على رأس الثعبان فاصابه فى
مقتل .

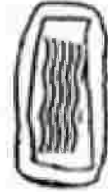
وجر احد الفلاحين الثعبان بحبل
والفاه بعيدا عن المكان ..

من الأدب الألماني

مخروس الدب

للكاتب الألماني : فيرنر برهجنرين

ترجمة : محمود إبراهيم الدسوقي



فيرنر جنجرين شاعر ألماني ، وكاتب أقاصيص ، واساطير ، وقصص ، يريد أن يكشف فيها عن النظام الأبدي للعالم ، وهو عضو في المجمع الألماني للغة والشعر ، وحائز لجائزة ولهم رابه . ولد في سنة ١٨٩٢ في ريجا على بحر البلطيق ، ودرس في الجامعات الألمانية ، وحارب في صفوف الألمان في الحرب العالمية الأولى ، واشتغل بالصحافة بعد ذلك . فلما كانت الحرب العالمية الثانية فقد وطنه ليتلاند ، ونزح الى التيرول ، ثم هاجر الى سويسره بعد الحرب . وهو يعيش الآن في زوريخ . وقد رفعه تفوقه في فن القص ، وحذقه للغة ، وعمقه الذهني ، وانسانيته المتسمة بالتقوى ، فوق مستوى عصره ...

الركوب التي كانت ملقاة أمامه على مكتبه وهكذا بقيت الطفلة في رعاية القرية ، ففي كل سنة تنتقل من ضيعة الى ضيعة غير التي كانت فيها من قبل وقد آواها الموسرون أول من آووها ، لان الانسان في أول عهده بالحياة ، لا يصلح لشيء سوى الأكل . لكنه حين يبلغ الرابعة يمكن أن يحتاج اليه في رعي الماشية ، اذا ما أبطله عائلوه عادة اللعب ، والقرويون يفهمون ذلك .

كانت الفتاة تسمى ليزو . فلما بلغت السادسة من عمرها جاءت الى «يوري»

لما كان مايزال في أبرشية تيليكولشن ديبه ، كانت فتاة لا مكان لها في الوجود . كما كان الناس يقولون - تعيش بين القرويين . كانت أمها بلا زوج ، ثم ماتت وهي في النفاس . وقيل ان أباهما كان جنديا ، جنديا ما ، من السويديين أو الروس أو السكسونيين أو البولنديين فعلم ذلك عند الله ، اذ مر منهم كثيرون يجوسون خلال الديار ، وقد ترك القرويون الطفلة لمصيرها ، لان الوقت كان عصيبا ، وكانوا ذوي معسرة . لكن القسيس دعا اليه كبير القرية فعنفه ، وجرح ضميره المسيحي ، هذا الى عصا

قصير الرجل ، وكانت زوجته تسمى « ماريت » قصيرة الرجل أسوة بزوجها ، وان كانت بالذات مديدة الساقين تستطيع الجرى كما يجرى الذئب . هذا الى ما يراه زوجها من أن لها أيضا صوتا كعواء جراء الذئب . وكان هذا رأى ليزو أيضا بعد أن زاولتها عادة الخوف من ضرب هو أقسى مما يمكن أن يبقى لها هذه العادة . لكنها مع ذلك كانت تخشى ماريت قصيرة الرجل .

وكانت ليزو تقبع بين غاب المستنقع تخيك لماريت قصيرة الرجل ، بينما كانت أبغارها ترعى الكلا . ولم يكن سهلا عليها أن تقسم وقتها ، لأنها لا تدرك المفاهيم هنا بعد ، لكنها كانت تعيش خبراتها فحسب كما يعيشها الحيوان . فإذا مضت أطول مما يجب في جنى الثوت ، وحأكت أقل مما ينبغي ، ضربتها ماريت عندما يأتى المساء بمشكاش النار ، وإذا حأكت أطول مما يجب وأكلت من الثوت أقل مما ينبغي بقيت جوعانة ، لأن قطعة الخبز التى كانت تتزود بها ، لم تكن تكفى ، هذا الى أنه كان خبزا عجن بالتبن المخروط ولحاء الشجر المطحون وهو ما كان كبير القرية نفسه يأكل منه ولا يأكل سواه .

وفى يوم الاحد كان عليها أن تحرس البيت وترعى الاطفال ، بينما يتوجه قصير الرجل مع زوجته الى الكنيسة ، فربطت ليزو ذات مرة قدم أصفرهم برجل المائدة كى يعجز الغلام عن الحاق ضرر ، ثم جرت الى البحيرة لأنها كانت سمعت أن الغرق فيها لا يستغرق وقتا طويلا ، وأن حود البحيرة يزودن الفرقى بخبز نقى مصنوع من الدقيق . لكنه كان فى البحيرة زورق مما يسير بالمجداف يجلس فيه كاتب سيد القرية المحترم

يصطاد السمك . فنادى عليها بالالمانية أولا ثم باللغة الاستونية لأنها لم تكن تفهم لغة سادتها ، وحذرها من التجاسر والنزول للاستحمام حتى لا تطفش السمك ، فعادت أدراجها الى البيت وفكت قيد الغلام واستلقت على الارض ، وجعلت تعول وتنشأ أصابعها وأسنانها فى فروة الخروف العتيقة التى اعتاد القرويون أن يلتحفوها فوق دكة الفرن .

كان هذا قيد فكرها وهى ترعى البقر ، وكانت تفكر أيضا فى أنها اختصت بالكثير من السوء مما لا يصيب سائر من عرفت من الناس . لكنها لم تكن فى العادة تفكر كما يفكر الناس ممن ألفوا منذ الصغر أن يتبادلوا الحديث غالبا عن كل ما يقع من أحداث ، فكان ينتظم تفكيرهم من ثم نظام مالوف ، أما هى فكانت تفكر على أسلوبها لأن أحدا لم يخاطبها قط الا فى أن يصدر اليها امرا أو يعنفها بكلمة ، ولأنها كانت غالبا وحدها فى الغابة خارجا . وكان تفكيرها يدور أيضا حول أن شيئا كحوت سليمان قفز فى النهر ثم اختفى ثانية ثم عاد فقفز ثم اختفى من جديد . ثم انها أيضا لم تتسن لها خبرات تتجاوز رعى البقر والحياسة وتناول الخبز والثوت وتلقى الضربات . وهكذا لم تكن تختلف كثيرا عن أى حيوان . والحزن الى حال تأمن فيها من الاخطار كان كذلك مما يداخل الحيوان . غير أن ذلك الذى يميزها كانسانة خلقها الله عن الحيوانات - ذلك بالذات - لم يظهر عليها كما ينبغي ولم يتأكد فى وعيها . ومن ثم كانت تأنس الى الحيوانات أنسا كبيرا من دون أن تتودد الى خروف أو بقرة بطبيعة الحال كما يفعل أطفال سادتها أحيانا ، ولم تكن

تخاف حيوانا ولو كان ذئبا كما كانت
تخاف ما ريت قصيرة الرجل .

و ذات يوم بينا هي تحشو قمها على
عجل بالتوت حرصا على وقتها أن يفوت ،
بدا لها كأن إحدى البقرات ينتابها شيء
من الاضطراب فتبرطع هنا وهناك .
فنادتها ليزو بتلك اللغة التي تخاطب
بها الحيوانات من دون أن تتدبر الكلمات
والالفاظ أو تكون تعلمتها عن الغير ،
لكن كما تجدها في نفسها بالبداية .
وجارت البقرة وبرطعت متهيبة ، وترددت
لا تعرف وجهة تتجهها ، وقلدها سائر
البقر ، فأرادت ليزو أن تقفز وراءها ،
لكنها فكرت في التريث برهة وجيزة ،
لأنها لم تكن انتهت بعد من اؤرداد
التوت . وانها لذلك اذا بها ترى البقر
يأبق وتسمع خواره الجازع ، فهبت من
قعدتها مذعورة مليئة الفم ، وأحسست
كما لو كان ظل ثقيل أسود دافئ ينيخ
عليها . بلى لقد كان دافئا ، وكان داكنا
جدا .

وجرت في الظلمة أشياء كثيرة من
دون أن تستطيع ليزو تبيينها بالدقة أو
ادراكها ، كذلك لم تستطع أن تقيس
في أية فترات أو بأن تعاقب وقعت لها
هذه الاشياء . ويجب أن نقرر أنها لم
تكن مكلفة بأن تراجع نفسها كما يفعل
سائر الناس . وانزلق شيء رطب على
وجهها وكان خشنا في ملمسه ، لكنه بدا
لها انها لم تكن تتوجس منه شيئا . وهب
عليها نفس دافئ عرفته في أفواه البقر ،
نفس تنبعث منه رائحة الغابة والعشب
النضر . ولا مستها هناك أغصان
ووخزتها أشواك ، وأحسست تسلخا في
أماها وجراحا ، وشعرت بدمها يسيل
وبضغط عاصر ورخاوة محسنة تخالط
أعضائها سرعان ما تتبدل في وعيها الما .

وظنت برهة أنها تسمع خريرا اختلط
فيها مع العطش والزحف على الارض
والبلل واطفاء الظلمة . وكانت هناك أيضا
دمدمة ونخير وملامسات شعر مترفقة .
هذا تقريبا ما خبرته الفتاة اذ ذاك
وما بقي قيد ذاكرتها فيما بعد اذا ما جاز
لها أن تتكلم عن الذكريات . وكان في
جملة ما وعت الذاكرة جزر وخيار
وأقراص عسل بل خبز أيضا . وكان
من تصوراتها حيوان ارتوت من دمه
الدافئ ، وتناولت لحمه النقي .

وتلاشت الآلام ، وانحسر كذلك
الظلام ، لأنه كان هناك موضع يسقط
منه النور ولو بقدر ضئيل . لكنه كفى
مرة لأن تتبين ليزو أن بجانبها ترقد
كتلة مسترخية تنففس أو تنفخ ، فلم
تعجب لما تبينت بجوارها دبا ، وراقها
أن تمسح بيدها على جلده ، وأن تدلكه ،
وأن تتحدث اليه كما تتحدث الى بقرها .
وأعادت ذلك وتكرر أيضا كل ما عداه :
الأكل والشرب وفراش العشب اللين
بوسائده وأغطيته ، والظلمة الغالبة ،
والضوء المتسلل ، والدمدمة ، والهمهمة ،
والتنففس ، والدفء الطيب المنبعث من
الدب كلما التصقت ليزو بجلده . ودلكنه
وكانت تؤثر في الدعك رقبته حيث كان
دغل فروته يحوي بقعة بيضاء تترسل
منها خطوط صغيرة على جانبيه .

وكانت ليزو شبعانة دفيانة لا يضيرها
أن تمر بها فترات وجيزة في نظرها ،
يرعشها فيها البرد أو يتملكها الجوع ،
فقد كان لها أن تنام على هواها ، فلا من
يرميها بكلمة قاسية ، ولا بها من حاجة
الى محاذرة أحد ، أو الهرب منه ، لا وعى
عندها لمر الزمن ، لأنها كانت تعيش في
بحبوحة ، وترضى رغباتها ، وتسدد
حاجاتها ، كالجنين في بطن أمه .

والرغبات والحاجات كانت عندها واحدة ، فإذا ألقت نفسها وحدها عرفت أن الدب القادر سيعود اليها ومعه القوت ، ودفع الجلد والجسم ، وكل وسائل الراحة . وكانت تشكر له هذا بذلك الحب الشاكر للراحة الذي يلصق الكلب بسيده .

وقد أعجبى الناس فيما بعد أن يستخلصوا من الفتاة هل -دب حال بينها وبين مبارحة المفارقة بحال من الاحوال ، فدخرج على سبيل المثال حجرا سد به المدخل . وهو ما كان الناس يعلمونه من التاريخ عن انسان دب أو دبية بشرية كانت عجائز القرية تحب أن تحكى عنها الحكايات وتعيد بها ذكريات الأجداد . وكان الحديث يعرض رأيا كان أيضا رأى القسيس هو أن الأمر في إقامة الفتاة لا يتعلق بمفارقة دب حقيقية بل قد يكون مخبأ من المخايبي التي كان يعتصم بها القرويون أو الفارون في الغابات أثناء الحرب الطويلة الأمد ، أو لعله وحيدة من تلك الوهاد الصخرية التي ينبع فيها الماء اتخذت ملجأ ثم هجرت فيما بعد . بل لعله كان لهذا المخبأ باب في الأرض ينطبق إذا مس الدب عند مغادرته مغارته بوزنه الثقيل موضعا بعينه وهو لا يعلم هذا ما رأى الناس ، ذلك أنه كان يبدو لهم مما لا يقبل التصديق أن تقيم الفتاة ليزو عند الدب بمحض إرادتها . كذلك خطر لهم أن الفتاة تكون قد وقعت على بعض القوت المخبأ المنسى كجبن الضأن واللحم المملح الملفوف في نسيج الكتان المدحون بالقار حفظا له من الدود وصونا من الفساد . ذلك أنه لم يكن من المعقول أن يحمل الدب إلى الفتاة الزاد كما تحمل أمهات الحيوان إلى صغارها القوت ، غير

أن أحد القرويين واسمه «أولو» ذكر الغرم بالدب الذي جاء إلى القرن في الفسق ورمى النساء برعب عظيم . وكان أولو يملك هندقية - اذ قيل أنه ذبح مرة جصديا هازبا من حملة البنادق - فأطلقها على الدب الذي خلف وراءه أثرا من دمه فوق الكلا .

وذات مرة ، وقد عاد الدب يهر ويثن ، لحظت ليزو أن يكتفه بللا من سائل دفي . لكننها في نفس الوقت وجدت رغيفا ملقى على الأرض كان أيضا ساخنا فلعلقت ليزو السائل الدافي من جلده . وقضمت في خلال ذلك في الرغيف الساخن . ولما كان السائل لا ينقطع ، والدب يثن أنينا متواصلا مزقت ليزو قطعة من أتمالها وضمدت جراح الدب عند الكتف . وقد يكون خبر القرية الساخن ذكرها بجرح رآته يضمده في القرية . ولبت الدب في المفارقة فترة أطول مما اعتاد ، قلما خرج أخيرا ثم عاد كانت الضمادة قد زالت عن كتفه أثناء عودته . بيد أن الجرح كف عن التزيف .

وبدا ذات مرة للفتاة كأن غيبة الدب قد طالت أكثر من المألوف ، وقاست ذلك باشتداد وطأة الجوع عليها ، بعد أن استهلكت كل ما كان لديها من القوت . واشتدت المسغبة ، وساورها في نفس الوقت خوف بهيم من أي شيء يمكن أن يغير نظام الأشياء . وبلغ منها أن خيلت اليها قلة الحيلة ، وخيل اليها الضيق ، أنها ترى في الغاب عشب الغراب والتوت ، بل أيضا ضيعة قصير الرجل بأرغفتها المعهودة .

وبغلة تعرضت الفتاة لضوء أليم . ذلك أن الشمس طلعت في الخارج نافذة من خلال شجر السندرو وأعصانه الجرداء

فذكرها مرآها بمنكاش النار . لكنها
ألمت بصوت مرتفع عميق حصر له الناس
رؤوسهم ، ثم لم تسمع الفتاة بعد
ذلك ولم تر شيئا أمدا طويلا . وتذكر
القسيس الطفلة اليتيمة قائلة أنه لم يهتم
بليزو في السنوات الماضية . لكنه كيف
كان يسهه الاهتمام بها ؟ فقد كان شيئا ،
وكان زملاؤه في هالنبرج قد شنقهم
القوزاق ، ورئيس دير ماندا قد أخذه
جنرال رهينة ، ولم يعد أحد يسمع به .
فكان لزاما على القسيس أن يؤدي عنهم
واجباتهم ، ويقطع في سبيل ذلك آميالا
مربعة لا تعد .

وأدخل القسيس آلان ليزو الى داره ،
ومددها على زكينة من القش ، وأحكم
فوقها الغطاء ، ثم جعل زوجته بعد ذلك
تغسلها وتغلي لها ما تشربه . ودعنت
امراة القسيس قدميها بمرهم وربطتهما .
وكان عليها اطعامها ، لكنها أطعمتها كما
تطعم طفلا صغيرا لانها لم يكن لديها في
أول الامر مطهي تحتفظ به ، وخشيت
زوجة القسيس أن تموت الفتاة كما يموت
أرنب صغير .

واستردت ليزو مع الوقت قواها ،
وجعلت تأكل كما يأكل سائر البشر ،
وارتدت من الثياب ما يرتدى هؤلاء ،
وجعلت تجيب على ما تسأل كما يجيب
سائر الناس ، وتعلمت أن تسمى الاشياء
باسمائها وكانت تجهل ذلك من قبل .
وقال الناس انه قد هبطت عليها السعادة
من السماء ، وانها انتقلت من مفارة
الدب الى دار القسيس ، وان القسيس
سيعني بأن تزوج في حينه من رجل
ضالح ويساعد على جهازها ، وكان
آخرون لا يصدقون الفتاة ويرغمون أنها
لحقت ببعض النور أو اختلطت ببعض

التي تقطر بالماء ، والتنع الثلج الذائب
حتى اضطررها الى أن تغمض عينيها ، لكنها
أحسست في نفس الوقت أن ساقبيها
تخذلانها ، فجعلت تجر نفسها خسلا
الغابة العديده القوت ، من جذع الى
جذع ، وقد دميت قدميها والم بها عذاب
شديد ، وجاءت الى المستنقع وكان يتعذر
عليها اجتيازها ، وكانت قطع الجليد
تنكسر تحت وطنها ، وماء الثلج يغرغر ،
ودجاج الغابة العابريصيح . وفيما خلا
ذلك كان كل شيء هادئا ، فكان في
وسعيها أن تصرخ وتصيح ما شاء لها
الصباح .

والتفتت العودة فعزت عليها العودة ،
وأقبل الغسق ، وهبط الظلام ، فقبعت
عند كتلة من الحجر في هدأة الريح ،
وانتزعت من الارض الزلقة عشباً لتدفي .
قدميها وذلك أطرافها بالثلج لتقاوم
التجمد . وتقضى الليل في هذا البؤس ،
لكنها في الصباح الباكر سمعت دق
أجراس فتعجبت كثيراً ثم لم تلبث أن
تبينت قرع أجراس كنيسة القرية ،
فنهضت وأرادت المسير على هدى الصوت
لكنه لما كانت قواها قد خارت ، وكان
عليها أن تدور من طرق أخرى حول مياه
الربيع الذائبة وماء المستنقع ، احتاجت
الى وقت طويل مضى للخروج من الغابة
وبلوغ الكنيسة . وكان الخان قبالة
الكنيسة فكانت مركبات القرويين واقفة
صفا طويلا ، مشدودة الى مربوط العربات ،
فתיبنت حصان آل قصير الرجل - ذلك
الحصان الهرم ، فامتطته وتسلفت الى
دريس العربة وغابت فيه عن الرشد .

واستيقظت على هز وصراخ ، فرات
وجوها تحملى فيها وكانت أكثر من أن
تحصى . وكانت عاريت أيضا بينهم

وحين تأتين للتثبيت فسوف ازودك بهذا
المثل ، •

وجعل القسيس يعلم الفتاة الدين •
فسمعت منه عن كريم قادر وعن واهب
للدفء والقوت عليها أن تحمده، وتتفانى
فى خدمته ، فكان يخيّل اليها أحيانا أن
القسيس يعنى بذلك نفسه ويعنى امرأته
القصيرة الضامرة • وأحيانا يبدو لها أنه
يعنى به شخصا آخر لا تعرفه • وهكذا
انتهت الى أن تقصر تفكيرها على الدب الذى
منحها كل شيء ولم يتقاضاها فى مقابله
عملا ما ، على أنها كان لابد أن تخرج الى
الفناء وترعى أيضا بقرات القسيس
وكانت ستا • لكنه يقال انها كانت قبل
الحرب أربعا وثمانين ، وهنا استعادت
كل اللفاظ التى كانت تخاطب بها الدب
وزادت عليها مجموعة من عبارات الرجا
علمها القسيس اياها • ومع ذلك لم
يشأ الدب أن يعود • ومهما يكن من
تلقاها أو تقابله فانه كان يذكرها بأسئلته
ومباضاته بالدب • كان يورى القصير
الرجل يقول لها : « طاب يومك يا عروس
الدب الصغيرة • أبلغى عريسك عنى
السلام ! » وكانت ماريت قصيرة الرجل
تقول لها وهى تصيح وراها : أترأك
ذاهبة عما قريب الى مغارة الدب تنسكعين
عنده ؟ • وليس شك فى أن ماريت لم
تعد تجرؤ أن تمس الفتاة منذ أقامت فى
بيت القسيس • وإذا حل بالقسيس
ضيف دعيت ليزو الى الحجرة الكبيرة
ليسألها الضيف وتجيّب • وهنا كانت
تقف بالباب فتؤمر بصراة أن تقترب
وتفتح فاما • لكنه ما الذى كان ينبغى
أن تقول • لقد طالما أبدأت وأعادت ،
حتى لقد بدا لها أنها تصبح بكل كلمة
تلفظها أكثر رداة مما كانت وأبعد عن

الجنود العائنين فى الارض فسادا • لكن
الجميع كانوا يلاحقونها بالسؤال، وكان
الأطفال يصيحون وراها : عروس الدب !
عروس الدب !

وفى أواخر الخريف ذات مساء
خرجت ليزو من حظيرة الماشية وأرادت
أن تحمل ماء من بئر الفناء • وكان سيد
القرية المحترم قد جاء راكبا يرتدى سترة
الصيد المرقعة ، فرائه يخرج من باب
البيت مع القسيس فى الضوء الخابى
فناداهما القسيس وكلفها بأن تقص على
السيد المحترم ما كان من مقامها فى مغارة
الدب • وكان السيد أنشأ ذلك يهر
رأسه ويضحك وكأنه يهر ويقول : « كذا ،
كذا • » أو « من يعلم ! » ثم ناول
القسيس فى الختام قطعة نحاسية من
التقود على أن يدخرها للفتاة • وعلى كل
فهو - على حد قوله - لم يسمع بأن دبا
فى ذلك الحين رمى فى أرضه بالرصاص ،
لانه - كما قال - كان ما يزال فى
المحاجية جنود جوايون يحملون البنادق ،
ولا يحفلون بحق الصيد ، فليس من
سبيل الى التحرى الدقيق ، ثم أشار
الى نجم فى السماء الداكنة الزرقة فوق
سطح آل كليتون بالذات يضحك فى
سخرية : « هذا هو الدب الأكبر ،
انظرى اليه ! فلعلك نزلت عليه ضيفة ،
فاذا كبرت بما فيه الكفاية فقد تستطيعين
أن تدلكى له زوره ! »

ولم تفهم ليزو ما يقول ، وانحرف
السيد المحترم راكبا يتبعه القسيس
بنظرة وقال ليزو : « ليصادف الانسان
دبة تكول ولا جامل فى حماقته ، كما
جاء فى «أمثال» التوراة فى الاصحاح
السابع عشر - الآية الثانية عشرة •

ثم عرجى عن يمين فاسرهون والطريق
من هناك مطروق ، *

ولما خرجت ليزو من دفء الحظيرة التي
ينتشر فيها البخار الى الفناء كانت صور
النجوم فى فصل الخريف تعلو الدور
القائمة هائلة تنللاً ، وكان لكلب الضيعة
شخير وهو شبه نائم ، فأرغشها البرد ،
وضمت الى صدرها بعض رغيف صوته
فى قطعة من القماش كأنها أملت أن
تدفئها . ورفعت بصرها فراءت فوق
شجر التفاح فى الحديقة لمعان نجم الدب
ثابتاً لا يتحرك فتطلعت اليه دهشة ،
وخطر لها ما تفوه به السيد المحترم من
تلك الكلمات وما أدلى به القسيس عن
المسيحية من أقوال وما وعظ به يوم
الاحد عن السماء .

فلما عرجت عند فاسرهوف تذكرت
«أولاً» فغضبت اذ اعتاد أن يقول لها وهو
يطرف بعينه : « أجل لقد كويت جلد
حبيبك كيئة صميعة » . وعند طلوع
الشمس فرت بين المراعى وجعلت تتناول
من خبزها . وجاءت مركبة تستقلها قروية
عجوز قاسية الملامح ولما كانت من قرية
غريبة فقد سألت ليزو ان كانت تريد أن
تصحبها فلما انقضت ساعة على ركوبها
قالت العجوز : « من لم يتعلم بعد أن
يفتح فمه حين يسأل فليسر على قدميه
اهبطى أيتها الطفلة ! »

وفى المساء بلغت ليزو بركنكروج ،
وتسللت الى الضيعة ، وكان فى فنائها
مركبة محلوقة مما يستقل السادة ، فقصت
الليل بداخلها ، وحلمت بالدفء الذى
كان يواتيها من الجسم القوى وعند
العصر وصلت الى شغارتسنبرج فداخلها
خوف كثير من أن تلقى أحداً من أهل

الصدق مما هي سواء ضحك السامعون غير
مصدقين أو قال صياد هرم من صيادى
الدبة : ان مثل هذا يقع لكنه نادر الوقوع
وقد كان يدخل فى روع ليزا انها كانت
تعيش فى حال لا خير فيها بل الشر والا
لما أمكن أن يبدو لها عهد الدب السعيد
رديثاً لا يقبل التصديق . وكانت فى
ذلك أيضاً أسئلة كثيرة لم تدركها
فأمسكت من ثم عن الكلام وكان أن
لحظت ان سامعيها غير راضين .

وفى العام الثانى لاقايتها عند القسيس
جاء سيد غريب فأمرت ليزو أن تغسل
له يديه ورجليه ثم كلفت بعد ذلك أن
تتوجه الى الحجرة الكبرى ليزوها
ويسالوها . ثم تحدث القسيس وضيغه
باللغة الالمانية فلاحظت ان الحديث يدور
حولها فأنهها ذلك وأحسست ضيقاً
لا يحتمل . فلما عادت الى الفناء كان
سائس عربة الغريب يقف مع الخيل ،
رجلاً أشيب الشعر ، يدخن غليوناً ، فكان
لا بد أن تجيبه هو الآخر عن أسئلته فجعل
يسمع لها من دون اكترات ، ثم بصق
على الارض وقال :

« لقد قابلنا أمس نحن أيضاً دبا أنا
وسيدى . كان هذا فى بركنكروج فمر
بعض النور يقودون دبا من سلسلة الى
سوق شغارتسنبرج السنوية . وكان دبا
هانلاً قالوا انهم لقوا عناء كبيراً فى
ترويضه لانه كان قد تجاوز السن .
وكانت على كتفه ندبة جرح وفى رقبته
بقعة بيضاء ، وليس هذا بشائع بين
الدبة » .

فسألت ليزو : « وأين تقع
شغارتسنبرج ؟ »

قال السائس : « هناك » سبرى رأساً

قريتها . وقد رأت يورى قصير الرجل .
لكن هذا كان يرقد تحت مركبته
ويستهلك نشوته يوما . وكان فى الخان
ضجيج وعزف ، وعلى أخونة البيع أشياء
طيبة زاهية لم تلتفت اليها ليزو وكان
امام الكنيسة طبل يقرع ، والناس
يتحدثون عن النور وعن الدب . فجرت
ليزو الى هناك تحدوها تلك الثقة وذلك
التأكد الكامل الذى كانت تنتظر فيه
عودة الدب فى حياتها السابقة وهى
شبه نائمة . وشقت طريقها بين الناس
فاذا رجل رث الملابس اسود الشعر يقرع
الطبل ويصفر أيضا . وخرج آخر من
خلف المركبة يحمل سوطا فى يده
اليسرى ويسحب باليمنى سلسلة ،
فوقف وشد السلسلة وطرق بالسوط ،
فعلا من زاوية المركبة نفخ أنفاس دفىء
لها قلب ليزو . وعاد النورى يطرق
بالسوط ، ويجذب السلسلة . وهنا
جعل الدب يخب الى الدائرة ويطا برجليه
وطئا باطشا ، فوكزه الرجل فى جنبه
فشب كارها ، وبرطم ، وجعل يدور
كثيبا ، بليدا ، لا يحسن أداء ، وضحك
الواقفون . ولم تكن ليزو قد رأت قبل
الآن دبا أسيرا مهانا ، لكنها لم تفكر
الا فى أنه حسبها أن تجد فينتقل بسحر
ساحر الى أرض الدببة حيث الرخاء
ورغد العيش وكل كفاء . وحملت فى
الدب الغليظ والكمامة على فمه ، والندبة
فى كتفه ، والسلسلة الثقيلة فى طوقه ،
وقد كسا الطوق بعض تلك البقعة البيضاء
فنادته بتلك الالفاظ القديمة مبهورة
الأنفاس ، فأخذ الدب يستدير ببطء ذات

اليمنى وذات الشمال يتخطى بعينيه
الكدرتين هذا الغفير من الناس الذين
يرمونه بالخوف .

ودفع ليزو فى جنبها رجل هرم قال
لها : « هل احتسيت خمرا آيتها الفتاة
الحققاء ! »

وعوى فى نفس الوقت من بعيد صوت
جرو الذئب من ماريت الغاضبة قصيرة
الرجل وهى تقول : « هيه ، يا عروس
الدب ! انتظري فقط ، فسأعيدك الى
القسيس ! »

وسرت فى النظارة حركة ، وسكت
الطبل ، والتفت الكثيرون الى ليزو ،
وكف الدب عن التحرك ، وبدا كما لو
كان يبغى الاستلقاء . لكنه حدج مروضه
بنظرة مرتاعة كأنما يريد أن يستوثق
من أن هذا لا يجر عليه عقابا . وأخيرا
استسلم للقياد وهو متناقل .

وصرخت ليزو صرخة عاتية ، ووثبت
الى رقبتة ، وضغطت رأسها على فروته
الدافئة ومدت يدها الى البقعة البيضاء
فى رقبتة ، فاختلج الدب اختلاجة عبر
بها عن غضبه وذعره ورغبته فى دفعها
عن نفسه معا . ثم دعم دمدمة حائقة
ولطم ليزو بمخلبه الايسر على ظهرها ،
وهوى فى نفس اللحظة تقريبا بالأيمن
على طاسة دماغها ، فزجر القرويون
ورفعوا الهراوات والفؤوس والمنساجل
المشتراة حديثا ، ودوت صرخات النوريات
وأطلقت رصاصات . ولم يستغرق هذا
سوى ثوان ، ثم ارتمت الكتلة السوداء
السمراء بلا حراك كأنها فروة دب متجمدة

تطور الرواية العربية الحديثة في مصر

(١٨٧٠ — ١٩٣٨)

تأليف: الدكتور عبد المحسن طه بدر

عرضه وتحليل: الدكتور عبد الحميد يونس

من أهم ما دعى اليه الجامعيون ، واستجاب له المجلس الأعلى للآداب والفنون ، أن تداع في الناس الدراسات والأبحاث التي ينهض بها الشباب الجامعي ، ويحرز بوساطتها ، جائزة علمية . ولقد كان الشرط الذي فرضه القانون فيما مضى ، وأوجبه على كل من يتقدم ببحث علمي تجيزه لجنة الفحص في الجامعة ، أن يطبع أولا لكي يسهم المتخصصون في تقييمه والحكم عليه خارج الجامعة ، ولكي يكون متداولاً بين الباحثين في البيئات العلمية المختلفة . واليوم تعود هذه السنة الى الظهور ، وتطالعنا المطبعة ببعض الدراسات الجامعية ، وهذا الكتاب الذي تقدمه الى القراء ، عبارة عن رسالة تقدم بها صاحبها لنيل اجازة الدكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة . وعلى الرغم من اشتراكى في مناقشتها ، فاننى لا أجد حرجاً من عرضها وتحليلها .

والقد حدد الدكتور عبد المحسن طه بدر موضوعه قبل أن يشرع فيه ، فجعله يبدأ بالثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وينتهى بالعام السابق على نشوب الحرب العالمية الثانية . وهذا التاريخ يستغرق أحداثاً كبيرة من التاحتين الوطنية والعالمية . فقد شهد ثورتى عام ١٨٨١ ، وعام ١٩١٩ ، وشهد الحرب العالمية الاولى . أما المكان فقصره على الوطن المصرى لسببين ، أولهما ، ارتباطه به ، وقدرته على قصص العوامل والتطورات فيه ، وثانيهما ، رايه فى أن القطر المصرى هو الذى شهد نشأة الرواية الفنية ، مع الاعتراف بفضل المهاجرين السوريين واللبنانيين الذين عاشوا فى مصر ، والذين أسهموا بتصويب موفور فى ترجمة الرواية وتأليفها .

واصطنع المؤلف فى بحثه منهجاً مزدوجاً هو : منهج التاريخ الذى يرصد النشأة والسياق ، ويسجل التغيرات ، ومنهج النقد الذى يلتمس مقومات البناء الفنى فى الرواية العربية الحديثة ، فهو يقول مهذا لبحثه : « استقر رأيى فى النهاية على اختيار منهج يجمع بين المنهج التاريخى والمنهج النقدى ، لأننى ما دمت أومن بالتطور فلا يمكننى أن أغفل تأثير الزمن فى تطور الرواية ، ولما كان هذا التطور لا يظهر الا منعكساً على موضوع الرواية والاسلوب الذى اتبعه مؤلفها فى كتابتها ، كان لابد للباحث من قياس هذا التطور على ضوء المقاييس النقدية ، ولذلك حاولت فى تقسيم البحث ، وفى طريقة معالجته . الجمع بين هذين العنصرين ووجدت أن

الجمع بينهما لا يتعارض مع واقع تطور الرواية العربية في مصر. إلا في حالات نادرة حاولت تبريرها .

حاجة الدراسة الأدبية الى الاحصاء :

ولا بد للنظر الموضوعي الى نوع أدبي قائم برأسه كالرواية من الاعتماد على الاحصاء التحليلي ، وأحب أن أقرر بهذه المناسبة ، أن مؤرخي الأدب ونقاده قلما يحفلون بالاحصاء وما يمكن أن يؤدي اليه من نتائج ، ودارس الانسانيات بصفة عامة ، والأدب بصفة خاصة ، يجد مادته ومصنفه على الاساس الذي يريده في المكتبات والجامعات الأوروبية والأمريكية ، ولقد بلغ من عناية الغربيين بالاحصاء والتصنيف ، أنهم يصدرون في كل سنة - مثلاً - احصائية تستوعب الروايات التي ظهرت فيها ، وتصنفها على اساس جنس المؤلف ، ذكراً كان أو أنثى ، وعلى اساس الابطال الرئيسيين والثانويين من حيث الجنس والعمر والمهنة والطبقة ، بل وصورة الجسم وملامح النفس ، وعلى اساس الحدث في اعتماده على السببية ، أو خروجه على المعقول ، أو انقطاع حلقاته أو قيامه بالمصادفة أو المفاجأة . أما الباحث العربي ، فإنه يواجه في جمع مادته صعاباً جمّة . ولقد حرص الدكتور عبد المحسن ، أن يتعرف على جميع الروايات التي صدرت في مصر بين عامي ١٨٧٠ ، ١٩٣٨ ، فلم يجد أمامه فهرس دار الكتب ، وهي على الرغم من ترتيبها وتصنيفها على الاساس النوعي ، فإن المصطلح الادبي في فهرسها غير مستقر الى الآن ، بحيث لا تفرق بين الرواية باعتبارها القصة الطويلة فحسب ، وبين الاقصوصة وبين المسرحية ، وتجمع كل سرد أو أداء قصصي جماهيري في باب واحد ، كما أن الاكتفاء بما يذكر على غلاف الكتاب كثيراً ما يوقع في الخطأ ، وبخاصة في الترجمة والتمصير والاقتباس ، واستكمل المؤلف مادته من قائمة الروايات التي قدمها بروكلمان في الجزء الثالث من ملحق كتابه عن « تاريخ الأدب العربية » ومن القائمة التي أوردها المستشرق هنري بيرس عن الروايات التي ظهرت في اللغة العربية الى سنة ١٩٣٦ في مجلة « حوليات معهد الدراسات الشرقية » التي تصدرها جامعة الجزائر ، الى جانب بعض المحاولات الجامعية التي تعرضت بالبحث للمترجمات الأدبية .

ووضع المؤلف بين يدي الباحثين من بعده فهرساً جامعاً للروايات العربية المؤلفة والمترجمة التي طبعت في مصر ابان الفترة التي عرض لها بالدراسة ، وهذا البيان في ذاته ، جهد مشكور له قد يغني الاجيال عن الاحصاء وقصصا راهم أن يكملوا ما يكشف البحث عن النقص فيه ، ولكنه اكتفى بذكر أسماء المؤلفين والمترجمين وعناوين الروايات وسنوات الطبع ، ولو أنه فصل البيان بذكر لمحة وصفية للموضوع ، لأضاء معالم الطريق لمن يأتي بعده .

ومع أنه قسم بيانه على الاساس الفني ، ففصل بين الروايات التعليمية ، وروايات التسلية والترفيه ، والروايات الفنية ، فإنه أسقط بعض الحلقات ، ولعله لم يحصل عليها لسبب من الاسباب . من ذلك - على سبيل المثال - جهد ابراهيم رمزي الذي عرف بريادته للأدب المسرحي ، في الرواية التاريخية ، فلقد أصدر عام

١٩٣٦ « باب القمر » ليبدأ بها معالجة التاريخ الاسلامي معالجة قصصية ، وذكر في مقدمتها أنها ثمرة توجيه من الامام محمد عبده عندما لقيه في السودان عام ١٩٠٥ ، وانها استجابة للاحاح الشيخ عبد العزيز جادوش على سلوك هذا الميدان عندما عمل معه في وزارة المعارف عام ١٩٢٥ . وهذه الرواية تناقض في منهجها روايات تاريخ الاسلام التي ألفها جورجى زيدان ، وتغير من الحكم على تذبذب المثقفين بين رابطة اسلامية وقومية عربية ، ووطنية مصرية . ويعتقد كاتب هذه السطور ، أن الفهارس التي اعتمد عليها ليست جامعة للروايات الغنية وغير الغنية ، لأن قانون ايداع الكتب لم يكن مرعيا بين المؤلفين في الاجيال السابقة ، وليس المهم استيعاب كل ما صدر ، ولكن المهم استيعاب جميع الاتجاهات التي تلقى الاضواء على المذاهب الفنية ومراحل التطور .

التفسير الاجتماعى لتطور الرواية :

ولما كانت الرواية الفنية ظاهرة أدبية ذات مضمون انساني ، فمن الطبيعى أن تلتبس الظروف التي أعانت على نشأتها وتطورها وازدهارها ، وقد سبق الغرب الى الكشف عن هذه العلاقة الوثيقة بين الرواية الفنية ، والمحيط الاجتماعى الذى تنجم فيه ، وأفاد المؤلف من الدراسات الغربية فى رصد النشأة والتطور للرواية العربية الحديثة ، وهى دراسات لا تكتفى بالوصف ، ولا تقف عند السطح ، ولكنها تتعمق ما وراء هذا النوع الأدبى من انعكاسات على القالب الروائى ، وتصوير الشخصية ، وطبيعة الاحداث ، ويقول الدكتور بدر « . . ومع التسليم بقدّم النشاط الروائى والقصصى ، نرى بعض الباحثين يفرقون بين ما ينتج عن هذا النشاط فى العصر القبلى والاقطاعى وبينه فى العصر الحديث ، أى منذ القرن الثامن عشر ، ذلك الحديث المتأثر بالقديم فى بعض مظاهره ، والمختلف معه فى مظاهر أخرى كثيرة ، حتى أوشك بذلك أن يكون جنساً أدبياً مستقلاً منفصلاً عن مثيله فى العصر الاقطاعى ، واصطلح الباحثون على وصف هذا الانتاج بالروائى الفنى ، ليفرقوا بينه وبين الانتاج الروائى غير الفنى الذى سبقه . . »

وبعد أن فصل الكلام عن النظام الاجتماعى القبلى والزراعى ، وبعد أن بين ملامح المجتمع الاقطاعى الذى بلغ ذروته فى الملكيات المطلقة فى أوروبا ، أشار الى نزعة هذا النظام ، الى تجميد الاوضاع ، والعزوف عن التجربة العلمية ، والتحفظ فى العلاقات الاجتماعية ، وما كان لهذا كله من أثر على الأدب فى تصوير الانسان باعتباره نموذجاً أو مثلاً ، وفى الاعتصام بكمال التوازن فى السلوك وفى القول ، ومن وقوف الفكر الانسانى عند المجرد والعام والمطلق ، وارتباط الارادة بقوى خارج نطاقها ، وانقطاع السياق بالمصادفة والمفاجأة ، وبالتسليم التام للقدر ، وهكذا كانت « الرومانس » هى النمط القصصى الذى يصور هذا النظام الاجتماعى أكمل تصوير . .

ولما تداعى الاقطاع ، وظهرت الطبقة الوسطى ، تحول السرد القصصى من عالم

الوهم الى عالم الواقع ، والفارق بين هذين العالمين هو المعيار الرئيسى للتفريق بين الرواية الفنية وغير الفنية ، وهو تفريق ينسحب بالضرورة على البناء الروائى فى الحداث والعقدة والشخصية ، وتنقسم الاولى بالحتمية والسببية ، وتهتم بالروابط التى تجمع أحداثها ، أما الرواية الفنية ، فحلققات غير متماسكة تكاد تتحرك بلا محور رئيسى ، وتؤثر العجيب والغريب من الشخصوص والاحداث والصور ، وتشبع فضول القارئ أو المستمع فحسب ، ولا تصدر عن موقف خاص للمؤلف ، ولا يكاد مبدعها يحس بأن له رأيا خاصا يحتاج الى تجسيم وتشخيص وسياق ورمز .

وفطن الكاتب الى التشابه والاختلاف بين ظهور الطبقة الوسطى فى أوروبا وظهورها فى مصر ، واستشهد بأراء ثلاثة من الرواد فى الادب القصصى هم « محمود تيمور ويحيى حقى ومحمد حسين هيكل » ويجعل رأيه بهذه العبارة « . . . ولكننا نريد أن نشير الى ظاهرتين أثرتا تأثيرا كبيرا فى الظروف التى نشأت فيها الرواية الفنية ، ويوضحان فى الوقت نفسه الحلاف بينها وبين الظروف التى أحاطت بنشأة الرواية الغربية ، وتتصل الظاهرة الاولى بالظروف التى أحاطت بظهور الطبقة الوسطى المصرية من ناحية ، أما الظاهرة الثانية فتتمثل فى انقطاع الصلة بين منقفيها ، وبين تراثنا القديم ، وفى نفس الوقت الذى كانوا يحاولون فيه الاستقلال بالشخصية المصرية والتحرر الفردى » .

ومن الملاحظات التى لها وجاهتها ، أن الرواية الفنية فى مصر كانت انسلخا عن التراث القديم ، وعلى الرغم من تعبيرها عن خصائص الطبقة الوسطى ، فإنها لم تتركز على الصور القصصية الشعبية ، فى حين تعد نقطة التحول من القصص الاقطاعى الى الرواية الفنية فى أوروبا ، شعبية خالصة ، أثمرت قصصا شبيهة بحكايات الشطار التى زخر بها أدبنا الشعبى ، والتى تجددها فى ألف ليلة وليلة والظاهر بيبرس وعلى الزبيق المصرى وما إليها .

وإذا كنا نريد أن نركز البحث فى هذه الصفحات القليلة ، مع الاحتفاظ بمنهجيته ومزايه ، فإن الواجب يقتضيها أن نتجاوز عن التسيم التفصيلى لانماط الرواية العربية الحديثة ، وأن نقسم العرض فى بابين رئيسيين هما : « ما قبل الرواية الفنية » . ثم « الرواية الفنية » التى واكبت الوجدان القومى أو الوطنى ، وسأيرت ظهور الطبقة الوسطى .

ما قبل الرواية الفنية

واضطر الباحث ، وهو يتلمس بداية الطريق الطويل الذى أدى الى تطور الرواية العربية الحديثة ، الى أن يلاحظ خصائص الفكر العربى فى مصر منذ أواخر القرن الثامن عشر ، ويرجع السبب فى جمود القريحة الأدبية الى استغلال المجتمع على نفسه ، حتى أفاق على وجوب الموازنة بين واقع وبين الحضارة الغربية بحملته الفرنسية على مصر وبعض ثغور الشام ، وهذا الاتصال هو الذى حفز الى ظهور الرواية التعليمية فيما صدر عن رفاة الطهطاوى فى « تخليص الابريز » و « وقائع

تلميذك » ولقد كانت هناك رغبة مكبوتة للاصطلاح ، نكتفى بمجرد النقل والموازنة . وسأرت الرواية التعليمية بعد ذلك لتكون قالباً تصب فيه مختلف المعارف والعلوم ، وكأنها وسائل الايضاح التي يقرب بها المعلمون الظواهر والمعلومات الى اذهان التلاميذ ، وكانت في سردها أقرب الى المقالة منها الى القصة بالمعنى الصحيح .

واقضت الموازنة أول أمرها الى احياء التراث القديم الذي يتجاوز عصور الجمود والضعف . . . يتجاوز الحكم العثماني والمملوكي الى التاريخ العربي الاسلامي منذ الجاهلية الى العصر العباسي ، وكان الشعر أسبق في الاعتماد على هذا الاحياء الذي يمثل « الكلاسيكية الجديدة » من النثر الفني ، حتى اذا جاء المولدني ، والاحتلال الانجليزي في بواكيره ، ارتكز على فن قصصي عربي ، هو المقامة ، ولم يرحل ببطله من مصر الى باريس او غيرها ، وانما عاد به من العالم الآخر ليوازن بين الماضي القريب وبين الحاضر ، وليواجه صراعاً حاداً بين طبعتين ، ثم يلجأ الى استقدام عمدة من قلب الريف الى القاهرة ، ثم يخرج ببطله آخر الأمر من الديار المصرية الى فرنسا . ويظل حديث عيسى ابن هشام من صميم أدب المقامات المقيد بالزخرف والاستطراد وايراد المعارف والخطابية .

وتتحول الرواية التعليمية ، مهما كانت البراعة في السرد القصصي ، الى الترجمة غير الدقيقة التي استغلت المطبعة ، وظهور الصحافة ، واتساع نطاق القراء ، فكانت رواية التسلية والترفيه ، التي تؤثر الاحداث العجيبة على كل شيء آخر ، وهي من هذه الناحية ، روايات أحداث ، وليست روايات شخصيات ، فللوقائع مكان الصدارة ، والناس فيها تشخيص لا أكثر ولا أقل . . . لا ارادة لهم في أنفسهم ولا في محيطهم ، والخروج على المألوف هو القاعدة ، والخير مطلق ، والشر مطلق ، والصفات جامدة ثابتة مجملة لا تكاد تتغير .

والمؤلف ينتخب الأعلام الذين يستوعبون خصائص كل مرحلة ، والذين تنسم رواياتهم بانقومات التي تدل على معالم الطريق ، ويعمل ظهور الرواية التاريخية تعليلاً اجتماعياً ويبين مافيه من السمات التعليمية ، ومن خصائص التسلية والترفيه ، ومن التأثير بالانماط والنماذج الاوربية ، وانعكاس هذا كله على البناء الروائي في تحديد الاطار ، وبسط خلفية الصورة ، مع استحداث بؤرة رومانسية . . . وهكذا ، وهو يلخص رواية التسلية والترفيه ووظيفتها بقوله « . . لم تحاول رواية التسلية والترفيه أن تواجه الواقع ، ولكنها حاولت الهروب ، اما الى الماضي واما الى بيئات أجنبية ، وهي لا تعتمد على ادراك العلاقات ، ولا تؤمن بالسببية . وانما ينحصر جهدها في تقديم مجسوة من الاحداث الغريبة العجيبة والمسلية ، والشخصية الانسانية فيها ليست الا أداة لتقديم الغريب والمدهش وغير الواقعي ، وليست مقصودة لذاتها وتظهر في صورة مثالية موحدة تمثل الخير المطلق أو الشر المطلق . . »

الرواية الفنية

وبعد أن بدأت الطبقة الوسطى تخوض معاركها الكثيرة المعقدة ضد الاقطاع غير العربي ، ثم ضد الاحتلال الفرنسي فالانجليزي ، رأينا الدعوة الى الاستقلال تقترن

بفكرات « لبرالية » وافدة فاستغرق الصراع السياسى النشاط القومى الوطنى والطبقى ، وأخذت فكرة « مصر للمصريين » تفتش عن قوام فلسفى لها يقوم على تعقيل الحياة وإيثار التطور على الثورة الوطنية والاجتماعية ، ويتكى على إبراز مقومات الفرد ، ويحدد مسئوليته . ورأى المثقفون ما انتهت اليه الثورة العربية ، وأحسوا نذر الحرب التى تتداعى اليها قارات لا أمم وشعوب ، فانكمشوا على أنفسهم ، واستوعبهم الرومانسية التى وجدوا فيها ما يشبه التمرد على العام والمطلق ، فى الشخصية وفى السلوك ، وكما كان محمود سامى البارودى رائد الشعر فى حكاية التراث القديم ، كذلك كان أصحاب الديوان روادا فى الاعتصام بالغنائية التى تحقق الوجود الفردى فى الشعر ، وفى نفس الوقت رأينا الشاب محمد حسين هيكى الذى يطلب العلم فى فرنسا ، ويستدعى مشاهد من وطنه ينشئ ما يمكن أن يسمى رواية بالمفهوم الفنى ، فيها ما تتسم به الرومانسية من انتخاب مشاهد الطبيعة ، والملازمة بينها وبين المواقف العاطفية فى الفجر أو الغروب ، ويتأثر « جان جاك روسو » فى أن الإنسان خير بطبعه ، وأن الطبيعة جميلة بفطرتها ، وتجد شخصية المؤلف تنعكس فى أحد شخوص الرواية ، أما موضوعها ، فهو تحرير ارادة الفرد ، بالاعتراف بحقه فى الحب ، وكان اختياره لامرأة ريفية هى زينب ، دليلا يؤكد الفكرة الأساسية ، كما يؤكد رائد الإصلاح الاجتماعى « قاسم أمين » فى دعوته الى تحرير المرأة . ويتفق الدكتور عبد المحسن بدر مع غيره من الباحثين ، فى أن رواية زينب ، يمكن أن تعد المعلم الأول فى سيرة الرواية الفنية .

وتابع الباحث هذه الظاهرة « الغنائية » فى الرواية الفنية ، وهى التى تجعل المؤلف محور السرد أو الوقائع أو العلاقات ، وتكشف عن أزمة عاطفية أو فكرية ، وأطلق على هذا النمط اسم الرواية الذاتية ، وهو نمط يقترب من الاعتراف والمذكرات واليوميات ، وإن اصطنع اطارا آخر ، وكان بودنا ، وهو يحمل نماذج الرواية الذاتية ، أن يخرج من نطاقها الترجمة الذاتية (أوتو بيوجرافيا) . فقد رأينا يسلك فى بابها كتاب « الأيام » للدكتور طه حسين . ولعل استعمال الدكتور لضمير الغائب ، واحتفاله بتصوير البيئة ، وسخريته من بعض الشخصيات جعلته يتصور أن الكتاب رواية فنية ، مع أنه فى واقع أمره ترجمة ذاتية ترقى الى مستوى الفن الرفيع ، لأنها تعبر عن موقف مؤلفها من الجامدين والمحافظين ، فى محنة الشعر الجاهلى .

ولقد وازن الدارس بين نماذج أربعة نخرج منها كتاب « الأيام » لى يتبين التطور الذى مرت به الرواية الذاتية من الوصف فى زينب الى ما يشبه التحليل النفسى فى ابراهيم الكاتب ، ثم الى تكامل بين عناصر الرواية فى عودة الروح لتوفيق الحكيم ، وجمعها كلها حكم واحد ، على الرغم من اختلافها فى التفاصيل ، باختلاف أمزجة مؤلفيها ، وهذا الحكم هو « محاولة التعبير عن حياة الأديب الخاصة فى صورة يظهر فيها الأديب وقد دفعه الله الذاتى الى عدم التعاطف مع الواقع ، مما يؤدى الى ضياع ملامح الواقع أو الهجوم عليه أو الغائه ، وكان من أثر ذلك أيضا فقد الرواية لمحورها ودلالاتها فى كثير من الأحيان ... »

ويجب الا تنسينا الرواية الذاتية الريادة العظيمة التي قام بها عيسى وشحاته عبيد ومحمود تيمور ، ومحمود طاهر لاشين . وقد حلل المؤلف آثارهم الروائية ، وكشف عن أصالتهم والصعاب اللغوية التي اعترضت طريقهم ، وبخاصة في التذلل بين الحوار الفصيح والحوار العامي ، وبين تأثيرهم لنماذج أوربية ، واحتفالهم بالطريف أو المعقد أو غير السوى من الشخصيات، ويحضرنا في هذا المقام رأى «برنارد لويس» في كتابه « أرض السحرة » من أن هذه الظاهرة تعد امتدادا طبيعيا لفطرة متأصلة في المصريين من قديم ، اذ حاول أن يقص منهج السرد والتشخيص في مصر الفرعونية والعربية الى بواكير النهضة الادبية .

مستقبل الرواية العربية :

واذا كان الدكتور عبد المحسن طه بدر ، قد سائر بحته الموضوعى فى تطور الرواية العربية الحديثة ، فحاول أن يكتشف خيوطها الاولى قبل عام ١٨٧٠ ، فان اجتماع المادة فى يده والعمل على تقويمها ، ووضعها فى مكانها من التاريخ الأدبى الحديث ، قد جعله يستشرف المستقبل الذى ليس الا امتدادا للسير على نهج مطروق، وهو يقول « ... وبعد أن هذا الحماس العاطفى ، أصبح اتجاه كتابنا يعود الى الارتباط بالواقع ومحاولة فهمه ... ولم تخل كثير من المحاولات الروائية التى قدمت فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، من محاولات كثيرة تعتمد الى تسطيق هذا الواقع ... والأمل كبير فى تأثر انتاجنا الروائى بالمرحلة الحاضرة التى تحاول فيها بلادنا أن نعبّر عن شخصيتها المستقلة الرائدة فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، متحررة من القيود التى تشدها الى الماضى ، معتزة به فى نفس الوقت ومستفيدة منه ، ومتخلصة من عقد النقص التى كنا نشعر بها فى موقفنا من الحضارة الغربية ، والتى تتيح لأدبائنا تقديم انتاج يتميز بطابعه الخاص، ويتخلص من التبعية ، ويجد مكانه بين الآداب العالمية .

ونحن بدورنا نسجل أن مستقبل الدراسات الادبية ، يسير هو الآخر فى طريقه المنهجى الذى يفيد من نتائج مختلف العلوم كالنفس والاجتماع والمأثورات الشعبية ، واذا كنا نجاهد فى سبيل تحطيم الحصار الثقافى ، كما حططنا من قبل ضروب الحصار الأخرى ، فان هذا البحث جدير بأن يترجم الى نقاد الغرب ، ومؤرخى الآداب فيه ، ولعل هذا العرض هو أكرم تحية من شيوخ جامعى الى شاب جامعى على طريق واحد .



الراهبة ماريون

بقلم : صبحي الجيار

تؤلها برودة جلده ، وهمس في ارتباك
أكثر :

— أبدا يامدام نبيلة .. أنا .. الظاهر
اني مرتبك شويه .

فابتسمت في رضا لا يخلو من اشفاق،
وقالت متغابية :

— ومرتبك ليه ياتري ؟

— دلوقت حاتمرفي كل حاجة ..
اتفضل من هنا .

وأشار لها بانحناء خفيفة ، فسارت
أمامه بين المناضد المتناثرة في الكازينو ،
حتى وصلا الى منضدة بعيدة في زاوية
المكان . وجلست نبيلة تتلفت حولها
متصفحة وجوه الرواد خشية أن تجد
بينهم من يعرفها . فلما تأكدت أنها في
أمان من أعين المتطفلين والسفهم انبسطت
عضلات وجهها ، وقالت مهتمة تستعجل
الحديث :

— خير ان شاء الله يا أستاذ عزمي .. ؟

فابتلع ريقه ، وهمس بنبرات
مرتعة .

— خير باذن الله يا فندم .

وقف ينتظر في قلق أمام «الكازينو» ،
وعيناه معلقتان على المنعطف البعيد عند
أول الشارع ، ثم يتطلع الى ساعة
معصمة ، فيزداد تقطبا . يبدو أن
المقارب لا تتحرك . ويرفع الساعة الى
أذنه ، فيسمع نبضاتها تتسابق مع
دقات قلبه . ويعود ببصره الى بداية
الطريق وهو يفكر كفيه في عصبية ،
بينما عقله يرتب الكلمات على لسانه حتى
لا يرتبك أمامها ، وتضيق منه الفرصة
التي ظل يسعى لتدبيرها منذ شهور ،
والتي استطاع بعدما بجهد عسير أن
ينتزع منها وعدا للقاء في هذا المكان ..

وانتفض جسده المنتشي بشعريرة
لذيذة ، عندما لمحها أخيرا تتهادى من
بعيد .. وعندما اقتربت منه ، ومد يده
ليصافحها ، أحسبت بكفه المضطربة منددة
بالعرق البسارد فرفعت اليه نظرها في
تساؤل ، وقالت بابتسامة :

— مالك يا أستاذ عزمي .. ؟ ايدك

ساقعة زي الثلج .. مع انه لسه بدري
على انشتا .

فسحب يده في رفق كأنها يخشى أن

ونقلت نظرها بين ساعتها ومدخل
الكازينو ثم قالت :

- أنا متأسفة مش حاقدر أقعد معاك
كثير .. انت عارف كلام الناس ..

- عارف يافندم .

- .. وأنا مش متمودة أقابل حد
غريب فى مكان عام .

- أنا مقدر ظروفك .. وان شاء الله
مش حعطلك كثير .

فابتسمت راضية وقالت مشجعة :

- اذن .. ندخل فى الموضوع بدون
مقدمات .

وراح يبحث عن الكلمات التى رتبها
على طرف لسانه ، فاذا بها قد تبعثرت
فى ثنايا خجله . واخذ يحرك شفتيه فى
صمت محاولا سحب الألفاظ من حنجرتة ،
ولكنها خرجت من فمه مقاطع مبتورة
زادت من ارتباكها . وكانت نبيلة ترمقه
فى مزيد من الإشفاق ، ثم قالت تساعده
على فك عقدة لسانه :

- انت عارف ظروفى كويس
يا أستاذ عزمى ؟

- طبعا طبعا .

- وعارف انى كنت متجوزة .. ؟
فهتف على الفور بحماس :

- طبعا .. وعندك .. ربنا يخلى ..
بنتين وولد ..

فرفعت حاجبيها بدهشة ، وقالت
ضاحكة .

- مدهش .. ! دا انت عارف عنى
حاجات كثير ..

- كل حاجة يافندم .. كل حاجة
... أنا من زمان متتبع أخبارك

وأحوالك .. من .. من قبل ما يحصل
الطلاق ..

- وايه سبب اهتمامك بى بالشكل
ده .. ؟

فاغتصب ضحكة بلهاء وقال بسذاجة :

- ماننى عارفة .. حيكون ايه يعنى
غير انى ..

- انك ايه .. ؟

فاستدار بجسمه نحوها ، واعتدل
فى جلسسته ، وراح يدارى خجله فى
محاولة لحبك رباط عنقه حتى كاد يخنق
نفسه ، ثم استجمع شجاعته المبعثرة ،
وانفكت عقدة لسانه :

- بصراحة .. أنا عاوز أطلب إيدك
ياست نبيلة .

لم يفاجئها الطلب ، فقد كانت تتوقع
شيئا من هذا ، يوم أن طلب منها وعدا
باللقاء فى أى مكان تحدده ، يومها
تصنعت الغيباء ، وحاولت أن تراوغه
متسائلة عن السبب ، فلم يجزؤ على
مفاتحتها بمكنون صدره لفرط خجله ،
ولما تكرر الحاحه وتوسله ، أشفقت على
أعصابه الرقيقة ، فوعده باللقاء فى هذا
المكان المستتر ، بعد أن أيقنت باستحالة
إقناعه فى حديث عابر .

كانت تلاحظ - بحكم زمالتها فى
العمل - انه يتودد إليها كثيرا . ويسارع
إلى خدمتها ، ويحمل الأرواق ليساعدها
فى عملها إذا ما لاحظ أكداش الأوراق
متراكمة فوق مكتبها . وأحيانا كانت
تضبطه مركزا نظره عليها فى شروء
وهيام . وسرعان ما يغض بصره فى
خجل ، ويذارى اضطرابه فى ترتيب
أية أوراق أمامه ، ولعله كان يزيد
بعثرتها .

كانت نبيلة تدرك بغريزة حواء ، أن
زميلها عزمى يقاسى كثيرا فى هواها ،
ولم تكن هى تكرمه ، بل تحمل له قدرا
من الاعزاز والعطف والعرفان بالجميل .
ولم يكن فى شخصه شكلا وموضوعا ما
ينفر منه احدى بنات حواء . بل لعل له
من الميزات ما يفسح له الطريق الى أى
قلب خال .

ولكن .. قلب نبيلة لم يكن خاليا
.. بل انها كانت تعيش بلا قلب ، بعد
طلاقها من زوجها الذى ملا كل فراغ
قلبها وأخذ مفاتيحه معه .

وتنبهت نبيلة من شرودها ، لترى
الشباب محمقا فيها يعمون قلقة
جاحظة . فابتسمت فى فتور ، وقالت
بمرارة بعد أن أطلقت آهة حارة :

.. ياريت كان بايدى يا أستاذ
عزمى ..

.. ازاي ؟

.. انت عارف قد ايه أنا باحترمك
وأقدرك . ولو كنت بأفكر فى الجواز ..
مش ممكن كنت حاختار واحد أحسن
منك ..

وأحس بأمله يتسرب من بين أصابعه ،
فهتف بجراة ولهفة :

.. قصدك عشان الاولاد يعنى ؟
دول حيسكونوا فى عيني زى أولادى
تمام .. أرجوكمى ياسست نبيلة ..
فكرى كويس قبل ماترفضى .

فتطلعت اليه بنظرة حانية ، وقد
هزتها توسلاته الصادقة ، وقالت
بتأثر :

.. يعز على قوى انى أرفض لك طلبا
ياعزمى .. لكن ظروفى صعبة ..

واسعده أن نطقت باسمه مجردا فى
ود .. ولاح له بريق من الامل فى محاولتها

لرفع الكلفة بينهما ، رغم اعتذارها عن
قبول عرضه بلباقة .

فقال فى تفاؤل :

.. كل مشكلة ولها حل ... وأنا
مستعد لكل طلباتك .

ضحكت قائلة :

.. أنا مالميش طلبات مادية زى مانت
قاهم ..

.. آمال ايه المانع بس ... ؟

فتشاغلت عن الاجابة باخراج علبة
سجائر من حقيبتها ، وثبتت لفافة منها
بين شفتيها ، وهى تقول مغيرة دفة
الحديث .

.. طبعا انت مابتدخنش .. ؟

ولم تنتظر اجابته ، واستطردت
تقول :

.. يا بختك ... حاولت أبطلها كثير
ماقدرتش .. ماتتصورش قد ايه
السيجارة بتسلى ألى عنده هموم كثير ..
فهمس إرجاء :

.. بس لو تقولى ايه الى مضايك ..

وراحت تقرب لهب الكبريت من
السيجارة ، بينما تتأمل ملامحه الطيبة
تكسوها غلالة من القلق والحيرة . فبدأ
لها كطفل برىء واقع فى مازق .
وأحست بحرارة اللهب تقترب من
أصابعها ، فأطفت الكبريت ، ونفخت
من ثغرها سحابة كبيرة من الدخان فى
زفرة طويلة ، وقالت :

.. انت عارف عمرى كام سنة ؟

فأجاب على الفور :

.. فى نوفمبر الجاى تكمل أربعين
وثلاثين .

.. عجيبة ؟ .. وعرفت منين ؟

وأكملت حديثها دون أن تعلق على
اعتراضه :

- .. أنت شاب وقدامك مستقبل
كبير .. وبكرة تلاقى بنت الحلال الى
تسعدك .. فهز رأسه فى يأس ، وهو
يتمتم فى حيرة :
- ما فتكرش ..

وكانت قد خطت نحو الباب ، فتبعها
فى ذلة ، ولما وصلا الى الرصيف ، مدت
يدها تصافحه فى ود واعزاز ، وضغطت
يده المتخاذلة مواسية مشجعة وقالت :
- تاكد يا عزمى انى حافظل أختك
وصديقتك الى الأبد ...

فارتسمت على شفثيه ابتسامة
شاحبة . ثم عض شفثيه السفلى فى
ضيق كأنما يقاوم رغبة فى البكاء .
وعاد يلج فى توسل :

- لى رجاء أخير ..

- تحت أمرك ..

- أرجوكى ماتقفلش الباب مرة
واحدة .. سبيتى أعيش على الأمل ..
أوعدينى انك تفكرى .. أنا مش
مستعجل ..

ولم تجد بأسا من تلبية رجائه ،
مادام لن يضرها فى شيء . وابتسمت
قائلة :

- وهو كذلك .. أوعدك يا عزمى ..

كانت تود مخلصه أن توفى الى قرآن
برضيه . ويرسم البسمة على ملامحه
الطيبة . ولكن ما حيلتها والموضوع
خارج عن اوداتها .. أنها تأبى على
كرامته أن تمنحه جسدها وحده بينما
قلبا فى قبضة شخص آخر .

وعندما أراحت رأسها على الوسادة
آخر الليل لم تستسلم للنوم ، وراحت

- .. من ملف خدمتك ..

- طيب .. وانت بقى عمرك كام ؟ ..
قال متلعثما :

- آه .. أهو برضه حاجة زى
كده ..

- لا يا عزمى .. بلاش كذب ..
انت أصغر من كده بكثير ..

- وفيها ايه يعنى .. ؟ كلها محصلة
بعضها ..

ولمست لهجته الصادقة الحماسية وترا
فى قلبها ، فامالت رأسها الى الوراء فى
نشوة الأنش المرغوبة . وأحسست
بسنوات عمرها تتضائل ، وتنكمش الى
ما قبل الثلاثين ، وتمنت فى تلك اللحظة
لو أن عزمى اعترض حياتها قبل أن تلتقى
بزوجها السابق . لو فر عليها كل
ما قاسته من عذاب فى حياتها الزوجية ..

وتنبهت من أفكارها على رعشة خفيفة
فى المنضدة تحت مرفقها ، وفى اللحظة
التالية تنبه عزمى الى ساقه المضطربة
تنتفض فى عصبية تحت المنضدة ،
وضحك الاثنان . ثم عادت تقرأ ساعتها
وتهتف فى عجلة :

- ياه .. داحنا قعدنا كثير .. وافتكر
انت دلوقت مقنن بوجهة نظرى .
واستاذن أنا بقى أحسن الاولاد لو خدمهم
فى البيت .

وهمت بالوقوف ، فاستوقفها بتمتمة
مستجدية لكنها أكملت نهوضها
والقت اليه بنظرة رثاء فى جلسته
المنهارة وقالت :

- ماتزعلش منى يا عزمى .. أنا مش
حاقدر أسعدك .

فهتف وهو يهم واقفا :

- مش معقول

تفكر فى حكاية عزمى • راجية أن تجد منها مخرجاً لا يجرح كبرياءه • وأخذت ترتب أفكارها وتختار ألفاظاً رقيقة تضع فيها رفضها •

وتشعبت آراؤها ، ووجدت نفسها تقارن بين ميزات زوجها السابق وزميلها عزمى ••• فوجدتهما على طرفى نقيض •• عزمى شاب خجول مهذب ، بينما الآخر عجوز جريء عصبى ، سرعان ما ينفعل لأنه الأسباب • وكان عزمى مجداً دؤوباً وإن كانت عقليته لا تصل إلى نبوغ طليقها الذى كان بوهيميا كسولاً مبعثراً فى كل شئونه • أما الميزة الكبرى التى يتصف بها عزمى فهى إخلاصه المتقانى لمن يحب على عكس طليقها العاق الأنانى •••

وراح ذهنهما يزن كلا الرجلين فى ميزان العقل ، فإذا بكفة عزمى ترجح عن جدارة ، وسرعان ما يتدخل قلبها الذى تفتح على حب الإنسان الأول فى حياتها •• ويصر على أن يكون حبها الأخير أيضاً •

كان أستاذها فى كلية الآداب ، شعلة من الذكاء والانطلاق • فنان أصيل •• فى تأملاته الساهية ، ولغثاته البليغة ، فى سكناته الشاردة وفج تدفق أفكاره اللامحة ، حتى مظهره كان يوحي بأنه إنسان غير عادى ، شعره الخفيف الأشعث فوق رأسه الضخم ، وجناته الغائرة ، وأصابه الرفيعة الطويلة ، وربطة عنقه التى لا تستقر فى مكان واحد •

بهرتها شخصيته الطاغية ، وتمثلت فيه فارس أحلامها • ولم يستعص على ذكائه أن يقتحم أفكارها ، ويدرك ولعها به ، ومن ثم سهل عليه غزو قلبها دون مقاومة تذكر •• إلا من حياء حريص

تتحسس به طريقها إلى رأسه قبل أن يعرض عليها الزواج • لكنه اشترط عليها أن تنفرغ لبيتها • فضحت راضية بليسانس الآداب ، ولم تشأ أن تصطدم بأنانيته فى أول الطريق • كانت على استعداد أن تمنحه من روحها وشبابها وراحتها حتى تولد السعادة التى تنشدها له •

تفرغت لرعايته والتفانى فى خدمته • كانت تعامله كطفل مدلل ، أو كآنية بلورية ثمينة تخشى عليها من الكسر ، وكانت تحس بسعادة غامرة عندما تجلس بجواره إلى المائدة فتقطع له اللحم وتخليه من العظم حتى لا يجد مشقة فى تناوله ، ولا تتورع أحياناً عن أطعامة بيدها عندما ترى شهيته منصرفاً عن الطعام إلى تفكير عميق • وكانت تحلق له ذقنه بنفسها وهو مضجع فى استرخاء أو بينما يستغرق فى القراءة ، ثم تلبسه ثيابه قطعة بعد أخرى كطفل كسول اعتاد تدليل أمه الحنون ، ثم تركع أمامه فى بساطة لتضع الحذاء فى قدميه بعدما تعيد تلميعه بحركة آلية مهما كان نظيفاً •

أما أسعد لحظات حياتها ، فكانت عندما تجلس إلى مكتبه ليملى عليها مؤلفاته وكتبه • ثم تابرت على تعلم الآلة الكاتبة حتى تستطيع أصابعها أن تجارى تفكيره السريع •• وتنسى نفسها معه حتى تتعالى كومة الأعقاب فى منفضة السجائر وتتنبه إلى صوته المجهد ، فتقنعه بالذهاب إلى مخدعها ، حيث يتوسد ذراعها فى استرخاء ، وتظل تتأمل ملامحه وهو ينحدر إلى القيوية ، فترتخي عضلات وجهه المتوترة ، وتتوارى نظراته المتقدة بالذكاء خلف أجفانه المسدلة ، ثم تنتظم أنفاسه

المشبعة برائحة القهوة والدخان .
وأحيانا كانت تقرأ له في كتاب وهو
مسترخ في سريره حتى ينام . وهنا
فقط تشعر بمتاعب النهار المرهق تتجمع
على جسدها المكبود ، فتستسلم للنعاس
على أن تستيقظ قبله في الصباح التالي ،
لتبدأ يوما جديدا مع معبودها الكبير ،
وهي أكثر ما تكون نشوة ونشاطا .

وتضاعف إرهاقها بعد أن أنجبت له
أبناءه الثلاثة ، ولم تكن تسمح لأحد منهم
أن يقطع جزءا من روتينها اليومي مع
رب الأسرة . بل كانت تنفّض أحيانا
عن بعض مطالب أبنائها تاركة إياها
للخدم ، لا عن إهمال لشئونهم ، وإنما
لأنها لا تملك سوى يدين اثنتين فقط ،
سخرتهما لخدمة الزوج المثالي أولا وقبل
أى إنسان .

وكان فارق السن والثقافة بينهما
يضيف عليه حالة من الجلال والجبروت ،
وتتفاعل شخصيته الجارفة مع قلبها
العاشق ، فتكاد تتعبد في محرابه ،
وتستعذب الحُضُوع لمشيئته وتقبل
تعسفه في رضا وقناعة ، كما يتقبل
العبد المؤمن قسوة القدر . حتى عندما
تنهت لحياتها المتكررة ، وتصرفاته
العريضة خارج البيت ، كانت تتعاضى
عن كبريائها ، ولا تتورع عن غسل
مناديله الملونة بخيائنه في غفلة من
أعين الخدم ، إبقاء على ما تبقى من كرامتها
وحرصا على سمعة رب البيت في حدود
ملكته الصغيرة .

وحاولت أن تفهم لماذا هجرها
معبودها ، ليرضى غرائزه عند غيرها من
بنات حواء . واستنجدت بمعلوماتها في
علم النفس ، لتسبر بها غور هذا الاله

الجبار ناكر الجميل . فخطر لها من تحليل
تصرفاتها معاً أنها كانت تمنحه حنان
الأم وتفانيها وتدليلها وإثارةها ، بينما
هو ينشد الى جوار هذا عشيقه تروى
طبيعته النائرة . لكنها عندما حاولت
أن تطور أمومتها الى تصرفات غانية تنير
غرائزه ، اتضح لها أن طبيعته النهمة
الانانية لا تقنع بأننى واحدة .

ولم تشأ أن تهدم جنتها لمجرد فشلها
في إيقاف نزواته . كانت لاتزال ترى
فيه عملاقا تتلاشى ارادتها بجانبه ،
وكانت تأمل أن يرتوى طمأه ويقنع
بحليلته . أو يدركه ضعف الشيخوخة
فيغرض عليه عفة لا ارادية ، فيثوب الى
رشده .

ولكنها رضيت بالظلم والظلم لم يرض
بها . ففي إحدى الليالي الباردة ، جلست
تنتظره كماداتها في الشرفة والصقيع ينفذ
الى عظامها . وتتبع الدقائق تطوى
الليل في بطء شديد . ومع شعاعات
اليوم الجديد لمحت هيكله الشاحب آتيا
من بعيد . فتنهدت في راحة واطمئنان .
لكن راحتها لم تدم طويلا . فقد
أفقدته الخمر سيطرته على لسانه وبدا
يثرثر بعبارات غريبة عن الطلاق
والزواج ، وميزت من بين كلماته المخمورة
اسم امرأة غيرها مسبوqa بلفظ . .
حبيبتي . .

ولعبت برأسها الوسواس ، وراح
فضولها يستدرجه الى افشاء مزيد من
خبايا نفسه . وقبل أن يغلبه النوم
كانت قد عرفت منه أنه زوج لامرأة
أخرى !

وفي الصباح فوجيء بعينها الحمراءوين
تنبشان عن سهد ودموع . وبدأ يسترجع

أحداث الليسلة السسابقة كحللم قديم ،
وأدرلك أن الحمر ورطته فى الاعترافات ..
ولكن الى أى حد ؟ لم تسعفه الناكرة ،
وان كانت عينها ومسحة الكآبة التى
تغلف وجهها تؤكد له أن زوجته عرفت
مصريها معه . فخرجت كلساته
تتحسس طريقها فى حرص :

- الظاهر انى امبارح تقلت العيار
شوية وخرفت فى الكلام
فاجابه صحتها المريب بما أكد طنونه
وعاد يسالها بتوجس :

- أنا قلت ايه امبارح يا نبيلة ؟
- قلت الحقيقة الى ماقدرتش تقولها
بشجاعة وانت فايق ...

كانت لهجتها هادئة تقطر مرارة .
فلم يجد مناصا من كشف أوراقه ،
فقال بصراحة واستهتار كانه وجد فرصة
يزيح بها كابوسا على صدره :

- على كل حال الحقيقة مش ممكن
تستخبي على طول .. وأنا فى الواقع
ما كانش عندى الجراة عشان أصارحك
بها ..

فتطلعت اليه فى ذله وانكسار ،
وقالت متماسكة :

- ليه ؟ .. انت عارف انى مش
ممكن أقف فى سكة سعادتك

وأخجله ردما ، فاقرب من ورائها ،
وأمسك بكتفيها ، وقال محاولا تبرير
نزوته :

صدقينى يا نبيلة ان الى حصل ده كان
غصب عنى

فمسحت كتفيها من بين يديه فى
شئ من العنف . واستدارت نحوه ،
وهتفت بحدو وهى تفرس نظراتها فى
عينيه :

- أظن مقيش داعى تبرر موقفك ..
كان لازم أتوقع مصري ده من زمان ..
من يوم ما اكتشفت خيانتك الأولى .
- احنا بشر يا نبيلة .. وماقدرش
نتحكم فى قلوبنا .
فقال فى لهجة حاسمة لتبتر الموقف
المهين :

- .. ودلوقت .. ايه طلباتك ؟
فانحنى يلتقط حذاءه حتى يتفادى
نظراتها العاتبة، وقال وهو يلبس حذاءه
لأول مرة وحده :

- .. أنا حاولت كتير أشوف حل
وسط للمشكلة دى .. لكن ..
- بلاش تضايق نفسك عشانى ..
وأردفت بتهكم مرير :

- .. ومن امتى كان لى رأى أو حقوق
عندك .. ؟

- أرجوكى تفهمينى بس ..

- أنا فاصاك كويس .. انت زى
الطفل المدلل ، كل مايشوف لعبة جميلة
يشبط فيها ، ولازم يفتصبها حتى لو
كانت بتاعة غيره .. وبعدين يكسرها
ويرميها ..

- نبيلة .. ! انتى ازاي بتكلمينى
باللهجة دى .. ؟

- أسفة لأنى تجرات على الاله الى
باعبده .. لكن برضه احنا بشر .. بس
تاكد انك لو فكرت ترجع فى أى وقت
حتلاقى الباب مفتوح .

واستدارت فى أنفة وكبرياء ، وخرجت
من حجرته مرفوعة الرأس متماسكة
الاعصاب . ولم تعد تراه .. فقد غادر
البيت الى غير رجعة وان ظلت صلتها
بأبنائه متقطعة .



له في ذهنها قائمة بأعذار واهية لم تقنع
لهفته ، فاضطرت أن تخرج له خفايا
قلبهـا ، وأطلعتـه على تفاصيل حبـها
الاول .. والاخير .. فقال مشفقا :

- وافرضى انه مارجعش .. حتعيشي
راصة كده على طول .. ؟

فهتقت بأصرار وحماس :

- أيوه يا عزمي .. حافضل أنتظره
كل يوم وكل لحظة لأنى متأكدة انه
حيرجع ..

ثم استطردت وهى تحديق فى الهواء
بعينين ساهمتين ، كأنها تخترق حجب
المستقبل بنظراتها المتفائلة :

- .. ضرورى حيرجع لما يزهدق من
حياته الساخبة .. ويحن لرعاية
الامومة .. ساعتها حيلاقى دزاعى ممدود
له .. عشان يرتاح عليه من جديد *

ولم تحاول نبيلة أن تقف حائلا بين
أطفالها وأبيهم ، حتى لا تحرمهم من
رعايته وتوجيهاته ، والفخر بانتسابهم
اليه .. حتى اذا ماعاد اليهم يوما ،
لا يلمسون هوة عميقة تفصلهم عنه .

وبدأت تتفرغ لابنائها ، وترى ملاحظهم
الموروثة عن أبيهم تتطور الى نماذج
مصغرة من معبودها الكبير *

ثم أرغمتها الحاجة الى مضاعفة جهودها
لتحفظ لهم مستوى ماديا مناسباً ..
فاخرجت شهادتها المخزونة ، ونزلت بها
الى ميدان العمل . انها تكافح فى صبر ،
ونصب عينيها أمل بعيد ، وقد يكون
قريبا .. أقرب مما تظن .. لكنه على
أى حال أملها الاكبر .. الذى تعيش
به .. وله ..

وبعد أيام كانت تجلس مع زميلها
عزمي فى نفس المكان . كانت قد أعدت

ديك سقراط

للكاتب ليوبولدو آلاس

ترجمة: كامل عبد المجيد

انفاسه ، رفع دثاره الذي غطى به جسده ليخفى عن تلاميذه منظره الحزين في المة وقال آخر كلماته :

« كريتو .. ان في اعتاقنا دينا لاسكولابيوس .. فنحن مدينون له بدين .. فلا تنس ان ترد له الدين » ولم يفه بشيء بعد ذلك .. لان روحه كانت قد صعدت الى بارئها .

وهكذا اصبح هذا الدين مقدسا في عيني كريتو . لم يشأ ان يناقش او يحلل هذه الرغبة .. ولم يحاول ان يتحقق اذا ما كان سقراط يتكلم على سبيل المزاح او التهكم ، او انها كانت فعلا وصية استاذة الاخيرة .. الم يكن سقراط دائما يحترم المعتقدات الدينية الشائعة وهي الدين الرسمي للدولة .. هذا على الرغم من اتهامات (انيتوس) و (ميليتوس) من المؤكد أن سقراط قد خلج على الاساطير شخصية رمزية فلسفية وطابعا ساميا مثاليا (على الرغم من أن كريتو لم يكن يسميها «اساطير» بالطبع) وذلك بفضل تفسيراته الشعرية و (ميليتوس) من المؤكد أن سقراط يحترم عقيدة اليسونانيين ، الديانة الايجابية ، وعقيدة الدولة ... وقد

ليوبولدو آلاس كاتب اسباني ولد في مدينة (زامورا) الا انه قضى معظم حياته في (اوفيسدو) حيث شغل كرسي الفلسفة بالجامعة . وليوبولدو من احسن نقاد عصره هذا بالاضافة الى انه ايضا قصاص وروائي استطاع ان يطور - بنجاح عظيم - فن كتابة القصة القصيرة في بلده

وقصة « ديك سقراط » هي احدي قصص مجموعة قصصية نشرت للمؤلف في كتاب يحمل نفس العنوان وصدر في برشاونة عام ١٩٠١

بعد ان اغمض (كريتو) عيني استاذة سقراط واقفل فمه، ترك اتباعه الآخرين ملتفين حول الجثة وخرج من السجن عاقدا العزم على ان ينفذ - في اقرب فرصة - وصية سقراط الاخيرة له . وعلى الرغم من الاحتمال القائل بان سقراط قد ابدى هذه الرغبة على سبيل المزاح ، الا ان كريتو عقد عزمه على تحقيق هذه الرغبة بحذافيرها، لاحتمال آخر ، هو ان يكون سقراط جادا في طلبه .

فحينما كان سقراط يلفظ آخر

تجلى ذلك بوضوح في قصة جميلة تضمنها خطاب سقراط الأخير (حيث لاحظ كريتو أن سقراط - على الرغم من أسلوبه الخاص في السؤال والجواب في مثل هذه الخطب - فإنه كان ينسى مستمعيه في بعض الأحيان وبطيل في حديثه ذي الأسلوب المنمق) .

لقد صور سقراط عجائب العالم الآخر في تفاصيل «توبوغرافية» كخريطة للأرض تتوافق مع التفكير التقليدي أكثر مما تتفق مع المنطق الجفاف والفلسفة الصارمة . ولم يذكر سقراط أنه لا يؤمن بكل ذلك ، على الرغم من أنه لم يستطع أن يؤكد حقيقة ما وصفه في اقتناع المتعصب العنيد . . ولكن ذلك لا يستوجب العجب ، فعلى الرغم من آراء سقراء الخاصة ، التي شرحها في دفاعه عن خلود الروح ، فإنه اعترف - متجاهلا خيالاته وكبرياه - بالامكانية الميتافيزيقية التي تقول أن الأشياء قد لا تطابق الوصف . . في أيجاز ، لم يخطر ببال كريتو أنه يسير في اتجاه مخالف لمذهب أستاذه أو سلوكه في بحثه عن ذلك ، لكي يقدمه بأسرع ما يمكن إلى اله الطب .

ولم يكذ كريتو ببعد مائة خطوة عن السجن الذي كان يرقد فيه سقراط حتى شاهد على قمة سور فناء صغير ، ديكاً بديع الريش . . كما لو كانت العناية الإلهية قد تدخلت في الأمر وبعثت بهذا الديك إلى هذا المكان بهذه السرعة . كان الديك قد قفز لتوه من إحدى الحدائق فوصل إلى قمة السور ، وكان على وشك الهبوط إلى الطريق . . كان ديكاً هارباً . . حرر نفسه من قيد تعس .

تكهن كريتو بوجهة الطائر ، وانتظره حتى يقفز إلى الطريق ليستطيع مطاردهه واللحاق به ، وذلك بعد أن دخل في روعه أن هذا الديك بعينه . . ولا ديك غيره . . هو الذي يريد (اسكولابيوس) قربانا . فحين يتقبل الإنسان - ولو لمرة واحدة - أفكاراً دينية - ومشاعر غير معقولة ، فإنه لا يمانع في الإيمان بالخرافات التي يؤمن بها الأطفال . . . وبهذه الطريقة فسر كريتو لنفسه مطابقة ظروف لقائه بالديك في نفس اللحظة التي بدأ فيها البحث عنه . . فسر ذلك على أنه مشيئة الآلهة . ولكن . . كان من الواضح أن الديك لم يكن من رأي كريتو ، لأن الديك أخذ يجري مرفرفاً بجناحيه ومقرقراً حينما رأى رجلاً يطارده ، مظهرًا بذلك الدليل على بالغ ضيقه من المطاردة .

وسرعان ما تعرف الطائر على شخصية مطارده ، لأنه كثيراً ما رآه في حديقة سيده في نقاش محتدم حول الحب والبلاغة والجمال . . وغيرها ، بينما - أي الديك - يمارس اغواؤه لمائة دجاجة في دقيقة واحدة دون أن يلجأ إلى هذه الفلسفة الطويلة .

« حسن !! أنا الآن في ورطة لا أحد عليها » هكذا بدأ الديك يفكر أثناء استعداداته للطيران الذي كان قادراً عليه لو ضمن البعد عن موطن الخطر .

« وهكذا يصر هؤلاء الرجال العقلاء - الذين ابغضهم - على امتلاكى على الرغم من أن هذا يتعارض مع جميع القوانين الطبيعية التي يعترفون بها . . سيكون من المؤسف حقاً أن أقع في قبضة هذا الشيطان البائس . . هذا المفكر صاحب الأفكار المنقولة - بعد أن حررت

نفسى من عبودية سيدي الثرنار السابق .

ثم جرى الديك والفيلسوف في اعقابيه ..
وحين كان على وشك الامساك به صفق الديك بجناحيه وطار بنصف قفزة - مستعينا في ذلك بالقوة التي امدته بها الخوف - ليقف فوق راس تمثال .. ولم يكن هذا التمثال سوى « بالاس اثينا » !

« اوه ! ايها الديك الوقح » صرخ الفيلسوف نائرا في تعصب وكأنه احد قضاة محاكم التفتيش .

بعد ان اسكت كريتو الاحتجاجات الدينية المتصوفة الزائفة في ضميره الطبيعى والتي كانت تقول له « لا تترك الديك » فكر قليلا ثم قال : « انك الآن تستحق الموت لتدنيسك المقدسات .. سوف تكون لى .. وستكون القربان المطلوب » .

ثم وقف كريتو على اطراف اصابعه رافعا راسه الى اقصى ما يستطيع ثم قفز الى اعلى والى اسفل بطريقة مثيرة للضحك ، ولكن ذلك كله كان عبثا .

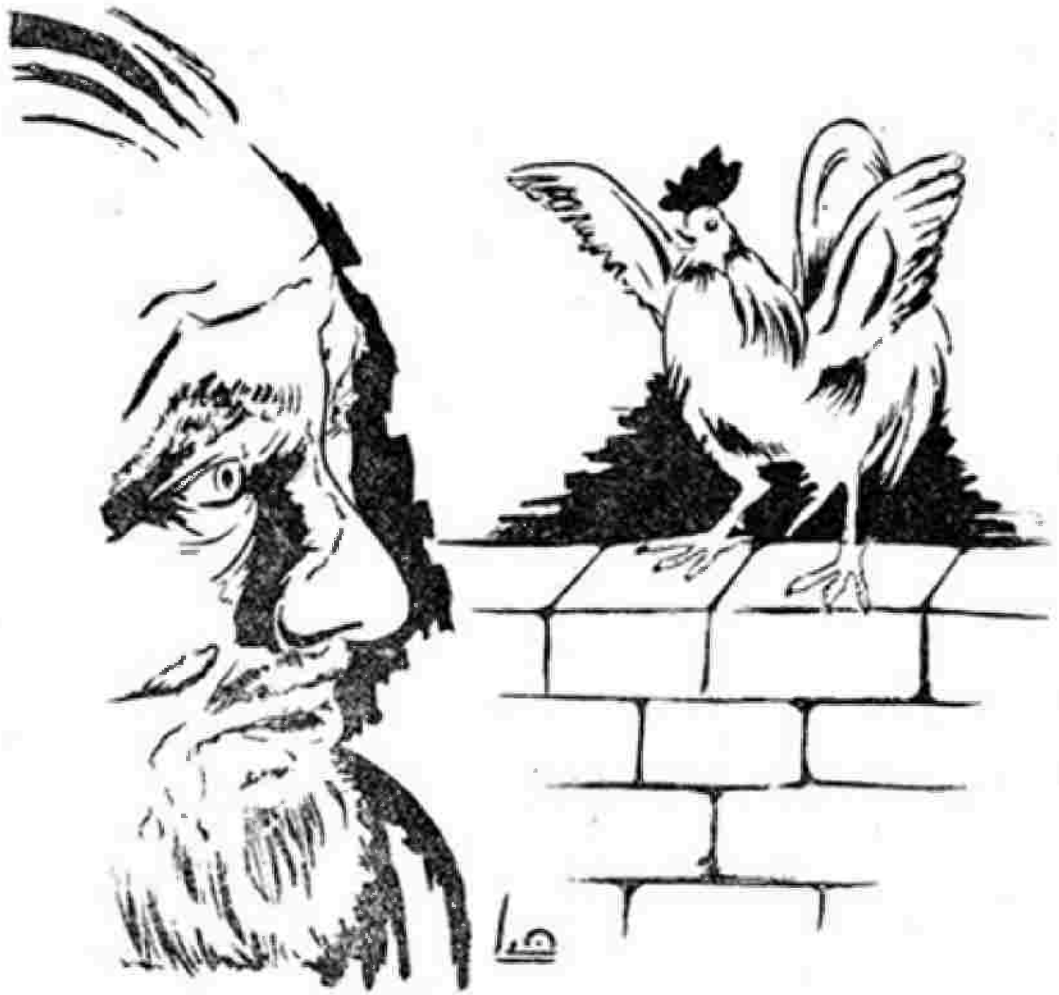
عندئذ قال الديك لكريتو في لغة يونانية جديدة بجورجياس نفسه :

« ايها الفيلسوف المثالى المعقد .. لا تزعج نفسك ، فانك لا تستطيع الطيران الى ارتفاع ما يستطيع الكتكوت ماذا ؟ انهدهش لمقدرتى على الحديث ؟ لماذا ؟ الا تعرفنى ؟؟ انا احد ديوك مخزن غلال جورجياس ، وانا اعرفك .. ما انت سوى ظل .. نعم .. ظل رجل ميت .. وهذا هو مصير الاتباع الذين يعمرن اكثر من اساتذتهم ، انهم يعيشون كالاشباح ليخيفوا الاطفال ..

يقضى الحالم الملهم ويترك خلفه اتباعا مقصوصى الاجنحة .. لا يصنعون من المثل الشعري والرؤيا السامية الا سببا جديدا للخوف وحزنا جديدا للعالم وخرافة متحجرة » .

- « اصمت ايها الديك ... باسم نوعك .. الطبيعة تأمرك ان تسكت »
- « انا اتكلم وانت تقرقر حول فكرة .. اسمعنى ! انى اتكلم دون استئذان فكرة نوعى .. ولكن من خلال قدرتى كفرد .. فبواسطة سماعى الكثير عن علم البيان - فن الكلام من اجل الكلام - تعلمت شيئا من هذه الصناعة » .
- « والآن تدفع الثمن لسيدك بهروبك منه وترك منزله وانكارك لسلطانه ؟ »

- « ان جورجياس مجنون مثلك ولو انه اكثر لطفا منك . ان المرء لا يستطيع الحياة مع مثل هذا الانسان فهو يحاول اثبات كل شيء وهذا يفقد الصواب ويسبب الحيرة والارتباك .. ان الانسان الذى يثبت كل شيء في الحياة يتركها خاوية لا معنى لها .. ان نعرف سبب كل شيء .. ان نعرف (لماذا ؟) كل شيء .. معناه الا نجد سوى هندسة الاشياء وجوهر لا شيء .. وبذلك نجعل من العالم مجرد معادلة رياضية ... وهذا ايضا معناه ان نترك العالم دون راس او اقدام .. اسمع ... امض في طريقك لانى استطيع الحديث في هذا الموضوع سبعين يوما وليلة .. وتذكر انى ديك جورجياس السوفسطائى » .
- « لانك سوفسطائى كاذب ، ولتدنيسك المقدسات ، وتحقيقا لمشيئة الاله (زيوس) يجب ان تموت ... فاستسلم » .



« هل قال سقراط كل هذا ؟ »
 « لا ! بل قال لى اتنا ندين
 لاسكولابيوس بديك » .
 « وتمنيت انت الباقي ؟ » .
 « وما هو المعنى الآخر الذى تحمله
 هذه الكلمات ؟ »

« معنى اكثر كرما .. معنى لا يحوى
 الدم او الخطأ .. ان قتلى ارضاء لاله
 لم يؤمن به سقراط هو بعينه اساءة

« ليس لك .. فلم يولد بعد ذلك
 المثالى صاحب الافكار المنقولة الذى
 يستطيع ان يضع يده على .. ولكن لماذا
 كل ذلك ؟ ماهذه القسوة ؟ لماذا تقفوا
 انترى وتطاردنى هكذا ؟ »

« لان سقراط طلب منى فى
 احتضاره ان اضحى بديك لاسكولابيوس
 كدليل شكر .. وذلك لان اسكولابيوس
 قد منحه الصحة الحقيقية بتحريره اياه
 - بالموت - من كل علل الحياة » .

الى سقراط ، بل اهانة للالهة الحقيقيين
ان تسبب لى اذى فوق كل مقياس ،
لأنى فى الحقيقة حى وبرى .. كما انه
ليس لدينا التصور الكافى لكل الحزن
والآلم الذى قد يحويه سر الموت .

— « ان زيوس وسقراط يريدانك
قربانا » .

— « لاحظ ان سقراط كان يتحدث
بتهمك وسخرية .. سخرية العبقرى
الهادئة غير اللاذعة .. لقد كانت روح
سقراط العظيمة تستطيع ان تلهو وتسلو
نفسها — دون خطر — باللعبة السامية
الا وهى تخيل توافق العقل والاهوام
الشائعة .. ان سقراط وكل خالقى
حياة روحية جديدة يتحدثون بالرموز،
وهم اهل بلاغة ، فبالرغم من معرفتهم
للاسرار التى وصلوا اليها فانهم قد
احترموا مكنوناتها ولم ينطقوا بها ...
وهم حين يتحدثون عنها يلبسونها ثوبا
شعريا .. والحب الالهى للمطلق يلجأ
الى نفس هذه الوسيلة لمخاطبة الروح
.. ولكن راقبهم حين يتحولون عن هذا
الاسلوب العظيم ليعلموا العالم ؟ اى
دروس قاسية وموجزة تكون ؟ كيف
تخلو افتراضاتهم الاخلاقية ومثلهم من
الصور والخيالات الجوفاء » .

— « يا ديك جورجياس ! امسك
لسانك ومث » .

— « ايها التابع المسكين .. اذهب
بعيدا واصمت .. اسكت الى الابد ..
كلكم سواء يا اتباع العبقرية .. انكم
شهود عيان صم عن المناجاة السامية
للضمير ذى المنزلة المرتفعة .. فمن خلال

اوهامه وتخيلاتكم تظنون انه بإمكانكم ان
تخلدوا خلاصة روحه بأن تحنطوا
عقيدته بالعقائير والقواعد ... لكى
تحصلوا على صنم .. انكم تصنعون من
جسده جثة محنطة .. مومياء .. انكم
تجمدون الفكرة وتصنعون من الافكار
الرفيقة سيفا تريقون به الدماء ...
نعم !! « انكم رمز » للانسانية» الطائفية
المسكينة .. فمن آخر كلمات قديس
عاقل تستبجحون لانفسكم ان تسيلوا
دماء ديك — كخطوة اولى — اذا كان
سقراط قد ولد لكى يؤكد خرافات
قومه ، فانه لم يكن ليموت للسبب الذى
مات من اجله ولم يكن ليصبح قديس
الفلسفة .. ان سقراط لم يؤمن
باسكولابيوس ولم يكن يستطيع ان يقتل
ذبابه .. لا ديك .. لمجرد ان يطيب
خاطر النافهين » .

— « لسوف التزم بكلمات سقراط
.. تعال .. الآن » .

ويبحث كريبتو حوله عن حجر ثم
صوبه نحو رأس الديك .. وقلده به
.. فبدأت الدماء تسيل من عرف
الديك ، ثم فقد ديك جورجياس وعيه
وسقط على الارض .. واثناء سقوطه
صرخ !

« كو كا .. كو .. كا .. كوكوك ..

لا مفر من المصير ... لقد نفذت
مشیئة الحمقى وسالت دماء الديك
اسفل الحجر الدامى الذى صنعت منه
جبهة تمثال « بالاس اثينا » .

رسائل مكسيم جوركي

بقلم : خيرى حماد

ما أكثر ما كتب عن مكسيم جوركي فى مختلف لغات العالم ، وما أصدق الذين وصفوه بأنه من أعظم كتاب القصة فى القرن العشرين ، والاخير فى سلسلة الروائيين العظام ، الذين أنجبهم روسيا ، والذين احتلوا مكانة لا تضاهى فى الأدب العالمى ، من أمثال تولستوى ، وديستوفسكى وترجينيف وبوشكين وتشيكوف .

يقول بعض النقاد ، وهم من الغربيين طبعاً ، ان جوركى ، سياسى متصنع ، وأديب مطبوع . وهم فى هذا يحاولون ، الخط من قيمة كتاباته الاخيرة ، أى فى عهد الثورة ، وعلى اعتبار أن ما وضعه من قصص بعد الثورة ، وحتى وفاته فى عام ١٩٣٦ ، كان من الطراز السياسى الذى يناصر الثورة الشيوعية . لكن هؤلاء النقاد ، لم يستطيعوا قط الطعن فى فنه كقصصى موهوب ، وفى عبقريته كأديب مطبوع ، وإنما اقرؤا به كعلم من أعلام القصة فى العالم ، وفى القرن العشرين بالذات . وهم يقولون ، انه وقد ولد بين المتاعب والشقاء . وحرّم من نعمة التعليم والثقافة ، كان يكتب ، لأن الكتابة جزء من طبيعته الموهوبة ، وكانت كتاباته رائعة ، لأن عبقريته فى التعبير الأدبى عمّا يعمل فى صدره من مشاعر وأحاسيس كانت تدفعه الى الابداع والروعة .

ولد مكسيم جوركى ، واسمه الحقيقى ، الكسى مكسيموفيتش يشكوف فى بلدة نجنى نوفجورود ، التى اسمتها الثورة فيما بعد باسمه ، تخليداً لذكراه فى السادس والعشرين من مارس عام ١٨٦٨ من أسرة فقيرة عانت شظف العيش ، ومتاعب الفاقة . وفقد والده وهو فى نعومة أظفاره ، فحضنته جدته لأمه ، وعهدت به وهو فى التاسعة من عمره الى صانع أحذية فى البلدة ، ليعلمه مهنته . لكن جوركى كان منذ صباه الباكر ، يتصف بمزاج ثائر قلب ، لا يستكين الى حال ، ولا يرضى بوضع . فراح ينتقل من مهنة الى أخرى ، دون أن يقضى فى أى منها الا بعضاً من وقت . فعمل مساعداً لاحد المساحين ، ومعاوناً لطباخ سفينة صغيرة من السفن التى تمر عباب الفولجا ، وعاملاً فى مصنع للبسكويت ، وبائعاً جوالاً ، وفرداً فى إحدى فرق «الكورس»

التي تجوب أنحاء البلاد . وابتسم له الحظ أخيرا فعمل كاتبا عند محام من أبرز المحامين في محيطه ، فتأثر بالجو الفكري الذي عاش فيه وارتاح اليه ، وراحت مواهبه الادبية تبرز الى الميدان ، لتثبت اصالتها يوما بعد يوم ، ولتحقق له المسكنة الادبية البارزة التي توصل اليها .

واستمد جوركي من تجاربه في هذه المهن المختلفة التي زاولها ، والتي أثرت على حياته ، المادة التي ضمنها قصصه الرائعة ، وكان أبرزها أثرا ، التجارب التي مر بها وهو يعمل على ظهر السفينة النهرية ، أو في مكتب المحامي . ومن مرارات البؤس التي عاشها في طفولته وسنى شبابه المبكر . صور جوركي أبطاله في صورة التأثير الاجتماعي الذي أحس أنه فقد كل صلة له بالعالم ، والذي لا يجد مجالا للتعبير عن سخطه ونقمة الا في الاحتجاج الصامت .

وأصدر جوركي أول قصة له بعنوان « ملكار شودرا » في عام ١٨٩٢ ، لتعقبها قصص أخرى ، كان لها الفضل في تثبيت أقدامه ، كاديب ناشى ، موهوب . وفي عام ١٩٠٠ أصدر جوركي قصة عاطفية بعنوان « فوما جورديف » ، اتبعها بعدد من القصص التي صور فيها حياة التشرد التي عاناها في صباه . ولا ريب في أن عبقريته تجلت في هذه الناحية ، إذ أنه لم يحقق النجاح المطلوب في تصويره للطبقات العليا التي كان يفتقر الى التعرف اليها . ولعل أدوار الشخصيات التي خلقها تمثل أفرادا يعيشون في صراع مع مجتمعاتهم ويتمكنون من السمو بأنفسهم على ما يحيط بهم من مظاهر التعفن والفاقة .

وخرج من روسيا في عام ١٩٠٦ ، ليطوف في أنحاء أوروبا وأمريكا ، داعيا الى قضية الحرية في بلاده التي تعيش في ظل استبداد القياصرة وبطاناتهم ، واستقر به المقام أخيرا في كإبرى في إيطاليا ، ليعود فيفارقتها ، عائدا الى وطنه قبيل الحرب العالمية الأولى . وأصدر مجلة راح يبشر فيها بالحرية والثورة والجمهورية . وعندما شبت الثورة في عام ١٩١٧ ، كان من أوائل أعوانها ودعاتها ، وظل على عهده لها الى أن فارقت الحياة في عام ١٩٣٦ ، فبكي فيه العالم أديبا من أكبر أدبائه ، وقصصيا من أعظم كتاب القصة على الصعيد العالمي .

والكتبة العالمية ، تضم عشرات الكتب من قصص وروايات ومسرحيات وضعها جوركي ، بين عامي ١٨٩٢ و ١٩٢٦ ، وفي مقدمتها بالاضافة الى ما سبق ذكره « ست وعشرون رجلا وفتاة واحدة » و « ثلاثة من الرجال » و « المنبوذ » ، و « مخلوقات كانت من الرجال » و « المتفرد » و « الرفاق » و « الجاسوس » و « الأم » و « الأعماق الدنيا » و « اعتراف » و « طفولتي » و « قصص بلا دين » و « في العالم » و « ذكريات عن تولستوى » و « ذكريات طفولتي » وغيرها كثيرا .

ومعظم أبطال هذه القصص من الطراز الفاضل على الصعيد الاجتماعي ، إذ أنه يصورهم ، عاجزين عن أن يفعلوا في طريق الإصلاح ، أكثر من مجرد الاقرار بالعجز ، عندما يحاولون الانتقال من مرحلة القول الى العمل . ولكن مهما قيل في شخصيات هؤلاء الأبطال ، فإن الحقيقة التي لا يستطيع أحد نكرانها ، هي أن جوركي ، كان بارعا

براعة دستويفسكى، فى تصوير الطبقات الاجتماعية « البليدة والجمادة »، التى تؤلف العالم السفلى فى جميع المدن الكبرى فى عصرنا الحديث .

ويقول النقاد ، ان جوركى ، كاتب يصور الطبيعة أكثر من تصويره للواقع - وذلك لأنه يكتب عن الطبيعة ، وعن الناس على النحو الذى أوجدتهم الطبيعة فيه ، دون أن يحاول إدخال أى تزويق على شخصياتهم . وهو لا يمت بأى حال من الأحوال، الى مدرسة أولئك الذين يحاولون المبالغة فى التأكيد على الجانِب المزعرف من الحياة . فلقد صور ، شأنه فى ذلك شأن دستويفسكى ، المناظر المرعبة ، والاشخاص الذين يبعثون فى النفوس التقرُّز ، ولكنه وهو يفعل ذلك ، انما كان ينساق وراء الغاية التى يهدف اليها من تصويره هذا ، لا تمسحيا مع واقعها .

ويجمع هؤلاء النقاد أيضا على أن على كل من يرغب فى فهم الشعب الروسى ، أن يدرس جوركى ، دراسة عميقة . فهو يستطيع أن يفهم منه أمورا . ما كان فى وسعه أن يتفهمها عن أى طريق آخر . ويحاول بعضهم مقارنته بالقصصى الانجليزى دانيال ديفو ، لكن الصور الادبية التى رسمها للنماذج الانسانية ولظواهر الطبيعة ومرئياتها ، تبرز أية صور من نوعها فى عالم الادب ، لا فى العصر الحاضر فحسب ، بل فى العصور الماضية أيضا . وفى كتاباته يبدو المزاج السلافى بعقليته المليئة الى الحيال ، مقرونة بالنظرة المادية التيتوتونية الى الحياة ، فى مرئياتها الاقتصادية والاجتماعية .

ولعل الظاهرة المميزة لكتابات جوركى ، هى حبه الصادق العظيم لشعبه وبلاده ، فنحن نلمس فيها التوق المتلهف الى حياة أفضل للمجتمع الروسى . ولاريب فى أن مؤلفاته ، تعتبر كما يقول النقاد تاريخا اجتماعيا وسياسيا هاما بالاضافة الى ما فيها من صور العبقرية الادبية الغذة .

ولقد كتب جوركى بالاضافة الى قصصه القصيرة ورواياته الطويلة ومسرحياته عددا ضخما من الرسائل ، يقدره البعض بنحو من عشرين ألف رسالة شخصية ، ناهيك عن عدد كبير آخر من الرسائل التى يعتقد أنها فقدت أو ضاعت . ولم تنشر هذه الرسائل حتى الآن فى كتاب أو مجموعة كتب ، وإن كان بعضها قد نشر فى بعض المجلات الادبية السوفياتية ، وهى التى ننقل منها هذه النبد التى عربناها فى هذا المقال ، لاطلاع القارئ العربى ، على زاوية ما زالت خفية عليه من أدب جوركى .

ففى هذه الرسائل ، التى كتبت فى حقب متعددة من حياة الاديب الكبير، تظهر لنا صورة واضحة كل الوضوح ، عن النفوذ الضخم الذى كان له على زملائه من الكتاب والادباء . فهم يسيرون اليه بمشاريعهم الادبية، وكثيرا ما كان القارئ الأول لكتاباتهم والناقد الصريح المحب لها . لكن جوركى لم يكن يكتفى باسداء النصح اليهم ، وانما كان أحيانا ، بالرغم من شهرته الداوية التى ملأت العالم ، يسألهم النصح والمشورة، بعد عرض مشاريعهم عليهم . ولا ريب فى أن الاخلاص والصراحة اللذين طبعا عرضه لمساكلة الادبية ونواحي فشله ، سمحا له بأن يكون صريحا وواضحا فى مناقشة كتابات رفاقه وزملائه . ولا ريب أيضا فى أن هؤلاء الزملاء كانوا يستمعون الى

تعليقاته وسنائه ويقراونها بعقول نيرة متفتحة ، تحملهم على الترحيب بها بوصفها صادرة عن أستاذ يبرزهم حكمة وتجربة ، وصديق يحضهم النصيح والمشورة .

ونسوق الآن نماذج من هذه الرسائل :

الرسالة الأولى - من جوركي الى ذوشنيكو - بتاريخ ٢٥ مارس ١٩٣٦

عزيزي ميخائيل ميخائيلوفيتش :

قرأت بالألمس كتابك الأزرق . ولا أدري ان كنت في حاجة الى تقريل . أو ان كان هذا التقريل يهيك . ولكن في وسعي أن أوجز رأيي فأقول ، انك أظهرت في هذا الكتاب موهبتك الغدة ، بصورة أوضح وأروع من سائر كتاباتك السابقة .

ومن المحتمل أن يحقق هذا الكتاب بما فيه من ابتكار وابتداع ، النجاح الذي يستحقه في البداية ، ولكن عليك الا تقنط من هذا أو تضيق به . فسيطرتك على أسلوب كتابتك ، لا عيب فيها على الإطلاق ، ولكنني أرى في اختيارك لمادتك بعض الخطأ ، أي أن الحقائق التي تستخدمها في كتابتك ليست من النوع المثالي .

لا أدري يا ميخائيل ميخائيلوفيتش ان كنت ترى معي ، انك وضعت كتابا في موضوع الألم على نفس الصورة التي وضعت فيها كتابك هذا ، فان هذا الكتاب سيكون في منتهى الروعة . فليس ثمة من انسان يستطيع الاقدام على السخرية بالألم ، اذ ان هذا الموضوع كان وما يزال . الشغل الشاغل للكثيرين . ولم يسبق للألم ان اثار أي شعور بالتقزز أو الزايرة عند أي انسان . ولما كان الدين قد اضفى عليه قدامته بالحديث عن « آلام الرب » فقد عزفت ألحانه على أول كمان في التاريخ ، الا انها الإلحان الأولى في حياة الانسان . ولا ريب في ان لهذه الحقيقة أسبابها الاجتماعية أيضا .

ولكن في الوقت الذي تحارب فيه الجماهير العادية قبضته الخائفة ، حتى ولو كانت هذه الحرب عن طريق انزال الألم بالآخرين ، أو عن طريق الفرار الى الصحراء أو الهروب الى الدير أو الى بلاد قاصية ، فان الادباء من كتاب وشعراء يسجلون طبيعته العالمية ويوسعونها ويعمقونها ، بالرغم من الحقيقة الواقعة ، وهي ان الرب المتألم نفسه مل الآلام ، وراح ينشد الخلاص من مرارة كأسها الطافح .

فالألم سبب في الفكر العالمي ، وعلينا ان نكرهه ونعمل على تحطيمه ، وقد وضع المنشقون من زمرة تروتسكي أغنية يقولون فيها ..

« علم الشيطان آدم

ان امي قد تحمل بي في ظلال الخطيئة والألم » .

فالولادات تحدث الآن ، وفى عصرنا هذا ، دون ألم ، بفضل الجهود التى يبذلها العلم لخدمة الانسانية . ولا ريب فى ان كتابا عن الألم قد يستهل بهذا التطابق ثم يشرح فى بيان ان الادباء قد اغرقوا أنفسهم فى الكتابة عن سير قديسى الكنيسة وشهداء العظام ، ارضاء منهم للرب ، يكون صالحا كل الصلاح ..

ولقد انتقلت فكرة حتمية الألم كوسيلة للخلاص من الكنيسة الى الفن ووضحت الفكرة الاساسية التى تدور حولها روائع الفن وروائع العلم . وسرعان ما تحولت الكلمة من تسجيل الألم الى توزيع الاحسان اللفظى ، حاملة الناس على التظاهر بالألم والتفاخر باحتماله . وراح الكتاب والشعراء ، وقد حملوا المظاهر البائسة، يستجدون ثناء الناس والشهرة العالمية ، عن طريق التفاخر الهمجى بالدور الذى يمثلونه كناشرى الكلمات العذبة والجميلة .

ولعل من أروع الامور يا عزيزى ميخائيل ، أن يقبل المرء على السخرية بالمتألمين المحترفين ، والهزء بذلك الرجل ، الذى يضم حبيبته الى صدره ، فينخس دبوس فى ملايسها أصبعه فيحس بالألم ، ويسمح لذلك الألم بقتل حبه ، أو بذلك الرجل الذى يفرق نفسه فى الحديث عن مفاتن القفقاس وجمال الطبيعة فيها ، ثم يسافر اليها ، ويصطدم قدمه بحجر كبير تدمى له أصابعه، فيروح يلعن هذه الاحجار المخيفة البشعة، أو بأولئك الناس الذين يسمحون لتفاهات حياتهم الحمقاء ومتاعبها ، بأن تحولهم الى معاداة العالم وكراهيته .

فى وسعك أن تفعل ذلك أيها العزيز ، وأن تجيد ما أقول . وانى لأومن أنك خالقت لهذا الطراز من الكتابة الساخرة التى أرى أنك تتقدم نحوها بكثير من الحرص والحذر . وانى لاخشى أنك تبالغ فى هذا الحرص يا عزيزى .



الرسالة الثانية من جوركى الى بريشلفين - بتاريخ ١١ فبراير ١٩٢٦

تأثرت بالغ التأثير برسالتك يا ميخائيل ميخائيلوفيتش، وقد تلوتها والسرور البالغ يغمرنى . ولعلك تفهم أننى وقد اعتيرتك منذ أمد طويل من أكثر الادباء الروس ابتكارا وابداعا ، ومن المتضلعين تضلعا عميقا بروح لغتنا ، أردت منك أن أعرف رأيك فى كتبى ، وان كنت على ثقة ، من انك قد لا تطريها . وافتى لاتعشق مواهبك لا سيما وان حياتك الغريبة تفرض احترامك . فأنت تمثل لى تمثيلا أصيلا وعميقا الشخصية الروسية النموذجية الرائعة . وفى وسعك أن تفهم الآن لم أسعدنى تقريلك لقصتى « الناسك » ولكننى أرى أن الكتاب الذى نشرت فيه ضم بعض القصص الرائعة الاخرى كقصه « عن الحب » وقصة « الشذوذ » .

وقد تذهل يا عزيزى ، أو تظن أنى أسخر أو أكذب عندما أقول ، ان هذا العام أو العام القادم يسجل الذكرى السنوية الخامسة لبدائتى ككاتب ، ومع ذلك فاننى أشعر باننى لم أحسن الكتابة بعد ، وانى ما زلت فى طور التعلم . وها أنا أبعت

اليك بكتاب آخر ، وضعت بعد المجموعة القصصية الاخيرة ، وكلى رجاء أن تقرأه ،
فلقد أحببته وأنا أكتبه ولكنه عندما صدر ككتاب ، عجزت عن قراءته ...

الرسالة الثالثة - من جوركي الى فيدين - بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٢٤

عزيزى فيدين :

شكرا لك على رسالتك الرائعة ، لأنها أهاجت مشاعري بلفظها ومحتواها . فلقد
كتبت فيها تقول وأنت تصف العملية المستمرة فى شحذ شخصيات قصتى « الاخوة
سيرابيون » بأنك تحس بالم شديد . حقا اننى سررت غاية السرور من كلمتك هذه ،
الا أنك تفهم ولا شك ما عنيته من أن شحذ هذه الشخصيات يؤلف عملية مستمرة من
عمليات نمو الفردية وهو ما أظنك توافقنى عليه . حقا انه تطور اجتماعى موات .
وستظل حقب المخاض الفكرى العظيمة كما كانت دائما ثمرة النشاط الفكرى الذى
يصدر عن بعض الافراد . ولقد مثلت النهضة الاوربية فى عصورها الزاهرة انتصار
الفردية . أو تظن أن النظرة الروسية الواقعية العصرية هى بعث جديد . ومساءل
لهذه الفردية ؟ انى لأظن على أى حال ، ان الحقيقة الماثلة ، هى ان انسانا جديدا ذا
وجود ضخم يولد الآن فى روسيا كنتيجة لما عانت من عذاب واضطراب .

ولم اكن فى حاجة الى أن تبلفنى بأنك تكتب قصة جديدة . فقد سمعت هذا
من كافيرين ولونتس . وانى فى لهفة للاطلاع على انتاجك الجديد اذ أننى واثق من
عظمته وأهميته .

ويبدو لى من رسالتك ، ان كابوس الكتابة قد تسلط عليك ، وانك بت ترى
فيها قدرك ومضيقك . وأحس نفس هذا الاحساس من رسائل سلو نيمسكى
وكافيرين لكن قصته « البرميل » فى منتهى التفاهة والسوء . فهو يعلق خياله فى
الهواء ، ويكاد يشبه ذرات من الغبار تلمع فى ضوء الشمس ، ولكنها لا تعنى شيئا .
انك ان قرأتها لن تفهمها ، ولن تتأثر بها . وان كان الادب لا يؤثر فى الانسان
فلا يمكن أن يعتبر كاملا ، ولا يمكن أن يعتبر فنا أو شعرا ..

ولا تصدق يا عزيزى . ما يقال من ان أوربا تسير فى طريق الزوال لاكثر
من سبب . وكل ما يحدث فيها هو ان ما لا ضرورة له يسير فى طريق الزوال
السريع . لكن أوربا تقرؤه فى الصحف عنها لا يعدو ان يكون النفع الذى يشهده
المهيجون السياسيون ، الذين يفتقرون الى النشاط ، ويسيرون سيرا رتيبيا فى
اعمالهم . أما ما لا تنشره الصحف ، فهو الحياة اليومية التى تعيشها والتى تعكس
صورة عن خضم المشاعر والافكار التى تعتمل فيها . وأنا أعنى بالحياة اليومية
ما تعنيه حقا من مجموعات مركبة من المشاعر والافكار ، ومن حب وكرهية متبادلين
بين الناس ، ومن احساس بالحيرة تجاه الحياة ، ومن مشاعر الأصحاء بعد ان يصحوا
من كوابيس يرونها فى المنام .

وقد قرأت كتابين لليونوف ، أولهما « كوفياتكين » وثانيهما « نهاية رجل

متصنع » . وارى ان اولهما يشبه الى حد كبير قصة « أرميز دنوبى » لزامياتين ،
او قصة « مدنية أو كوروف » . أما الثانية فكانها من نتاج دستويفسكى فى كل شىء .
وقد طلبت الى ليونوف أن يبعث الى بكل ما يكتبه .

وقد تعثر فى تقرير « اكاديمية العلوم » على شىء من الاطراء والتقدير لشخص
يسمى ايلكين ، ولسيدة تسمى سموتريتسكايا لأنهما جمعا ٧٩ عينة تتصل بالحياة
فى جزر ماليفيزيا وثقافتهما . وأنا أعرف هذين الانسانين فهو عامل فى
مناجم المعادن ، وهى استاذة فى احدى المدارس . وقد فرا من كولشاك ، وارتحلا
أربع سنوات ، يكسبان أودهما اثناهما ، هى عن طريق تعليم اللغات ، وهو عن طريق
العمل فى التعدين . وقد جمعا فى رحلتهما هذه ، تلك المجموعة الرائعة ، التى
حازت تقدير الاكاديمية .

ها هم ابنا عصرنا . انهم يعيشون فى جبال الاطلس وفى نوميديا القديمة
والبرازيل وباتاجونيا . وفى وسعهم ان يعيشوا على القمر . انى اقرا رسائلهم ،
وارى صورهم على نهر الدون وفى كوبان وتجنى رنو فجورود ، قافرح ، ويفمرنى
السرور يا لهم من اناس فى منتهى الروعة . حقا انهم رائعون . وهم مازالوا
نافعين . فهمم ان ينفعوا ، وان يفيدوا مجتمعهم بطريق أو بآخر .



الرسالة الرابعة - من جوركى الى فيدين - بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٣١

لقد تأخرت فى الرد عليك يا عزيزى قسطنطين الكساندروفيتش ، اذ لم أكد
أصحو الى نفسى بعد عودتى من موسكو ، وأنال قسطا من الراحة ، وأفتح بريدى .
وقد سرتنى النعمة الشجاعة التى بدت فى رسالتك ، ومعنوياتك العظيمة ،
التي لابد وان تساعدك مساعدة جوهرية واساسية فى مكافحة مرضك العضال .
أما انا فقد اصبت بذات الرئة ، ثم شفيت واصابتى النكسة ثلاث مرات ، بالإضافة
الى ما اصبت به من نزلات البرد العادية . أما فى هذا الصيف فقد اصبت وانا فى
ليننغراد بالانفلونزا وارتفعت حرارتى الى الاربعين . ولعلك تعرف انى تغلبت على
هذه الامراض كلها بفضل ارادتى الكبيرة لا بمساعدة الاطباء . حقا انها امراض
مضنية ، فيها العذاب وفيها المداعة .

وقد اعربت عن اسفى مرات عدة وجهارا لانك لم تستطع حضور بعض
الجلسات المتعلقة بشئون النشر الادبى . وانى لاعتقد ان مكتبة الشاعر ، « والدليل
العالمى » سيصدران بشكل طيب . وقد قررنا أن نصدر الدليل على نحو مبتكر ،
كان نأخذ الصحف العالمية الرئيسية التى تصدر فى مختلف البلاد فى يوم واحد
وليكن السادس من ديسمبر مثلا أو الاول من يناير ، وان ندون احداث ذلك اليوم
العامة والسياسية والعلمية ، فى شكل ملخصات ادبية لا تزيد على العشرة آلاف
حرف . وانى لارجو ان تسهم معنا فى هذا العمل . وقد لا تكون مضطرا بالفعل

الى الكتابة فى اى موضوع متعلق بذلك اليوم اذ ان هناك مواضيع عامة تصلح للجميع الايام . الا توافقنى على ذلك ؟ اذن فلنكتب فى اى موضوع من هذا الطراز .

بدأ العمل فى اعداد كتاب عن تاريخ الحرب الاهلية ، وهو يسير سيرا لا باس به ، وان كان ابطأ مما أريد . وقد اختاروك محررا أدبيا للمجلد الأول ، للحديث عن ثورة أكتوبر وجبال الاورال .

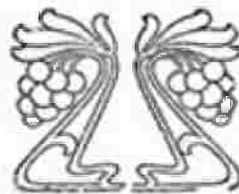
وأقبل العمال على اعداد كتاب « تاريخ المصانع » بكثير من الحماس . وقد سجلنا دائة ومصنعين بينها القديم وبينها الجديد . وتوجه الاسئلة الى العمال القدامى وتسجل اقوالهم والقصص التى يروونها عن الماضى بطريق الاختزال ، بينما يرجع للمحررون الى الوثائق القديمة . اننا منهمكون فعلا .

لذا عليك أن تصح . ان ذلك أهميتك فى عالمنا الثقافى ، فانت رجل موهوب ، واسهامك ضرورى فى جميع هذه المشاريع . اننى لا أحاول مديحك ، وانما أطلب العون من رفيق له وزنه . هذه هي الحقيقة . وقد تمكنا من اعداد مشاريع كثيرة لهذا الصيف وعلينا ان نواصل العمل فيها وان نكملها . ان عدد العاملين معنا قليل ، ولذلك فلنكل أديب مكانه .

أعانقك عن بعد ، وآمل أن اللقاء فى مكان ما فى الجنوب هذا الربيع . أرجو لك الصحة . ويسعدنى أن أسمع منك دائما . .



هذه نفق من بعض رسائل الاديب الكبير ، التى نشر بعضها لأول مرة فى الاتحاد السوفياتى ، والتى ما زال القسم الاكبر منها ينتظر النشر . ولا ريب فى ان هذه الرسائل تلقى ضوءا جديدا ، على فكره ، ونظراته العامة فى الادب والحياة . وقد تؤدى اذا ما تم نشرها بكاملها ، الى تبين زوايا جديدة من حياته وانتاجه ، تساعد على دراسته دراسة أكثر عمقا ، وأوسع آفاقا وشمولا ، وهو ما يرحب به دارسو الادب وعشاق فن جوركى .



قديرو

بقلم

عبد المعطي المسيري

.. ودارت عجلة الزمن فطوت عامين كنت خلالهما مقيما بالقاهرة لا ازور «طنطا» الا لما لقضاء بعض الشؤون .. وفي زيارتي الاخيرة لما ذهبت الى عيادة صديقي الدكتور سامي صحبة قريب مريض ، وفيما نحن جالسون ننظر دورنا اذ بي التقى فجأة بالشيخ الناكل ترافقه شابة في ميعة الصبا يخرجان من حجرة الكشف ، وبارحان العيادة ، ولكني انكرته !! انني اعرف الشيخ عبد المتعال الصاوي ذلك الرجل الذي كافح طويلا ليتيح لولده الحصول على اجازة الحقوق ، والذي استنفد في هذا السبيل قواه .. اعرف ذلك الشيخ المتهدم الذي مانزال صورة سقوطه مغشيا عليه اثناء سير الجنازة مرتسمة في ذهني ، والذي كنت اقدر ان ايامه معدودة ، وان القدر قد قال فيه كلمته، اما هذا الرجل الذي اراه الان يفيض حياة وحركة ، هذا الرجل الذي يرتدي ذلك الثوب القطنى الزاهى ، والرداء اللامع الفاخر ، ويبالغ في التناقض ممسكا باحدى يديه عصا ، لايتوكأ عليها ، وانما ليتحدى ويعلن في ابراز رجولته .. انه

اتم دراسته الجامعية ، وعاد الى مدينته «طنطا» ظافرا باجازة الحقوق ، ثم التحق بمكتب احد كبار المحامين ، وشرع يمضى فترة التمرين بجد ونشاط .

وبينما كان ابوه الشيخ يعالج مشكلة العثور على مكان مناسب ، ويفرغ من ذلك لياخذ في تهيئة الاثاث اللازم لمكتب ابنه الحبيب .. بينما كان الوالد الشيخ يسعى في اهتمام ونشوة ليمهد لولده شق طريقه ، كان القدر الساخر ينسج في اكفان الشاب ويفزل في ثوب آخر لحياة ابيه العجوز !

... وسرنا في جنازة الابن والاسى يحز في نفوسنا لا لفقد هذه الزهرة البانعة فحسب ، ولكن لهذا الحزن الصادق العميق ، وهذا الوجوم القاتل الذى الح على الوالد المسكين حتى حال بينه وبين مواصلة السير مع المشيعين الى المقبرة ، فقد سقط في منتصف الطريق فحمله بعض اقاربه ومعارفه . وعادوا به الى منزله وهو اقرب الى الموت منه الى الحياة ، الامر الذى اذهل الناس وجعل للمصيبة وقعا أليما في نفوسهم .

ليخيل الى ان الحياة قد رجعت به
عشرين عاما ، كانتا قد انقضت من عمره
اعوام ابنه ، وعوضته حيوية الابن
وصباه !! ثم من تكون هذه السيدة التي
تصحبه ؟

وهكذا قدر لى ان اذهل مرتين : مرة
يوم وفاة ولده ، والاخرى عند رؤيته
على هذا النحو .

... لم استطع كبت مايجول بخاطري
فأثرت موضوع الشيخ مع صديقي
الدكتور سامي ، وصديقي هذا هو
الطبيب الذي كان يعود التساب في الايام
الثلاثة التي قضاها مريضا قبل وفاته ،
ثم هو الى ذلك على اتصال وثيق بالشيخ
فلما استفسرت منه طفق يحدثني بتؤدة
وبساطة قال :

ياصاحبي ، ان هناك قدرة الهية
تصوغ مصائرنا ، وتكيفها رغما عن
ارادتنا وهذه القدرة العجيبة تسمى
برحمتها مايعترض سبيلنا بفنون
واساليب مختلفة ، منها السلوان ،
والنسيان ، وقلة المبالاة .. انها لاتأخذ
الا وتعطى ، ولاتمنع الا وتمنع وان
ماذهلك عند رؤيتك لهذا الشيخ التاكل ،
هو بعينه الذي زادني ايمانا بالله وعجيب
صنعه ، لقد كنت بادىء الامر اركن الى
حكم الناس في أن معين حياته قد تضب
فقد عدته اثر سقوطه فوجدت الصدمة
عنيفة قوية لامناس من قضائها عليه اذا
لم يحدث شيء غير مالوف ، أريد أن أقول
اذا لم تتدخل قوة خفية في الامر ، وقد
تدخلت .. وسأحكى لك بايجاز شيئا
من مراحل حياته .

كان أحمد الابن الوحيد الذي ابقى
عليه الموت من اولاد الشيخ عيد المتعال

اذا كانت المنية تتخطف أبناءه وهم في طور
الطفولة ، وكان الشيخ يلاقى الفجیعة
اثر الفجیعة بصبر وایمان ، وكان أحمد
«آخر العنقود» كما كان يحلو للشيخ أن
ينعته ، فأمه لم تنجب بعده اطفالا ومن
ثم كرس الشيخ حياته للابن قانعا به ،
سائلا الله أن يبارك له فيه .

وهكذا نشأ أحمد وترعرع بين احضان
ابوين قدروعهما الموت كثيرا فكانا يصرقان
في العناية به ، والحنو عليه .. لا يضرهما
أن يجوعا ما دام قد شبع ، ولا أن يظما
ما دام قد روى ، اذا اثابته وعكة بسيطة
امسك الابوان قلبيهما من الذعر والهلع
فاذا عادت اليه صحته ، عاد لهما الاشرار
والسرور .

وراحت الايام تمضي والفنى يتنقل في
مراحل الدراسة ، فلما فرغ من التعليم
الثانوي ، التحق بالجامعة ليكمل تعليمه
حتى اذا آن للشيخ أن يتنفس ويجنى
ثمارة غرسه اذ بالموت - عدوه القديم -
يطلق بابه ليفجعه في امله الوحيد !

ولست في حاجة الى القول بانى كنت
اعود الشيخ اثناء مرضه بعد موت ولده
ولكن الذى أريد أن أقوله اننى قدلمست
انه يسترد عافيته بسرعة مطردة ، وان
اساريره وحركاته كانتا تطفحان بمعانى
ذلك القول اليائس : من شاء بعدك فليمت
- فعليك كنت احاذر .

وكانت نظرائه تفيض بالتحدى ، وكان
يردد على الدوام ملوحا بقبضة يده :
لست أخشى شيئا فليتنزل بى القدر
مايشاء !!

وهكذا استطعت أن المح أن الشيخ قد
آثر الاحتجاج على القدر بالتحدى ، أن



الخوف المكبوت في قلبه قد تلاشى ،
والحذر الذي كان يزعجه قد فارقه ،
انه كان يخاف ويخشى من الاقدار على
ولده ، ومادام احمد قد مات فليس ثمة
عزيز يخشى فقده ، ويتوقى الحياة
والاحداث من أجله ، انه كان لا ينظر الى
الحياة بعينيه ، وانما بعيني ابنه ..
كان اذا بليت ملابسه لا يشعر بذلك مادام
احمد يبدو متأنقا وجيها بين زملائه ،
وكان اذا قتر على نفسه يجد لذة في
هذا التقدير الذي سيحفظ التوازن

لرغد ابنه .. وكانت ام احمد رغم تفضن
جبينها ، وعبث السنين بجمالها ، وعدم
استعدادها للحمل أثيرة لديه ، عزيزة عليه
تبدو له وضاحة الجبين ، مباركة
ميمونة لانها أسعدته بأحمد .. وهكذا
كان الشيخ لا يرى الحياة الا من جانب
واحد : جانب هذا الابن الذي وهبه
نفسه واحاسيسه ، فلما اختار الله الفتى
الى جواره اتهار ذلك الستر الذي كان
يحجب عن الرجل العالم جميعا فلا يراه
الا من خلاله ومن ثم استهان بالامور

كلا يا صاحبي ، اننى كنت على وشك ان احدثك حديثها ، انها احسن حالا من الاب .. لقد فقدت ولدها يادى الامر فزعزت المصيبة كيانها ، فلما اردفتها المقادير بزواج الشيخ ذهب عقلها ، انها الآن تعيش بعقل طفل . ولو قبض اليك ان تراها وهى تلعب بالدمى تارة ، وبالكرة اخرى ، لاثار ذلك دهشتك اكثر مما اثارتها رؤية الشيخ .

فقلت : اتريد ان تقول انها جنت ؟
فاجاب : لست انا الذى يريد ان يقول ، ولكنها جنت حقيقة .. !

قلت : وبعد هذا تحدثت عن عدل الاقدار ورحمتها ؟! اين العدل والرحمة فى امرأة فقدت ولدها ورجلها .. وعقلها ؟!

فربت صديقى الطيب على كفى وقال :

او ليس من الرحمة ان يسلب منها هذا العقل الذى يفكر ويشعر بمصيبة موت الولد ، وهجر الزوج ، ثم توهب عوضا عنه عقلا آخر يرد بها الى الطفولة حيث لازوج ، ولا ولد ، فتلعب بالدمى والكرة ؟!

ثم حذق فى وجهى وقال :

اننى كطبيب لو استطعت ان استرجع لها صحة عقلها لما فعلت ، ذلك لانها الآن تقضى بقية ايامها موفورة الراحة والسعادة .

وراح يحتج على الحياة بتغيير كل ما تعود عليه .. بدأ يجوع فلا يلتفت هل شبع ولده ؟ وانما يشعر بالجوع فيأكل ، وينظر الى ملابسه فلا يفكر هل لبس احمد ، بل يعضى على الفور فيبتاع اخضر القماش .. فاما ام احمد فقد بدت لعينيه على حقيقتها فاذا بها ليست اكثر من عجوز قبيح بلا جمال ، ولا ولد فيتزوج بأخرى - تلك التى رايتها معه ينشد عندها المتعة والولد .

وهكذا يا صاحبي بدا لك الشيخ وكأنه ليس هو ، لقد انقضى عمر ابنه الشاب دون ان يشعر الوالد ، ولذلك فقد رجع الشيخ القهقرى واستأنف حياته من جديد ، وبدا يتلقى الحياة غير حافل بأحداثها .. وماذا بقى لديه حتى يحفل او يخشى ؟! لقد كانت ضربة القدر قوية فاصلة ، وأمثال هذه الضربة تكون بمثابة نقطة التحول فى حياة المرء اذ يتلقاها ويحتج عليها بأحداً مريم : فاما ان تصعقه وتقضى عليه ، واما ان تخلق منه انسانا جديدا .. وقد اختار له الله الطريقة الثانية .

وسكت محدثى هنيهة فسألته :

ولكن اذا كانت القدرة الالهية قد تدخلت على هذا النحو فى حياة الاب فاستطاع ان يسلو وان يضطرب فى الحياة من جديد فيتجاوب معها هكذا ، فليس من شك انها قد قست على الام ، الام التى فقدت ولدها .. وزوجها .

فتبسم الطبيب وقال :

القصة في الأدب الانجليزي

٦ عصر التجارب القصصية في القرن العشرين

١ التكنيك السينمائي والقصة ، موسقة القصة الحديثة

بقلم : د. طه محمود طه

يعتمد الانسان في الابقاء على حضارته وفي الاحتفاظ بتراته على التسجيل اما عن طريق التعبير اللفظي أو عن طريق البناء والنصب التذكاري والتماثيل أو عن طريق الرسم والتصوير . وفي العصور الحديثة تمكن الانسان من ادخال تعديلات كثيرة على هذه الطرق في حفظ تراثه وأصبحت الصورة الفوتوغرافية والرسم وتسجيل الصوت والحركة من أهم وسائل الاحتفاظ بالتجارب القديمة وبالذكريات الماضية . وتطورت هذه الوسائل حتى أصبحت سجلا دقيقا يسجل الانسان فيه ماضيه ، سجلا يمكن الرجوع اليه عند الحاجة ومقارنته بالحاضر الذي يعيش فيه . وكان للعلم الحديث أثره الكبير في تطوير وتحسين هذه الوسائل ومنها الكاميرا والفونوغراف والسينما وجهاز التسجيل الحديث .

وفي بداية الأمر كان الاهتمام بهذه المخترعات مجرد تسلية ومتعة ، ولكن سرعان ما أثرت هذه الوسائل على حياتنا اليومية وعلى نظرتنا للكون وللعالم من حولنا . وقد ساعدت الصورة الفوتوغرافية الانسان - لأنها أداة موضوعية محايدة في الملاحظة والتسجيل - على مقارنة الملاحظات والنتائج بعضها ببعض وأخذت رويدا رويدا تحل محل العين المجردة في الملاحظة الدقيقة ، لأن العين لا يمكنها التذكر أو الاحتفاظ بما تشاهده لفترة طويلة . فالكاميرا لها القدرة على تجميد الزمان والمكان والامساك بلحظات عابرة في تاريخ البشرية وحياة الفرد والجماعات ومشاهدة ما لا يمكن مشاهدته « الآن » وتسجيل مناظر في أماكن نائية يصعب الوصول إليها كالقمر مثلا . وهكذا تمكن الكاميرا الانسان من استعراض ما قد فات وتذكر تجاربه الماضية . فالتاريخ لا يعيد نفسه وألشيء الوحيد الذي يمكن انقاذه من برائن الزمان هو ما يسجله المؤرخ والأديب أو ما تسجله الكاميرا أثناء هذا التطور السريع .

وللصورة الفوتوغرافية محاسنها كما أن لها عيوبها ومضارها من الناحية الفنية ، فالصورة تعزل ما تصوره وتسجله عن باقي الحوادث المعاصرة له ، وبهذا تسلب الحادثة أو الموضوع أو التجربة معناها الحقيقي بوضعها في اطار معين ، وفي الوقت نفسه تسمح بادراك الروابط المكانية دون الروابط الزمانية والتي قد يصعب ادراكها فيما بعد ويؤدي هذا الى نوع من الخلط كان شائعا في العصور

الوسطى . ولهذا نجد أنه عندما ندخل الإطار أو التحديد في اعتبارنا يذهب المعنى أو الدرس ولا يصبح مرتبطا ارتباطا عضويا بما حوله . ولهذا تنحصر فائدة الكاميرا أو الصورة الفوتوغرافية في كونها مذكرة أو مفكرة أو تسجيلا مكانيا لما يصعب علينا تذكره أو رؤيته . وفي عالم متغير وفي سيولة وحركة دائمة أصبحت الكاميرا أو الصورة المسجلة خير وسيلة للتغلب على الاضمحلال والتآكل والتقدم في السن ، وتنحصر فائدتها لا عن طريق الاصلاح أو التحديد بل عن طريق الاحتفاظ بالصور المختلفة كما كانت عليه في ذلك الوقت - صور الاشخاص والمباني والاماكن والمدن والمناظر الطبيعية . وهكذا تضيف الصورة الى « الذاكرة الجمعية » في تاريخ البشرية وتصبح جزءا هاما من تراث الانسان الحضارى .

وجاءت السينما أو « الصور المتحركة » في أواخر القرن التاسع عشر وعملت على إبراز تلاحق الصور الفوتوغرافية وبهذا أضافت عنصر الزمان الى المكان ، وأصبح من الممكن تصوير الحوادث والمناظر والتطور في تتابع « زمكانى » . وتطورت الصورة وزادت فائدتها واتسعت امكانياتها ، وأصبح من الممكن التحكم في الأبعاد الزمانية بطريقة العرض البطيء أو العرض السريع . وقبل ظهور الفيلم السينمائي كان تسجيل الحوادث وتسلسلها يعتمد على مقتطفات زمانية ومكانية يمكن عرضها بواسطة الفانوس السحري وبعد ظهور التكنيك السينمائي أصبح من السهل سلسلة الحوادث وعرضها في تتابع زمني منظم وتمكنت السينما من عرض سيولة الزمان بطريقة التتابع والجريان بدلا من عرض صور منفصلة زمانيا ومكانيا . وهنا نرى الرابطة بين ما أسماه برجسون بالسيولة أو الوقت السيكولوجي والزمان الميكانيكي (راجع البحث الرابع في « القصة » عن القصة في القرن العشرين) . ومن ناحية الموضوع ، يظهر أثر السينما ، في بادئ الأمر ، في اهتمام الاديب والفنان بتسجيل الحركة الخارجية والسلوك والوصف الطبيعي بدلا من التحليل النفسى لشخصه ، فهذا النوع من الانتاج الأدبى فى القصة ، وخاصة فى القرن التاسع عشر ، يشبه الى حد كبير ما تقوم بتسجيله الصورة الفوتوغرافية .

ويظهر التكنيك السينمائي فى الشعر الغربى الحديث وفى القصة بشكل واضح فيما يختص بعامل الزمان والمكان . ويقول جويس فى قصته الاخيرة « فينيجانز ويك » ان العالم عالم حقيقى ولكنه عالم تتلاحق فيه الصور خلف بعضها بطريقة تشبه جذب الشريط المصور من على « بكره » ، وهكذا يصبح العالم The reel world وتشبه طريقة العرض فى قصته « عوليس » طريقة العرض السينمائية - لقطة قريبة تتبعها لقطة عادية أو لقطة عادية أو قريبة يتبعها نوع من الارتداد الى الماضى البعيد أو الى مكان ناء . وبعد قراءة القصة كلها يخيل اليها أنها صورة كبيرة جمعنا أجزاءها المبعثرة بشق الأنفس أو فيلم سينمائى تتبعنا حوادثه الطويلة المعقدة .

وربما لا نقدر الأثر الكبير الذى تركته هذه الفنون السينمائية فى فن القصة ، ولكن مما لا شك فيه أن القصة الحديثة قد تأثرت بالفن السينمائى كما تأثرت السينما بالتجارب العديدة فى الفن القصصى . وفى العصر الحديث أوجت الصورة

الفوتوغرافية للأديب بأن يسجل السلوك والتطور ويراعى الدقة فى الملاحظة وتسجيل النتائج وهذا ما نراه فى القصص الواقعية والطبيعية .

ويتضح لنا الاهتمام بالحركة اذا ما تذكرنا الافلام السينمائية القديمة بحركتها الدائمة الخارجية والعنف والسباق والمطاردة كما فى افلام شارلى شابلىن والافلام الكوميديا القديمة و افلام المغامرات والفروسية ورعاة البقر والحروب . وبدأ الفن السينمائى يطور نفسه واخذ يبتعد عن الحركة الدرامية واصبح فنا قائما بذاته لا يعتمد كثيرا على الحركة الخارجية وانما يعتمد على تحليل الدوافع وتصيد اللحظات الهامة فى حياة الشخص . وتقابل عاملا الذاتية والواقعية - التتابع الزمانى الميكانيكى مع سيولة الزمان الذاتى السيكولوجى . واخذت طريقة العرض فى الفيلم السينمائى تتأرجح ، كالسرد فى القصة تماما ، بين الماضى بتجاربه وذكرياته وصوره والحاضر مع الاحتفاظ بواقعيتهما . واختفت الابطال و « الحدود » الى حد ما من القصة ومن الفيلم السينمائى ، واعتمد الفيلم على التتابع الجغرافى أو التاريخى وتمكنت السينما كالقصة تماما من استغلال نظريات اينشتين وبرجسون استغلالا فنيا فيما يختص بمشكلى الزمان والمكان (راجع « العلم الحديث والقصة » فى العدد الرابع من القصة)

وقبل ظهور السينما الناطقة فيما بين عام ١٩٢٧ وعام ١٩٢٨ كان الفيلم يعتمد على الحركة الدرامية السريعة بدلا من الحوار ، أما بعد ظهور الصوت فى الافلام أخذت السينما تعتمد على القصة والحوار . وكان الاعتماد فى بادى الامر على « اللقطة » لا على المنظر ولكن سرعان ما تغلبت السينما على القيود المسرحية فى الاخراج وبتطور الفن السينمائى اصبح من الممكن تصوير افكار الشخص و احساساتهم بطرق مختلفة منها الرمزية . وتفوق الفيلم السينمائى على المسرحية لانه يمكننا من ادراك ما يخفى بين السطور ويجعل لرد الفعل السيكولوجى فى الشخص اثره الكبير . وتلعب الكاميرا دورا هاما فى الاخراج السينمائى لان لها القدرة على التحرك بسرعات مختلفة وفى اتجاهات عديدة . وعن طريق العرض السينمائى تمكن الانسان لأول مرة من أن يعيش فى الماضى لا عن طريق القراءة أو التذكر أو عن طريق صور فوتوغرافية أو لوحات زيتية بل عن طريق العيش فى الماضى نفسه وسط مشاهد متعددة تصور له الماضى بأشكاله وألوانه وأصواته المختلفة .

وللسينما القدرة على تصوير احساساتنا وأفكارنا عن العالم الذى نعيش فيه ، وتكشف بذلك عن النظرة الجديدة للزمان والمكان . وعن طريق سيطرتها على الزمان والمكان وضغطهما ، وعن طريق تصوير التغير المستمر فى الحوادث ، ولقدرتها على إبراز نداخل الحوادث والعواطف والمواقف ، ولقدرتها على عرض القريب والبعيد فى وقت واحد وعرض التجارب الذاتية والهوس والتشويه فى حاسة البصر والسمع والألوان ، تصبح السينما ، لكل هذه الاسباب مجتمعة ، الفن الوحيد الذى يستطيع أن يعطينا فكرة عن العصر الذى نعيش فيه بكل ما فيه من متناقضات . وقد جمعت السينما بين طريقة العرض والاستماع واستغلت الصورة المرئية والموسيقى أحسن

استغلال . وقد كتب هكسلي قصته « الغوريلا والجوهر » على غرار فيلم سينمائي نرى فيه مناظر متلاحقة ونسمع صوت المعلق على الحوادث وكأننا نشاهد فيلماً سينمائياً .

وكل هذه الفنون تشترك في شيء واحد : عنصر التجريب ونتيجته المجتمعية التي بعثت به كل البعد عما هو تقليدي ومتعارف عليه . فالانطباعية والطبيعية اهتمتا بالبيئة والرمزية والتعبيرية اهتمتا بالفرد . ولكن الاتجاه العام في أدب النصف الاول من القرن العشرين هو الذي ينحو نحو تأكيد الشعور بعزلة الفنان عن قرائه . ولهذا يحاول الأديب أن يبقى على المسافة التي تفصل بينه وبين القارئ ، يخلق بديل له أو « معلق » أو « راو » أو « محدث » . وباختصار استطاع القصصي أن يصل إلى العنصر الدرامي الذي كان يتفوق به عليه كاتب المسرحية . ويمكن وجود المعلق في القصة الأديب من أن يعالج موضوعات شتى دون أن يظهر هو على مسرح الحوادث . وتمكن عن طريق استعمال المعلق أن يحرك حوادث القصة إلى الامام وإلى الخلف ويغير المناظر والمواقف من جانب غير شخصي . ويصبح المعلق مثل الكورس في الدراما الاغريقية ، يمثل العالم بأجمعه وينظم الصور التي يجب على القارئ أن يراها ويضيف تعليقاته على ما يشاهده وأصبح له أكثر من عينين وأخذ يرى المشاهد والمواقف من جوانب عديدة وفي لحظات زمنية مختلفة ، وقد استغل البيوت هذا التكنيك في « الأرض الخراب » وخاصة في الجزء الثالث منها ، وعن طريق المعلق أصبح الأديب في حل من إبراز العقدة أو مواجهة اللحظات الحرجة في قصته . فالمنظر أو الموقف الدرامي يمكن التغلب عليه بسرده لا بتقديمه . ومن جراء هذا تلاشى الموقف العاطفي الذي كنا نراه في القصة الفكتورية والذي كان يسمح بالملودراما ، وأمكن لقصاص القرن العشرين أن يسرده عن طريق المعلق . ونرى في « إلى الفئار » شيء من هذا القبيل عندما تجنب فيرجينيا وولف وصف موت مسز رامزاي وحدثننا عن وفاتها في عبارة مقتضبة في منتصف القصة .

ويتحكم القصصي الحديث في تيار الوعي في القصة بطرق سينمائية ، ودراسة أثر الفن السينمائي في تكنيك القصة وأثر تكنيك القصة في الفن السينمائي تعطينا مادة غزيرة للبحث . وفي هذا المجال الضيق سنشير إلى وجه واحد فقط للتشابه وهو المونتاج . وللسينما فنون أخرى وهي اللقطة المزدوجة والعرض البطيء والسريع وذوبان المنظر والقطع واللقطات القريبة والبانورامية والرجوع إلى الوراء في الزمان أو الارتداد أو ما يطلق عليه Fgosh-Backs . والمونتاج بالمعنى السينمائي يشير إلى مجموعة من الحيل التي تستعمل لكي تظهر لنا توارد الحواطر والأفكار وارتباطها بعضها ببعض كتوارد المناظر المختلفة بسرعة الواحد تلو الآخر أو عرض صورة فوق صورة أخرى أو إحاطة صورة رئيسية بصور أخرى تمت لها بصلة ويظهر ذلك في أفلام الاخبار المصورة في السينما ونراه الآن على شاشة التلفزيون . والطرق الثانوية الأخرى هي لمساعدة المونتاج وتستخدم للتغلب على امكانيات شاشة العرض المحدودة والتي تعرض المنظر في بعدين فقط . وبعضها يهتم بتسلسل الحوادث والآخر ،

مثل الحركة البطيئة واللقطة القريبة Cgos-up يهتم بالتفصيلات الدقيقة للحركة أو الملامح أو المميزات وهو ما يطلق عليه « التوسيع اللانهائي للحظة ما » .

وما استعمال أساليب الفن السينمائي في القصة الا محاولة للتغلب على التقيد بالأبعاد الزمانية والمكانية . ونرى جويس وفيرجينيا وولف مثلا يستعملان هذا التكنيك السينمائي لكي يتخلصا من تحكم الزمان والمكان في عملية الخلق الفنية وفي سهولة تيار الوعي الذي لا يسير بمقتضى زمن ميكانيكي منظم . وتمكن القصاص من التحرك بقصته زمنيا الى الامام وإلى الخلف وتمكن من خلط الماضي بالحاضر وما يتخيله في المستقبل . ويقول « دافيد داتشميس » في كتاب له عن فرجينيا وولف أن هناك «طريقتين للعرض : الاولى هي أن يظل الفرد ثابتا في مكان واحد بينما تحرك وعيه في اطار زمني عريض وتكون النتيجة مونتاجا زمانيا أو عرض صور وأفكار زمن آخر فوق صور وأفكار الحاضر . والثانية هي أن يظل الزمان ثابتا بينما يتغير المكان وينتج عن هذا مونتاجا مكانيا . وأهم وظيفة لهذه الحيل السينمائية وعلى الأخص المونتاج هي التعبير عن الحركة وطبيعة الفكر المزدوجة . وساعدت هذه الطريقة الأدباء على تصوير الازدواج في الطبيعة الانسانية - حياة الانسان الذاتية الفكرية متمثلة في تيار الوعي الذي يسيل من لحظة لأخرى وحياته في العالم الطبيعي وحركاته وسكناته . ونظرة واحدة الى قصة فيرجينيا وولف « مسز دالواي » ستوضح لنا كيفية استعمال المونتاج في القصة . وطريقة فيرجينيا وولف في الفصل الاول هي طريقة التونولوج الداخلي ، ويبقى القارئ داخل وعي مسز دالواي يستعرض معها هذا السيل الجارف من الأفكار والخواطر والاحساسات التي يجلبها العقل من أركان عديدة في أبعاد زمانية مختلفة . ونسبح في هذا التيار داخل رأسها في العشرين صفحة الأولى ولكن عدد الخواطر والصور مع هذا عظيم وفيها تنويع مذهل من حيث المكان والزمان معا . وإذا قمنا بتلخيص بضع صفحات من هذه الافتتاحية ظهر لنا اثر المونتاج واضحا هذا الى جانب بعض الحيل السينمائية الاخرى التي توضح ما أطلق عليه « المونتاج الزماني » :

نرى « كلاريسا » تفكر في الاستعدادات لحفلة ستقيمها في القريب العاجل في أول جملة في القصة ، ثم فجأة تفكر في اللحظة الحاضرة وتعلق على صفاء الجو في هذا الصباح ثم تعود بذاكرتها الى الماضي ، منذ عشرين عاما ، وتفكر في الايام الجميلة التي قضتها في « بورتون » وهنا تستعمل تكنيك تداعي المعاني لان صفاء الجو « اليوم » يذكرها بالايام الجميلة التي قضتها في « بورتون » وفي الوقت نفسه يوحي اليها هذا التكنيك بطريقة الارتداد . وتستمر كلاريسا في العيش في الماضي ولكنها تركز فكرها على يوم معين بالذات وتذكر محادثتها مع « بيتر والش » بكل تفاصيلها الدقيقة ويوحى هذا بتكنيك السينما في « اللقطة القريبة » أو الصورة المجهرية الدقيقة ، ويتبع هذا تخيلها لزيارة « بيتر والش » في القريب العاجل لمدينة لندن وهنا تلجأ الى المنظر المزدوج Multiple-view ونترك وعي كلاريسا لبضعة أسطر لندخل وعي شخص آخر يراقبها وهي تعبر الطريق وهو « سكروب بيرفيس » ، جازها في حي وستمنستر . ثم نعود الى تيار الوعي عند كلاريسا ، بعد أن نعرف

عن طريق جازها أن سننها يزيد على الخمسين عاما . ونجدها تتأمل ، في الوقت الحاضر ، حبها لوستمنستر ويتبع ذلك نوع من السرحان وتبدأ الافكار في الذبول Fade-out وتختفي رويدا رويدا وتبدأ فكرة أخرى في الظهور ، حوار حدث بالأمس وكان موضوعه انتهاء الحرب وهذه الفكرة بدورها تذوب من وعيها وتبدأ في الاستمتاع معها بجو لندن الذي تتمتع به « الآن » . وهنا تلجأ فيرجينيا وولف الى طريقة القطع وتترك المنظر القديم لتقدم لنا مجادثة قصيرة بين كلاريسا و « هيو ويتبريد » الذي تقابله في الطريق . وعن طريق اللقطة القريبة نعرف جانباً من هذا الحوار ثم يذوب هذا الحوار ويبدأ وعي كلاريسا في السيولة مرة أخرى ويطفو على سطح تياره صور لعائلة « ويتبريد » ويأخذ الزمان في التذبذب بين الماضي البعيد الى « الآنية » أو اللحظة الحاضرة الى المستقبل القريب ومنه الى الماضي البعيد . وتتخيل كلاريسا ولا زال وعيها في الماضي البعيد هذا ، « بيتر والش » و « هيو ويتبريد » في « بورتون » ويتغير هذا المنظر بطريقة القطع السريع ويتجه وعيها الى تأمل صفاء الجو في ذلك الصباح . ثم يذوب المنظر وتطفو خواطرها وأفكارها عن « بيتر » في الماضي وكيف أنها وقعت في غرامه ولكنه تزوج واحدة أخرى . وتصل كلاريسا الى أبواب الحديقة وتندفق الافكار غزيرة في وعيها .

وكل ما أشرنا اليه حتى الآن يقع في العشر صفحات الاولى من القصة وأرجو أن تكون فكرة المونتاج الزماني قد اتضحت من هذا المثال . والنوع الثاني من المونتاج، وهو المونتاج المكاني الذي يتوقف فيه عنصر الزمان ويتحرك فيه عنصر المكان ، يظهر بوضوح في قصة « غوليس » لجيمس جويس في الفصل العاشر . ويتألف هذا الفصل من ١٨ منظراً في أنحاء متفرقة في مدينة دبلن . ويحرص جويس في طريقة عرضه لهذه المناظر على اعطاء القارئ « مفاتيح » وإشارات معينة توحى له بأن بعض الحوادث والمناظر تحدث في وقت واحد . والوقت المحدد لهذا الفصل بأجزائه العديدة هو ساعة واحدة تبدأ في الساعة الثالثة بعد الظهر وتنتهي في الساعة الرابعة .

ولكي يعطي جويس القارئ الاحساس بالزمان في فصل يصعب تتبع الزمان فيه ، يلجأ الى حيلة بارعة وهي استعمال اشارات لفظية تظهر وتختفي في بعض المناظر وتشير الى ارتباط المناظر المكانية العديدة بعضها ببعض ارتباطاً عضوياً - وان لم تتضح هذه الروابط من القراءة الاولى . ولولا هذه الاشارات العابرة لبدت هذه المناظر وكأن لا رابطة بينها . وقد أطلق أحد النقاد على هذا الفصل « المتاهة » وهو أحسن نموذج لما يعرف بالمونتاج المكاني وطريقة العرض الرئيسية فيه هي طريقة قطع المناظر والمواقف وتغييرها بسرعة من مكان لاخر مع بقاء الزمان ثابتاً الى حد ما .

٢ - موسقة القصة : The Musicalization of Fiction

ولم تكن القصة بامتصاص نتائج علم النفس التحليلي والعلم الحديث والتقنيك المدينامي بل حاولت أن تقلد الموسيقى في سرعة تأثيرها وفي قدرتها على نقل

احساسات مختلفة في وقت واحد الى السامع . فالموسيقى تفعل بسهولة وبسرعة فانفتحت ما لا تستطيع الالفاظ أن تفعله الا بعناء ومشقة أو ما لا يمكن فعله اطلاقا . والموسيقى أيضا القدرة على تصوير الحياة بما فيها من متناقضات .

ويقول « والتر باتر » : « ان كل الفنون تحاول أن تسمو الى مرتبة الموسيقى » ولا يتم هذا « الا عن طريق الاخلاص الصادق للمزج بين الموضوع والشكل عن طريق العناية بشكل الجمل وصورتها حتى يمكن لهذا الایحاء الموسيقي السحري من ان يلقى بضوئه ولو للحظات عابرة على سطح الكلمات ، تلك الكلمات البالية التي استهلكت وشوهت بمرور عصور من الاستعمال المهل » . وقد اهتم الشعراء الرمزيون في فرنسا بالالفاظ لما لها من سحر موسيقي ولكنهم ، كما يقول هكسلي ، اخضعوا المعنى للصوت ونتج عن هذا غموضا وتعقيدا .

ويقول و . ت . ستيس في كتابه « الزمان والأزلية » « يشعر الانسان أحيانا وهو يستمع الى قطعة موسيقية انه على وشك الانطلاق من سجن الحياة والحواس أن لم يكن من العالم بأسره . فهناك شعور خفي بأن ما تريد تحقيقه والوصول اليه قد أصبح قريبا جدا وأن الخائض أو الحاجز الذي يحد الكون على وشك الانهيار والتصدع من لحظة لأخرى ، وبهذا تصبح روح الانسان حرة في الاندماج مع اللامنتهى . ولكن هذا لا يحدث لأنه من المحال تحقيقه أو التجدد عنه أو التفكير فيه . ولا يسع الانسان الا أن يرجع مرة أخرى الى تيار الزمان والمتغير ويصبح الهدف المراد الوصول اليه مجرد احساس غريب نشعر به لفترة قصيرة ثم نفقده » .

ومكذا نرى أن الموسيقى تساعد الانسان والاديب على التغلب على الزمان ولز لفترات قصيرة . واذا كان الموت شيئا لا يمكننا التغلب عليه أو نسيانه ، والعيش في الزمان الذي لا يتوقف عن الحركة شيئا لا يمكننا الهروب منه ، واذا كان الاديب لا يجد المخرج من هذا المازق ، كما بينا في بحث سابق ، في السفر أو الترحال ، فان الاديب يحاول أن يقهر الزمان الذي يشده الى الشيخوخة أو الموت بشتى الطرق . وفي الموسيقى ، كما في التجربة الصوفية أو لحظات التجلي ، يستطيع الانسان أن يسيطر على الزمان ولو لفترات قصيرة ويعيش في عالم شبه روحاني . ولكنه اذا حاول نقل هذا الاحساس الى آخرين عجز القلم عن وصفها . فالموسيقى تحدثنا عن العالم الذي نعيش فيه ولكن بطريقة موسيقية لا دخل للمفردات فيها واذا حاولنا نقل هذه الاحاسيس أو ترجمتها الى الالفاظ أصبح هذا ضربا من ضروب المستحيل . ولهذا يلجأ العريف أحيانا الى الصمت لأنه عندما يعجز اللسان عن التعبير يصبح الصمت الوسيلة الوحيدة ، وقد يحدث الاندماج . واذا أراد الاديب أن يهرب من المتغير ومن تيار الحياة الجارف المستمر لا بد أن يكون لديه القدرة على أن يرفع رأسه فوق هذا النهر من التجارب . فالاحاسيس والمشاعر المختلفة يصعب توصيلها في كلمات لأنه من العسير على الاديب أن يعبر عن فكرتين أو أكثر في وقت واحد كما في الموسيقى . وهذا يرجع الى طبيعة اللغة التي نستعملها ونكتبها في

كلمات والكلمات فى أسطر الواحد تلو الآخر • أما فى الموسيقى فيمكن التعبير عن فكرتين أو أكثر فى وقت واحد بطريقة توافق الألحان أو تقابلها أو تتابعها ، فى هذا الشأن يمكن القول بأن اللوحة الزيتية أو الصورة لها القدرة على نقل الاحساس بها دفعة واحدة بطريقة الجسثالت ، ولهذا نجد بعض المناظر أو التجارب فى القصص توصف بطريقة الرسم والتصوير لفاعلية هذه الطريقة فى نقل وتوصيل الاحساس دفعة واحدة ويكفى أن نشير الى قصص د • ه • لورنس وهكسلى وجويس •

وقد أدرك القصاص الحديث أهمية الموسيقى فى التركيب القصصى وأعطته الموسيقى القدرة على السيطرة على مادته التى قد تبدو لأول وهلة وكأنها كومة من الأخطاط العجيبة المتنافرة المتناقضة • ولكن ما أن تبسط القصة نفسها أمام القارئ حتى تتزاور المتناقضات وتتوافق الأفكار وبانتهائه من قراءة القصة سيخيل اليه أنه كان يستمتع بسيمفونية كاملة بحركاتها المختلفة وستبدو مواقف الاعجاب والسخرية ، والحياة والموت ، والمأسى والكوميديا وكأنها جميعا جزء لا يتجزأ من السيمفونية كوحدة متكاملة •

ومن الفن الموسيقى فى القصة نرى توارد الحواطر والأفكار وظهورها واختفائها ومن تتابع الألحان نرى التغير فى الأمزجة والشخص ووجهات النظر ، ومن تقابل الألحان نرى الأديب يعرض لنا الشيء الواحد من وجهات نظر مختلفة ومن زوايا مختلفة •

وفى هذا يقول هكسلى فى قصته « تقابل الألحان »

وعنوانها يوحى بتركيبها الموسيقى :

« موسيقى التشر القصصى • لا بطريقة الرمزين باخضاع المعنى للصوت ... ولكن على نطاق أوسع ، فى تركيب القصة • تأمل موسيقى بتهوفن • التغيرات فى الأمزجة والانتقالات الفجائية ... (وقار يتبعه مزاج ... وكوميديا تشير فجأة الى المأسى فى حركة « الاسكرزو ») وأكثر ما يثير الاهتمام هو التغير فى اللحن ، وليس هذا من نغم الى نغم ، بل من مزاج الى مزاج • فتقدم اليها فكرة ، ثم تتطور وتغير شكلها وتشوه حتى تصبح مختلفة عن الفكرة الأولى ولو أنها لا تزال كما هى الى حد ما ... ضع هذا فى قصة • كيف ؟ الانتقالات الفجائية سهلة للغاية • كل ما تتطلبه هو عدد كاف من الشخص وحركات متوازية تقابل الواحدة الأخرى • فبينما يقتل « جونز » زوجته نرى « سميث » يدفع بعربة الأطفال فى الحديقة • حاول أن تتعاقب الأفكار • هذا يثير الاهتمام ، ولكن الألحان والتغيرات أصعب • فالقصص يلحن عن طريق ازدواج المواقف والشخص وخلقها • فهو يعطينا صور شخص عديدة تقع فى الغرام ، أو تموت ، أو تصلى ، بطرق مختلفة - شخص متشابهة تحل نفس المشكلة • أو بالعكس ، شخص متشابهة تجابه مواقف مختلفة • وبهذه الطريقة يمكنك أن تلحن عن طريق الأوجه المختلفة لفكرتك ، وتكتب عن التغيرات لاي عدد من الأمزجة • وطريقة أخرى : يستطيع القصاص أن ينظر الى الأشياء بعين الأزل وينتقى ببساطة حوادث قصته فى أطوارها المختلفة - العاطفية ، العلمية ، الاقتصادية ،

الدينية ، الميتافيزيقية ، الخ . وينتقل من واحدة لأخرى - من الناحية الجمالية للأشياء -
مثلا الى الناحية الفيزيوكيميائية ، من الناحية الدينية الى الناحية الفسيولوجية او
المالية . ولكن ربما كان فى هذا نوع من السيطرة الاستبدادية لقدرة الكاتب » .

وبالإضافة الى فائدة الموسيقى فى التركيب القصصى فإننا نجد لها فائدة أخرى
من ناحية الموضوع . فالموسيقى تعبر عن الخير الكامن فى النفس البشرية وفى
الكون - فالموسيقى تتغلب على الزمان وسيولته بطريقتها الخاصة وتحاول أن تصل
الى وحدة الكون . وفى الموسيقى تحول الزمان الى مكان ثم نقضى عليه ولو للمحطات
عابرة . فالموسيقى يفرض على النغمات المختلفة نظاما ويضفى على الافكار المتناقضة
معنى ويجعل من الاصوات المختلفة وحدة . فالقطعة الموسيقية او السيمفونية تمثل
الغوضى والتناقض والسيولة والتغير الى جانب النظام والتوافق والتكامل .
فالسيمفونية عالم صغير يرمز الى الكون العظيم . فما نراه فى العالم من خير وشر
ومتناقضات يشبه الى حد كبير النغمات المختلفة فى قطعة موسيقية . ولا يجب علينا
أن نقول أن لهذه النغمة أهميتها ونقلل من أهمية نغمات أخرى ، فالسيمفونية هى
مجموعة النغمات ، والنغمات كلها هى السيمفونية . ولكل نغمة أهميتها طالما هى
جزء لا يتجزأ من السيمفونية كوحدة متكاملة . وليست السيمفونية مجموعة من
النغمات فحسب بل هى مجموعة من النغمات فى نظام معين وكل نغمة لها مفزاها فى
اطار السيمفونية وبدون السيمفونية تفقد حياتها وجودها ومعناها . وهكذا الحياة ،
ليس فيها شئ حلوا أو مر ، شئ قبيح أو مليح ، ولكنها الحياة . والانسان الذى
يستطيع أن يتذوق الموسيقى فى استطاعته أن يتغلب على المتغير ، وعندئذ يرى العالم ،
لا ككومة من الأخطا العجيبة ، بل كوحدة لكل جزء فيها أهميته . فأى نغمة فى لحن
سيمفونى لا معنى لها بمفردها . والنغمة جزء من الميلودى ولا بد أن نسمعها لوقت
كاف حتى نستطيع أن ندرك ماهيتها . وربما تكون الحال فى الحياة هكذا ، فأى
تجربة ربما لا تعنى شيئا اذا نظرنا اليها فى معزل عما يدور حولها ، ولكن اذا نظرنا
اليها بعد وقت طويل ولمدة طويلة فسيظهر لنا اتجاهها ومفزاها . ونجد هنا رابطة
قوية بين أثر العلم الحديث والموسيقى فى القصة . فقد قلنا فى البحث الرابع أنه من
المستحيل أن نعرف شيئا عن تصرف ذرة بمفردها زلا بد لنا من ملاحظة عدد كبير
منها لمعرفة اتجاهها وهدفها . ولهذا فأى تجربة فردية فى الحياة ما هى الا نغمة واحدة
فى سيمفونية كونية عظيمة لاتزال تبسط نفسها .

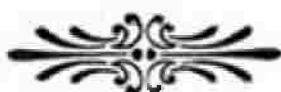
وفى قراءتنا للقصة الحديثة لا بد لنا من اعتبارها كعمل فنى متكامل حتى ولو
كانت تزخر بما يطلق عليه « اللامعقول » ولا بد أن يكون لدينا القدرة على استيعاب
أشياء كثيرة على مستويات مختلفة وفى وقت واحد .

وفى ختام هذه السلسلة من الأبحاث عن القصة فى الأدب الانجليزى يجب أن
نقول ان من أهم أسباب الغموض فى القصة الحديثة هو موقف الكتاب من القارئ .
فالغموض فى القصة الحديثة ليس مقصودا لذات الغموض وانما جاء ، كما حاولنا أن

يبيين ، نتيجة لعوامل عدة أهمها أن الكاتب ينشد القارئ الذى يبذل فى فهمه بعض ما بذله هو فى الخلق والابداع ، يريد القارئ الذى يتفرغ له ويتعمق مراميه كما صبر هو فى تأمل تجاربه واقتناص معانيه . وهذا الغموض الذى يصطنعه أو التعسير - ان صح هذا التعبير - انما هو بمثابة سياج يحمى به الكاتب نفسه من القارئ العادى ، من القارئ الذى يتصفح أو يفتح الراديو والكتاب معا . فالكاتب يعتمد الى أن ينفر مثل هذا القارئ تنفيرا والى ابعاده عنه ابعادا اذ أنه يرى فى مثل هذا القارئ خطرا كبيرا على الأديب . والكاتب الجاد الذى يأنس بأن له رسالة يسعى لا يلاغها يصون نفسه من العابثين ويحرص على ألا يقربه سوى الجادين مثله . ولا نبأخ اذا قلنا ان كثيرا من هؤلاء الكتاب ، فى مقاييسهم للنجاح ، لا يعتدون بالكثرة العددية مثل ما يحرصون على القلة التى تفهم رسالتهم على الوجه الصحيح ويكفى أن نقول ان كاتباً مثل جيمس جويس يتفق سبعة أعوام متصلة فى كتابه « عوليس » وسبعة عشر آخر فى قصته الأخيرة « فينيغانز ويك » ويعيش طيلة حياته على الكفاف ، كاتب لم تستهوه الشهرة ولم تجتذبه الاعداد .

ومن أهم أسباب الغموض فى القصة هو موقف الكاتب من اللغة نفسها وهو يشبه الى حد كبير موقفهم من القارئ العادى ، بمعنى أنهم أصبحوا لا يطمئنون الى اللغة العادية مثلما فقدوا الثقة فى القارئ العادى . فاللغة العادية فى نظرهم تعانى من الفضفضة أحيانا والكلل أحيانا أخرى والابتذال دائماً فأصبحت بذلك غير قادرة على الوفاء بمعانيهم وعلى نقل الجدة والطرافة التى تتصف بهما نظرتهم للحياة . ولذلك كثيراً ما نجد الكاتب من هؤلاء يجنح نحو تحميل الألفاظ واللغة فوق ما يعرف القارئ العادى من مدلولاتها . وكثيراً ما تنوء الألفاظ بحملها هذا الجديد فتنفجر وتتفتت الى كائنات جديدة أو تلتثم بأشتات من الألفاظ أخرى وتكون معها ألفاظاً جديدة لها مدلولات جديدة ، ويصادفنا هذا بشكل ملحوظ فى قصص جيمس جويس .

وقد بالغ فى بعضهم فى التعمية وأغرقوا فى الغموض الى حد جعل أكثر القراء عالة على تفسيرات النقاد وتخريجاتهم . ونحن بهذه الأبحاث لا ندافع عن هذا الأسلوب فى التفكير أو التعبير وانما هى ظاهرة أدبية من ظواهر القرن العشرين تستحق الدراسة والتسجيل شأنها فى ذلك شأن الظواهر العلمية والحضارية التى تجد فى حياة الغرب ونحرص على تتبعها وتفهمها .



باطل الأباطيل

بقلم : محمد حسن عبد الله

« ولكن .. هل كان أمامي غير هذا الموضوع ؟ حضرة المفتش .. العجوز الطويل الأعرج .. مثل سيمافور غمرة ، مصمم على أن تكون موضوعات التعبير مستقاة .. هكذا .. مستقاة ! من البيئة .. وبعد غد .. العيد .. والموضوع : قصة يتيم يوم العيد ؟ مهسوط يا حضرة المفتش ؟ موضوع فسيح يرمح فيه الحيال ، وتنفس فيه المراهقات عن أحزانهن .. بيئة ايه يا حضرة الزناتى خليفة ؟ أين هي البيئة ؟ اننا هنا في مساكن المدرسات لا نرى الا القمر فى السماء ، وعم أبو جاسم .. حارس البناية على الارض ، ويسر اليوم بعد اليوم ، والاسبوع بعد الاسبوع ، ولا تمتد أعيننا ولا آذاننا الى أكثر ما امتدت اليه حين هبطنا من الطائرة ! »

وعادت نوال تنظر الى تل الكراسيات أمامها ، وهي تقيسه بنظراتها ، وتقسمه على أيام عطلة العيد ، وتحلم بأن تستقبل أيام المدرسة ، بعد انتهاء العطلة ، وليس عندها شغل بايت !! وحاولت أن تجعل نصيب يوم العيد من الكراسيات أقل من انصبة الأيام الأخرى ، حتى تشعر بشيء من الفراغ .. بأن هذا اليوم غير كله

للمرة العشرين كتبت التلميذات فى كراسياتهن ، « قابلت الطفل وهو باكى » وللمرة العشرين أيضا ، وضعت نوال خطأ أحمر تحت كلمة (باكى) وشطببت الياء ، ووضعت كسرتين تحت الكاف !! وأطلقت نفسا حبيسا مجهدا ، يمتزج فيه الضيق من اللغة ، التى تحذف وتضيف دون منطق معقول ، بالضيق من الطالبات السلاتى تكرر منهن هذا الخطأ بعينه ، وما تظنه الا سيتكرر فيمابقى من الكراسيات .. والتل لم يختل بعد ، على الرغم من أنها أخذت منه حتى تصلبت أصابعها على القلم ، ورقصت الكلمات أمام عينيها .. وعضت شفتيها بشيء من الندم ، وهي تنحو على نفسها باللوم ، فلو أنها اختارت موضوعا آخر ، لما تحتم أن تذكر التلميذات هذه الكلمة اللعينة ، ويتكرر منهن الخطأ فيها !! حقا .. يجب أن تتمتع المدرسة بنوع من الحدس قوى ، فتتخيل ما ستكتب تلميذاتها فى الموضوع قبل أن تعلنه ذكاء الذكيات ، وغباء الغبيات ، وسخافة عقولهن .. ويجب أن تضع فى اعتبارها بعض التراكيب اللغوية التى من المحتمل أن تعترض طريق التلميذات أثناء التفكير !

الأيام ٠٠ لكن : هل هو هنا غير كل
 الأيام ؟! وخفق قلبها لأيامها السالفة في
 وطنها ، قد مر عليها خمسة أشهر كانها
 دهر طويل ، انها لا تكاد تصدق انها
 سترى شارعهم مرة أخرى ٠٠ كم تخشى
 عليه أن يضيع من ذاكرتها ، لذلك تفكر
 فيه كل يوم ، وتذكره عند الغروب
 خاصة ، وقد اكتسحته الشمس بأشعتها
 المصفاة ، وانتشر فيه الصبيان والاطفال
 يلغظون ويمرحون كأنهم سرب من
 العصافير ٠٠ هؤلاء يتقاذفون الكرة
 الشراب ، التي أصابتها مرارا في كتفها
 عند عودتها من الكلية في ذلك الوقت ،
 وأولئك يخططون أرض الشارع
 بالأحجار ، ويتقاذفون بأرجلهم الزاحفة
 كسرة من البلاط !! لقد كان هذا المنظر
 النابض يختفي يوم العيد ، لم تكن تدري
 هل يذهب سرب العصافير الى أماكن
 أخرى يلهو بها يوم العيد ، أم انها هي
 ٠٠ نوال ، التي كانت تشغل عن التسلى
 بهم ؟! لكنها تذكر جيدا ، يوم آخر عيد
 قضته في الوطن ، تذكره لحظة لحظة .
 لقد جاء حسنى ابن خالتها ليهنئهم
 بالعيد ، في الظاهر ، وليجلس بقربها
 ساعات في واقع الامر . جاء تسبقه
 ضجته المرحه ، وهو يهنئ اخواتها
 الصغيرات متمنيا لهن أمنيات احمر
 وجهها هي عند سماعها ، حتى اذا وضعت
 يديها بين يديه ، سكنت ضجته ، وانعقد
 لسانه ، كأنما انقطع التيار الكهربى
 فجاء عن مدياع في مقهى . لكن ابتسامة
 واسعة ظلت تكسو وجهه ، ولم يقل لها
 أكثر من الكلمة التقليدية المحفوظة كل
 سنة وانت طيبة يا نوال .

وحدثت نوال في أذرع المروحة
 المبسوطة في سماء الغرفة ، والنسمة

المتسللة من النافذة الزجاجية المفتوحة
 تحركها في بطن رتيب ، جاءها صوت
 « أبو جاسم » عند باب المساكن ينادى
 كلبه ، ويعبث بأصابعه في مفتاح مدياعه
 الترانزستور ، فتختلط الأصوات
 والأنغام . ثم أطبق السكون مرة أخرى ،
 والتفت عيناها بالظلام عبر النافذة ،
 فعاد صوت حسنى ، الهادى الخجول في
 تلك اللحظة ، يتردد صدها : كل سنة
 وانت طيبة يا نوال . وتمثلت لها أمها ،
 وهي تدخل عليهما عائدة من المطبخ ،
 تفوح من ثيابها رائحة الشواء ، وقد
 تهملت لرؤية حسنى وأقبلت عليه ،
 فترك يد نوال ، والتفت الى خائنه مهنا ،
 فبادرته وهي تقبله في خده : خذ بنت
 خالتك ، لتهنى أختى بالعيد . كان هذا
 ايذانا لنوال بأن تخرج مع حسنى
 منفردين لأول مرة . ولقد خرج معها ،
 وسارا في الشارع يلغها الصمت ٠٠
 كانت الشمس المصفاه تكتسح بأشعتها ،
 ولم يكن سرب العصافير موجودا ، ولقد
 تمنى أن يوجدوا ، وأن تصيبها الكرة
 في جسمها ، حتى تجد هي ، أو يجد
 حسنى ما يقسوله ، لكنها - ببراعة -
 استفادت من عدم وجودهم ، فقالت ،
 وصوتها لا يطاوعها : ياسلام !! الشارع
 من غير أطفال ، هادى ونظيف ، صالح
 لأداء مهمته . هنا استرد حسنى
 شيطنته ، وقال بسرعة لا يسكاد يتبين
 معها مرمى كلامه : كأننا لن نضيف الى
 أطفال شارعنا عددا آخر ؟! وفتحت
 نوال حقيبتها ، وأخرجت مندبلا مسح
 به طرف أنفها ، وأهدأها ، ووضع
 حسنى يديه في جيبي سسترتة ، وغرقا
 في الصمت من جديد ، لم ينقذهما منه
 الا صعودهما الى الاتوبيس ، وقد أتاح

له ذلك أن يمس خصرها برفق وهو يحميها من ضغط الزحام !! البيئة !! البيئة !! البيئة هناك حيث الزحام يا حضرة سيمافور غمره الرسمي ، حيث يحس القلب خفق القلب . ليس أمامي هنا إلا: وحيد أبويه كان يستحم على الشاطئ . وكاد يفرق لولا أن أنقذه شاب قرى شكره الوالدان شكرا جما . . . صوري هذا الحادث بقلمك . أو : استمعت الى قصة من المذياع وأعجبتك تحصيلها بقلمك ، أو على الأكثر : الأم مدرسة اذا أعدتها !! أم يريد حضرة الزناتى خليفة أن أعطى التلميذات مواضيع من بيئة مسكن المدرسات ؟! ان الامر على هذه الصورة يبدو أكثر معقولة ، فهي البيئة الوحيدة التي امتزج بها . . . وأدركها ما أروع ذلك حقا : صوري بقلمك معركة كلامية بين سعاد مدرسة التربية الفنية ، وفاطمة مدرسة الحساب ، سببها ضياع ملحق مجلة حواء!! تحدثني عن العقد النفسية التي تتمتع بها الاستاذة سلوى نتيجة لوجود ثلاثة أمتار من الجوبيير الأبيض في حقيبة السفر ، ستصنعها فستان زفاف عقب عودتها . . . وصممت أفكارها لحظة ، ثم عادت وقد سرت قشعريرة خفيفة في جسمها «صوري قصة حب مع إيقاف التنفيذ» !! نعم . . . هذا أجود ، انه من حياة مدرسة المادة ذاتها ، كيف أنطلق على مدرسات المواد الأخرى ؟!

وانصفق باب بعيد ، في آخر الممر الممتد أمام الغرف المتجاورة ، فكانما انصفق على صفحة من الأفكار ، وقلب صفحة جديدة ، فتنبهت نوال للقلم الأحمر ما يزال في يدها ، واحدى الكراسيات بين يديها ، وعن يمينها تل

أشبعته شطبا وتصويبا . وأشبعها مذاق وارهقا ، وتل آخر مائتسبه سينتهى . الا وقد أجهز على ما فيها من القدرة . . . فعادت تطلق نفسها حبسا وهي تزفر : لا قائدة . . . لا مقر !! وجرت عينها على عنوان الموضوع ، فعرفت فيه خط تلميذتها « غنيمه » . . . اليمامة الصحراوية الوديعه ، فأحسنت بارتياح شديد وهي تذكر وجه « غنيمه » الاسمر المستطيل قليلا ، وعينيها السوداوين الواسعتين ، وشعرها الفاحم الذي جدلته في ضفيرة واحدة ، ممتدة الى أردافها اللطيفة ، الحديدية الوجود . . . كم تمنى لنفسها مثل هذا الشعر ، ومثل هاتين العينين . . . كم قرأت من الشعر العربي عن عيون المها ، لكنها كانت تعتبر هذا الشعر أيام الكلية ضمن المقرر ، يحفظ ، ثم ينسى . . . وظلت تجهل عيون المها الى أن رأت غنيمه ، فالتهمت العذر للشعراء ، وحاولت أن تذكر شيئا من شعرهم . . . وعاد الى مخيلتها وجه تلميذتها ، وتصورتها غزالا صغيرا نافرا ، يتوالب من حولها ، وله هاتان العينان . . . وذكرت اليوم الاول الذي ارتفعت فيه غنيمه من تلميذة عادية ، الى صديقة أثيرة عندها . . . جاءتها في غرفة المدرسات ، وكانت وحيدة ، وقالت لها : اننى أحب الانفراد بنفسى ، وأبكى ، وأخشى من تأثير ذلك على المذاكرة ، وأنا أحبك ، وأحب أن تأخذى بيدي . . .

كانت هذه أول كلمة توجه اليها كأنسانة ، وليس كمدرسة ، منذ وصلت هذه المدرسة ، فتطلعت الى وجه تلميذتها ، فرأت عيون المها ، ورقة الغزال ، فأمسكت بيدها في رفق وتحبب وهي تقول : لا تساعدى نفسك على



عن العين .. بعيد عن القلب !!
واكتشفت نوال ، انها ثرثرت مع
تلميذتها أكثر مما تسمح به ظروفها .
فتوقفت فجأة ، وتنهدت ، دون أن ترضى
التطلع الواضح على قسومات «غنيمة» ،
لكنها منذ ذلك اليوم ، صارت صديقة
لها .. انها لا تمارس حق الشكوى الا
معها ، فلما انها شكت حسنى الى زميلة
من المدرسات لتحول الامر الى اشاعة
ومذلة . لكن غنيمة .. بيئة ثانية ،
بيئة مختلفة . وجذب نظرتها الشاردة
شريط طويل من المصابيح الصفراء
المضيئة ، يمتد مع الطريق الدائرى
الذى ينتهى عند المطار .. ما كان أجمل
النور الأصفر حين يكون تشكيلا بديعا
مع النور الابيض ، ما كان أجمله حين
رأته من شباك الطائرة وهى تحوم فوق
العاصمة ليلة قدمت الى هنا ، وكم
كانت آمالها زاهية ، واحساسها بالمغارة
يجعل للحظات حياتها مذاقا حادا لذيقا .

الوحيدة ، اختلطى بأسرتك أكثر ،
وذاكرى بصوت مرتفع .. أنا وقعت فى
نفس المشكل عندما كنت فى سنك ،
كنت أبكى كل يوم وأنا أتصيد أغنيات
فريد الأطرش من أية اذاعة .

قالت لها : وأنا .. بس مع حليم !!
قالت نوال : لا فرق .. كلهم
يكون .. فى الاغاني .. لكنهم فى
الواقع يملكون قلوبا من حديد .. لى
ابن خاله .. خطبنى بعد ما تخرجت ..
أنا جئت هنا من أجله .. من أجل
تكوين بيت له مستوى .. هنا أشياء
ليست عندها .. أول اسبوع .. كل
يوم رسالة .. وثانى اسبوع ..
رسالتين .. وبعد اسبوعين .. رسالة ،
ومر شهر الآن لا أعرف عنه شيئا ..
وطبعاً .. الشارع مزروع بالأفلام !!
قالت لها فزعة ، وقد زادت عينها
الجميلتان اتساعا : أفلام ؟!
- نعم .. أفلام آدمية .. والبعيد

لكنها الآن ، والعيد على الابواب ، تراجع
ميزانية الايام الفائتة ، فتجد الحسائر
فادحة .. فى الارواح ، كما تقول
نشرات الاخبار عادة حين تنشب حرب !!
الذين هناك ينسون ، والذين هنا
لا يذكرون . وعادت تتمتم : « لا فائدة
.. لا مفر » .

ونفرت بكعب القلم الاحمر بضع
مرات كأنها تدفع خواطرها نحو التاهب
مرة أخرى للعمل ، وجرت نظرتها بين
السطور ، وما لبثت أن شعرت بارتياح
عميق وهى ترى غنيمة قد اجتازت لحظة
الخطر بسلام ، فقد قابلت الطفل وهو
باك !! ووضعت كسرتين تحت الكاف
لتؤكد لصديقتها انها تذكر القاعدة ،
ولم تكتبها صحيحة بالصدفة . واحسنت
نوال بالزهر ، ووضعت تحت الكلمة
علامة صح ، لتؤكد لتلميذتها أيضا انها
فطنت لذكائها ، وانها قدرته . ومضت
تقرأ الموضوع ، وهى تتذوق كل لفظ
فيه ، وتحاول أن تجد فيه ظلا للذكاء
والرقة ، يرضى رأيها فى صاحبته .

وما كادت تنتهى من كراس غنيمة
حتى عاودها احساس الملل والضيق ،
وهى تمد يدها الى الكراسة التى بعدها ،
فألقت نظرة على ساعتها التناهة بين
اكوام الكراسات ، فوجدت الوقت قد
تجاوز نصف الليل ، فتمطت وهى
جالسة حتى اصفرت الغرفة فى عينيها
ودارت ، ثم صفت واستقرت ، فقامت
تناهب للنوم .

وتمدت نوال فى سريرها ، لكنها
قبل أن تطفىء النور ، سمعت صوتا
قبل أن تطفىء النور سمعت صوتا
يأتى نحو غرفتها من بعيد ، عرفت فيه
صوت سلوى ، ولم تمض لحظات حتى
سمعت طرقها على الباب ، فأوشكت أن

تقول : ادخلى يا عقد نفسية . لكنها
كلمت غيظها ، ودخلت سلوى وهى
يدها بطاقة مرسوم عليها باقة من
الزهر ، هشت لها نوال ، واعتدلت فى
سريرها وهى تمد يدها لتأخذها ،
قائلة : ماما .. حبيبتي !!

قالت سلوى بشيء من الجسود .
سلامة عقلك ياماما أنت .. معايدة ماما
وصلتك البارح !! فانطفت الفرحه
قليلا ، لكن نظرة نزقة عبرت بعينيها
لحظة .. تنبعت لها سلوى ، فعادت
تقول ، وهى تبعد البطاقة عن يد
نوال : كلا .. وليست من حسنى !!

فكبا نور وجهها قليلا ، وهنا مدت
سلوى يدها بالبطاقة وهى تقول : يريد
محلئ !! قالت نوال بدهشة خفيفة وهى
تفتح البطاقة : يريد محلئ ؟ ومن الذى
سيدكرنا هنا ؟ قالت سلوى بسخرية :
ريم على القناع بين البان والعلم ..
التلميذة البايخة التى افسدتها بالتدليل
.. انها معي من الظاهر ، وقد فكرت
مرارا فى تمزيقها !!

فخطفت نوال البطاقة من زميلتها ،
توقيعها تحت الاسطر القليلة ، وانصرفت
سلوى ، وعادت نوال تقرأ البطاقة ،
وهى تحس على نحو غامض بمعنى من
معانى العيد يتسرب الى نفسها :
« استاذتى العزيزة .. من تلميذتك
المخلصة ، تقبلى أجمل التهانى بالعيد .
والسنة القادمة تكونى قد حققت كل
أحلامك . غنيمة » . واعتدلت نوال
قليلا ، ومدت ذراعها ، فجذبت القلم
الاحمر من فوق المكتب ، ووضعت خطا
تحت كلمة (تكونى) وكتبت فوقها
(تكونين) ، ثم ألقت بنفسها فى السرير
تبحث عن النوم !!

الحنق من الحب

بقلم : لهنرى بريس

ترجمة : توفيق حنا



٢٥ سبتمبر ١٨٩٣

حبيبى لويس

النقااة . وعندئذ ، وعندئذ فقط أبداً
الكتابة اليك مادمننا قد قررنا ان اكتب
اليك بين الحين والآخر وعزمننا على
ذلك عزما اكيدا وان هذه الرابطة التى
تربطنى بك ولا تربطك بى - اذ انك
لن تعرف عنوانى .. أبدا - هذه
الرابطة ستكون الشئ الوحيد الذى
لا يجعل وداعنا اليما مؤثرا .

اقبلك قبله أخيرة .. اقبلك بكل
مافى كيانى من رقة وعدوية .. اقبلك
من بعد شاسع ، هادىء ، ملائكى !

٢٥ سبتمبر ١٨٩٤

حبيبى لويس

أعود اليك لأحدثك كما وعدت ..
ها قد مضى عام منذ ان افترقنا ...
انى اعرف جيدا انك لم تنسنى ، فما
زلنا متآلفين متحدثين حتى انى لاعجز
عن مقاومة الالم والحزن اللذين يتماثلان
ساعة افكر وساعة اذكر ..

على ان هذه الشهور المديدة لم
تذهب هباء .. فهى قد أسدلت ستارا
من الأسف الحزين على الماضى الذى

وهكذا انتهى حبنا .. ولن يرى
أحدنا الآخر بعد اليوم .. ثق بهذا
ثقتى انا به .. ماكنت تريد هذا بل
كنت تريد انت تقبل كل شئ لنبقى
معا ، ولكن كان يجب ان نفرق حتى
تبنى حياتك من جديد ... ولست
أسفة اذ قاومت ، فى اصرار ، هذه
الاشياء جميعا ... انت ... انا ..
نحن .. حين كنت تبكى وما اكثرا
ما بكيت وانت تدفن رأسك فى فراشنا ،
ثم وانت ترفع وجهك مرتين .. وجهك
المضىء فى ظلام الليل ، وحين لم أجد
أرى دموعك وانما كنت أحسها تدمى
يدى ..

نحن نتالم الآن الما شديدا هائلا ..
وان هذا ليبدو لى وكأنه كابوس ..
وربما استغرق المراء أياما ليست
بالقليلة لكى يعتقد شيئا كهذا ..
وربما ظل المراء حزينا متألما شهورا
ليست بالقليلة .. ولكن بعد هذه
الشهور وتلك الايام .. بانى دور

الجديدة وهذه الشمس تنشر الثقة
والصداقة .. وحتى هذا الضوء
الخافت الذى يملأ النهار يلوح لعيني
ممتعا جميلا .

رقصت مرة .. ضحكت كثيرا ..
كنت أعد .. أول الامر .. المرات التى
كنت أضحك فيها .. ولكن زادت
المرات حتى عجزت عن عدّها

وبالأمس شاعدت عند المغيب حفلا
.. كان الجمع يمدد ويمتد .. كحديثه
جميلة ناضرة .. ورأيتنى سعيدة وسط
هذا الجمع الباسم المرح السعيد

انى اكتب اليك لا حدثك عن هذا كله
ولا نهى اليك اننى اعتنقت من أجلك ديننا
جديدا هو « الحنان » . لقد كنا نتكلم
عنه فيما مضى دون أن ندرى عنه شيئا
ذا بال ..

فلنصل معا متى نعتقد ونؤمن بهذا
الدين ... فلنصل من أعماق قلوبنا ..

٦ يوليو ١٩٠٤

الاعوام تمر ... أحد عشر عاما ! لقد
رحلت انا الى بعيد ... ولقد عدت ..
وسارحل مرة أخرى .

ولا شك انه قد أصبح لك منزل
يا لويس يا من تقدم به العمر .. منزل
يضم عائلة .. وان حيائك أصبحت
- من أجل هذه العائلة - على جانب
كبير من الاهمية .

كيف انت الآن ؟ .. اننى أراك بعين
الخيال .. ممتلئ الوجه ، عريض
المنكبين ، قد وخط رأسك المشيب ..
الا انى واثقة من إن وجهك ما زال
- كمهدى به - يضيء لحظة الابتسام
.. اليس كذلك يا لويس يا من تقدم

واى .. انه مجرد ستار لا أكثر .. هي
اشياء صغيرة بهتت واختفت مع
تفصيلات كثيرة .. نعم .. اننا نقرر
هذا حين تبعث احدى هاته الاشياء
بمحض المصادفة والاتفاق ... لقد
حاولت ان اذكر ما ارتسم على وجهك
من تعبيرات حين رايتك أول مرة ،
ولكنى لم اتمكن تماما من استعادتها .
فحاولت ان تذكر نظرتى الاولى
.. ستعرف تماما كيف ينمحي كل
شيء فى الوجود .

ذات يوم ، ابتسمت .. علام ؟ ولماذا
ابتسمت ، ولكن لم ابتسم لواحد بعينه
ولا لشيء بعينه . انه شعاع مضى لاح
لى وأنا فى الطريق سائرة ، فدفعنى الى
الابتسام برغم شفتى . لقد حاولت
منذ وقت طويل ابتسم قليلا . ولكن
انضح لى انها محاولة من العسير
اعادتها . الا انى ابتسمت يوما .. كما
قلت لك .. ابتسمت برغمى .. وانى
لاريدك ان تذكر هذا الماضى الذى اسعدنا
او ننظر فى المستقبل ثم ترفع الرأس
وتبتسم

١٧ ديسمبر ١٨٩٩

ها انذا من جديد بالقرب منك ..
يا حبيبى لويس .. السمت كالخلم فى
ظهورى حين يصرنى الظهور ! ولكن
اظهر دائما فى اللحظة المناسبة .. وسط
الظلام والفراغ .. واذهب واجيء
بالقرب منك ، لكن احدا لن يستطيع
ان يلومنى .. ألسنت اذن حلما من
الاحلام ؟

انا ليس بى من التعاسة شيء ..
لقد استعدت شجاعتى بفضل هذه
الاصبحة الجديدة وهذه الفصول



١٥

اضفته الشيخوخة على وجهي ، كما
كان يعلنه ما يملأ عيني وأنا أنظر إليك
أنك ترى كم كنا محقين في أن نترك
أحدنا الآخر هكذا .. مادام قد عاد
الهدوء ، وما دمت - وقد أمسكت بهذا
الخطاب في يدك قبل أن تفضيه - قد

العمر به .. ! أما أنا فلن أصف لك كيف
تحولت الى عجوز شمطاء .. نعم
عجوز .. ان النساء يهرمن بسرعة ..
أسرع من الرجال . ولو قد قدر ان
أكون بجانبك الآن لتهديت بالنسبة لك
كام .. كان يؤكد ذلك ، المظهر الذي

عرفت خطي بعد شيء من التفكير ...

٢٥ سبتمبر ١٨٩٣

حبيبي لويس

ها عشرون عاما مضى على فراقنا ..
ها عشرون عاما مضى وأنا في
التراب .. وان عشت حتى تقرا هذا
الخطاب الذي أرسلته لك تلك الايدي
الامينة النقية التي أرسلت لك ، خلال
هذه الاعوام اطوال ، الخطابات الاخرى
فسوف تكون قد سلوتني وحينئذ
تفغر لي ان قنلت نفسي غداة فراقنا
اذ لم أعرف كيف احتمل الحياة بدونك .
انه امس .. امس حين افترقنا ..
انظر جيدا الى التاريخ الذي لابد وانك
لم تتمكن من قراءته جيدا على راس
هذا الخطاب .. انه بالامس .. في
غرفتنا .. حين كنت تبكي ورأسك
مدفون في الفراش .. غارقا في ضعفك
وفي الملح ، وكنت اراك خلالهما طفلا
كبيرا . انه بالامس .. والليل مسدل
استاره على الكون .. ونحن بالقرب
من تلك النافذة التي كانت تطل على
القضاء نصف مفتوحة .. حين انحدرت
دموعك في غزارة على يدي .. انه
بالامس .. حين كنت تصرخ .. وحين
لم اقل أنا شيئا .. واقد كلفني موقعي
هذا كل ما بي من قوة .. واليوم ..
كثبت على مائدتنا .. وسط اشياءنا
جميعا .. وسط هذا الاطار الرائع
الذي كان يضمنا .. كثبت الخطابات
الاربعة التي استلمتها في فترات
متباعدة ، وانتهيت من هذا الخطاب
الذي به انتهى كل شيء . وهذا المساء
.. سأعد كل شيء حتى تصلك هذه
الخطابات في مواعيدها وسأعد كل شيء
حتى لا يراني أحد ثانية ..

ثم .. اختفى من الحياة .. ومن
العبث ان أقص عليك كيف سيكون
اختفائي . ان الحديث في هذه الاشياء
الاليمة ربما يحز في نفسك حتى بعد
هذه الاعوام الطوال .

المهم بالنسبة لي ، هو اني افلحت
في ان افصلك عني دون جراح او آلام
.. وانما في حرص وفي حيلة وفي حنو
وفي رقة . انني أريد ان أعيش حتى
أرعاك وليس هناك مجهود يذكر وما
يبدله الانسان عند افتراقه عمن يحب
.. انك برهافة حسك لا تحتمل هذا
المجهود . سوف امثل هكذا بالقرب
منك مرات قليلة متباعدة . وسأنظف
شيئا فشيئا أمام عينيك دون أن أولم
قلبك الرقيق وحين أعلن لك الحقيقة ،
أكون قد كسبت وقتا كافيا حتى
لأنفهم فتحس وتنالم . يا الهى ! انى
أحسن يا حبيبي لويس ما يعنيه موتى .
ان في هذا الحديث السامى معجزة
رائعة .. حديث « اليوم » حيث
نتحدث هذا الحديث الخافت الهامس
من هذا البعد البعيد .. اتحدث
وتصنى .. أنا ولم أعد الا انت ..
وانت ولا تذكر من كنت أنا .. وحيث
كلمة « الآن » تختلف اختلافا جد
عظيم لمن كتبها ولم يقرأها

والآن خلال هذا الامتداد العظيم من
الزمان .. خلال الابدية .. ولو ان
هذا يكاد يبدو عقيما .. أقبلك قبلة
صادقة ، ثم .. أقف .. اذ لا أجرؤ
- خوف أن يكون الحزن مابرح يرهقني
فأؤلك اذ ذاك - لا أجرؤ أن أعترف لك
بكل ما يمكن ان يوحى به الحب الكبير
من جنون وما يوحى به الحنان الذي
هو اكبر وأعمق .

العود إلى الخفر متوى

سعيد صبحي الصفاقي

وأبوه موظف بسيط • كان يعمل في
وزارة الصحة بالابتدائية القديمة • ورغم
ضالة مرتبه • استطاع أن يوفر لهم
حياة مستورة تكفيهم مذلة سؤال اللثيم
والكريم على السواء •

وما عو الموت يخطفه من بينهم فجأة •
تاركا وراءه أسرة صغيرة ، وادعة لا تدرى
من أمر نفسها شيئا •

وأمه المسكينة • لقد أنهكها الحزن
بين يوم وليلة • وأحال شبابها الى حفر
وتجاعيد تملأ صفحة وجهها المكروب •

كم كان يشعر بالحرج أمس • وهو
يحس بالمعزين من الرجال والنساء •
يسلطون عليه أنظارهم • ويرقبونه في
كل خطوة • ومصمصات الشفاه تطلق
في أذنيه •

ان بعض قريباته من النساء لم يكتفين
بهذا • فاحتضنه وقبلنه في وجنتيه ،
ودموعهن تغرق وجهه وتشعره بالبلل •
كيف استحضرن كل هذه الكمية من
الدموع الى مآقيهن ؟ •

انطلقت الاصوات تعوى كصغير قطار
والكتل السوداء تميل في كل اتجاه •
وتطوح بالابدى يميننا وشمالا • بينما
لمعت الوجوه بأنها الدموع التي كانت
تحفر طريقها فوق الحدود المحمرة من
اللطم والبكاء •

وصحبا (سيد) من نومه فزعا • ينظر
حوله مذعورا • وقلبه يدق في عنف •
ماذا حدث ؟ • لا شيء • أبوه مات !! •
وهذا هو اليوم الثاني بعد وفاته •
ولم تهدأ النار في البيت بعد • ولا ينتظر
أن تخبو جذوتها أو تخدم • وان خمدت
فبعد أن تترك آثارا رهيبة •

وفرك (سيد) عينيه في بطنه • وقام
من السرير النحاس متخاذلا ، وألقى
بنفسه فوق الكنبه المتداعية ، وما زالت
آثار النعاس عالقة بأجفانه •

لقد نام كالقتيل بعد ليلة مرعبة •
بدأت بتشجيع الجنازة • وانتهت مع
انصراف آخر المعزين الذين تجمعوا في
المساء في صالة البيت • يسمعون
القرآن ، ويرشفون القهوة ، ويترحمون
على أبيه •

ومن أين لهم بتلك القدرة على البكاء المتواصل دون تعب ؟

وإين كان هؤلاء جميعاً قبل أن يموت والده ؟

لم يكن يعرف أن عائلة أبيه بمثل هذا الكبير إلا أمس ..

صحيح انه سمع والده يتحدث عنها كثيراً .. لكنه لم يتحدث عن كل هذا العدد .. عدد ضخم من الرجال والنساء .. كانوا يعزونه في والده وكل منهم يذكر له أنه قريبه .. ولا يدري كيف ..

وجاءت عليه لحظة من لحظات الإمس .. شعر فيها بالحجل من نفسه .. فقد خالجه شعور بالارتياح - رغم حرجه - لاهتمام كل هؤلاء الناس به ، واستقطابه لكل هذا العطف بغض النظر عن زيفه أو صدقه ..

ونهض (سيد) يجرجر قدميه ، وذهب ليفتسل والعواء يملأ عليه البيت كآبة وحزنا ..

وعندما عاد .. ارتدى ملابسه على مهل .. وغادر البيت في سكون ، وسار في الطريق ، يتفحص وجوه الناس ، وهو يشعر بأنه عاد الى عالمه القديم .. عالم ما قبل وفاة والده ..

الناس يسرون .. وجوههم خالية من أى تعبير .. وهم (حسين) البقال جالس أمام دكانه يضحك بمناسبة وبلا مناسبة ليستعرض أسنانه الذهبية .. و (حامد) صاحب محل الخردوات .. منهمك في مفازلة (فهيمة) الخياطة ، ويتبادل النكات البذيئة معها ..

لا أثر لداساسة .. لا أحد يحس بمشاكلته .. وكلهم يعيشون حياتهم .. حياة كل يوم ، بلا أدنى تغيير .. لا يعكرها إلا مأساة كمأساته .. لكن الى حين ..

هذه هي سنة الحياة .. فهو أيضاً سيتخلص من الاحساس بمأساته هذه بعد حين .. ليعيش في مأساة جديدة .. قد تكون مرتبطة بمأساته الحالية، لكنها تختلف عنها ..

هو الآن مهدد بالفصل من المدرسة - أو على الاصح - مهدد بترك الدراسة طواعية ، والتخلي عن جميع أحلامه التي راودته ..

الجامعة .. الهندسة .. العمل الكبير .. وعن المستقبل .. كل هذا سيتخلى عنه الآن .. فليس من المعقول أن يستمر في الدراسة وقد أصبح العائل الوحيد لأسرته .. ومعاش أبيه لن يكفيهم ولن يحصلوا عليه الا بشق الانفس .. وموت يا حمار !!

هو لا يدري ما الذي يمكن أن يعمل بعد أن يترك الدراسة .. فهو من الصف الثانى الثانوى .. ولم يحصل الا على الاعدادية .. وهى - كما يعرف - لا توفر لصاحبها عملاً بالمعنى المفهوم .. فضلاً عن صغر سنه الذى يعتبر فى حد ذاته مشكلة ..

ولكن .. هل قدر له أن يواجه كل شيء بمفرده ؟! ان هذا هو ما يخشاه ويخافه ..

لقد رأى زملاء له فى الحسرة .. يصبحون رجالاً قبل الاوان .. وتنحنى أعوادهم الخضراء تحت أكوام المسئولية المبكرة .. كان بعضهم ينقص ..

والمرض الآخر كتب عليه أن يعيش مخنيا
بأقى حياته .

هل جاء دوره ليصبح رجلا فى
السادسة عشرة . يحمل مسئولية نفسه
وعائلته ؟

انه فى موقف أكبر منه . وإمكانياته
وتجاربه الضئيلة أعجز من أن تقدم له
شيئا .

وكل هؤلاء الاقارب من الرجال
والنساء . سيفرون عند الجد . عندما
تنتهى صدمة الحزن المؤقتة ويتلاشى
الانفعال الزائف ويتمخر . هو يعرف
هذا تمام المعرفة . فقد رآه من خلال
مآسى أصدقاء الحارة الذين ابتلوا بمثل
ما ابتلى به .

رأهم يواجهون العاصفة بمفردهم .
حيارى . لا يدرون أى طريق يسلكون .
يمدون أيديهم الى فراغ . ولا يرون الا
ضباب يخفى عنهم كوارث المستقبل .
وان كانوا يدركونها بأحاسيسهم التى
شحذتها الصدمة . هل قدر له أن يقف
مثل هذا الموقف ؟ . وهل يحتمل هذه

الصدمة ؟ . شئ محير . والعجيب أن
التفكير فيه يزيده حيرة شديدة ومفاجئة .
لقد أصبح بالامس فقط . معقد آمال
الاسرة بعد أن ذهب عائلتها الاكبر .
وعليه تتوقف حياة هذه الانفس المعذبة ،
التي هدتها الفجيعة .

لم يترك أبوه شيئا . ولا حتى ثمن
الكفن . ولولا سوار ذهبى كان فى يد
أمه . ورث ثمنه فى غفلة من الزمن .
لما قدر لوالده أن يدفن أو يلمس جسده
كفن . والجنيهات القليلة التى تبقت من
ثمن السوار . ذهبت اشتاتا ، وذهبت
فى لوازم الموت . وكان الدنيا تأبى الا
أن تجردهم من كل شئ . حتى يقفوا امامها
عزل من كل احتمالات المقاومة . موت
وخراب ديار .

وتذكر (حسن) و (عبد العزيز) وزملاءه
فى المدرسة . لقد دخلوا جميعا القسم
العلمي . ليتحقوا بعد ذلك بكلية
الهندسة سويا . هكذا كانوا يأملون .
وعلى ذلك صمموا . وما هو الآن مضطر



الى التخلف • تامامه ظروف غير طبيعية
تسد عليه الطريق • وتقف حائلا بينه
وبين احلامه • واصبح مقدر له ان
يعيش عود. اخضر محنيا • هذا ان
لم يتيبس وينقص قبل الاوان • واحس
بالثورة • الثورة على كل شيء • على
الفقر • على القدر وسوء الحظ •
لماذا يموت ابوه الطيب الفقير ؟ •
وتموت معه احلامه وآماله • ولماذا ابوه
بالذات ؟ • ألم يكن فى وسع القدر ان
ينتظر • ينتظر ولو قليلا •

وماذا يعيد كل هذا الآن • لقد وقع
الامر • وعليه أن يكيف نفسه ويهيئها
للظروف الجديدة التى أحاطت به دون
أن يكون له دخل فى ذلك •

وتعب من المشى • واحس برغبة ملحة
فى الجلوس • أن يفترش الارض
ويريح أقدامه المتعبة •

لقد سار بالامس كثيرا • دار على
بيوت الاقارب يحمل اليهم نبا وفاة
والده • لكم كانت كريمة هذه المهمة
البغيضة • لقد شاهد ألوانا من النفاق
والحزن الملق لم يكن يتوقع أن يراها •
ومع ذلك فقد كان عليه أن يستمر فى
هذه المهمة حتى النهاية • وبعدها •
جرى الى الحانوتى • ثم سار فى الجنائز •
يحوطه المشيعون • يطيبون خاطره ،
ويواسونه فى مصابه الاليم •

كان يعلم أنهم لا يتكلمون الصدق •
هى فقط تادية واجب تمرسوا عليها
وخبروها • أما مأساته • فلم تكن تهمهم
من شيء • انها مأساته هو فقط ،
ولا تخص أحدا سواه ، وعليه أن يواجهها
بمفرده دون أن يعتمد على أقرب الاقارب
فكلهم منافقون • يسرفون فى الكلام •

الكلام فقط • • أما أى شيء آخر فهم
لا يعبأون به • • ولا يهمهم • • حتى
ولو كان عذاب أسرة وشقاء رجل
صغير • يواجه العاصفة • أعزل من كل
مساعدة • •

واستدار عائدا الى البيت • فلم يكن
يعرف أين يذهب • •

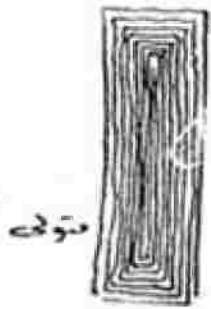
كان الوقت ظهرا • والشمس تطل من
بين السحب البيضاء لتعود وتختفى
وراءها • وتُسرع بالارهاق والتعب •
واحس برجليه تعجزان عن حمله •
فسار الى البيت وهو لا يدري ان كانت
قدماه تتحركان أم ان الارض هى التى
تسير به •

ودخل شقتهم الصغيرة • فوجد أمه
متكومة على حصير فى احدى الغرف التى
أخليت لاستقبال المعزيات • وقد راحت
فى ما يشبه الغيبوبة • وبجانبا احدى
الجارات العجائز • متكئة على الحائط فى
وهن وقد اسبلت أجفانها •

أما أخته الصغرى • فجلست ورأسها
مرفوع • وعينيها تحق فى الفراغ •
والذهول يشكل تقاطيع وجهها الطاهر
الهرى • وكان عقلها ما زال عاجزا عن
استيعاب ما حدث •

لقد مات أبونا يا جمالات • وعلينا من
اليوم أن نعد أنفسنا لحياة جديدة •
قد لا تعرفين ماهى • • ولكننى أعرف •
وهذا ما يعذبنى • •

ودون أن يحس به أحد • اتجه الى
غرفة النوم ، وخلع ملابسه فى هدوء •
والقى بنفسه على الفراش وهو يتنهد
بعمق • • ولم يلبث أن راح فى سبات
عميق



المشكلة

حسن محاسب

مفكرا .. ثم ضرب ياقة « الأفربول »
الازرق على قفاه في عنف .. وخبط
قدمه في بلاط المر .. وواصل سيره
وهو يضبط الرسالة بين أصابعه التي
صيفها الشحم .

وعاد يحدث نفسه :

— أبى يعاملنى وكأنى ما زلت طفلا ..
وأمى أيضا ..

وتحسس رجب شاربته بأصابعه
المضطربة وأضاف :

— رغم اننى رجل .. اعمل وأغرق ..
مثل زملائى ! ...

وتوقف قليلا ، وأسند رأسه الى
الجدار الذى تهزه دقات الآلات الصاخبة ،
وأخذ يرقب زملاءه المنهمكين فى عملهم ،
وقد سود الشحم وجوههم وسواعدهم .

ولم يميله عبد الرحيم .. الذى قرأ
له الرسالة منذ لحظات .. لمح به يسرع
بما يحمله من قسم الخراطة الى قسم
التشطيب وراق له ان يرقب عينا زميله
وهما تبرقان فى رضا .. وحديث نفسه :

— عبد الرحيم .. مثل تماما ..

وقف « رجب » مذهولا .. وحاول ان
يكذب اذنيه .. حاول ان يقول لنفسه
ان كل ما سمعه غير صحيح .. لكن
زميله عبد الرحيم طوى الرسالة ..
بعد ان فرغ من قراءتها له .. وأعادها
اليه قائلا ،

— ولا ييمك يارجب .. شدة وتزول ؟

وأحس رجب بالآلم يتزايد فى أعماقه
.. ويملا حلقه بالمرارة .. فأحنى رأسه
.. ومضى فى الطريقة الطويلة ، ويده
تطبق على خطاب زوجته .

ظل رجب ، فترة مستسلما لقدميه
تقودانه فى ممرات المصنع الكبير ، غير
شاعر بزملائه الذين يمرون به مهرولين
فى صخب ، مشغولين بأعمالهم فى قسم
التشطيبات .

والماكينات من حوله تدق فى عنف ،
وكانها تطحن رأسه ، ولكنه ما لبث ان
رفع يده ، ونظر الى رسالة زوجته وهمس
فى حيرة :

— شىء غريب .. غريب يا ناس والله !

وتوقف قليلا .. وهرش رأسه

يعمل مثلي . . ويأخذ أجرا كاجرى . .
لكنه رجل له قيمته فى بيته . . والده
يحترمه . . وأمه تحب زوجته . . لقد
رأيت هذا بنفسى .

وعاد رجب يسير فى الممر الطويل ،
وهو حائر ، محاصر بالآلم . . ورسالة
زوجته مازالت فى قبضته .
وصرخ فيه رئيسه عندما دخل
القسم :

— أين كنت ؟ . . اسمع . . إذا لم
تكف عن عيشك وإهمالك لعملك فساكتب
تقريراً ليرى حوى منك ، وبصعوبة قال
رجب فى ذعر :
ياريس أنا . . .
فقاطعه :

— العمل عمل يا حبيبى . . والا . .
وربنا أتسبب لك فى مجلس تحقيقى . .
وأخرب بيتك !

وارتعدت فرائص رجب . . واتسعت
نظراته فى خوف . . وكلمة رئيسه :
«أخرب بيتك» تتردد فى أذنيه بقسوة ،
وتقلصت أصابعه على رسالة زوجته . .
وهمس فى ضعف :

— تخرب بيتى ؟ . . لقد فعلها أبى ؟
واقترب رجب من الماكينة ، وراح
يضغط على الكباس ليغلق صمامات الجهاز
ولكنه لم يكن يعى ما يفعله . . كان
يتساءل فى مراة :

— الجميع ضدى . . كلهم . . أمى
وأبى . . ورئيسى أيضاً . . لماذا ؟ . .
اننى لاأقل عن أى رجل . . و . . .

وأفاق على هزة مباغتة ، عنيفة . .
فارتخت ذراعا ، وشحب وجهه الذى
تلمع فيه بقع الشمس . . ونظر فى
اضطراب الى الماكينة التى توقفت عن
العمل .

كاد يستسلم لياسه، لكنه لمح رئيسه

مقبلاً من بعيد ، فأخذ يتفحص أجزاءها
فى خوف . . وانكمش على نفسه عندما
لسعه صراح رئيسه :

لو نفعت يارجب يا بن شعبان ! . .
وصمت الرجل لحظة . . ثم هتف :
« ماذا فعلت بالماكينة يا . . . »

وأسرع رجب يقول :
— الحكاية ياريس . . ان . . .
وصمت لحظة، وهو يتحسّن الرسالة
فى قلق ، وتمنى أن يسمعه رئيسه . .
لعله يعذره ويقدر اضطرابه الذى أدى
الى تعطيل الماكينة . . ولكن رئيسه
صرخ فيه :

— حكاية ؟ . . أى حكاية ! . . انك
دائماً تكسر الماكينة وتعطلها . . . و . . .
— يا ريس الحكاية . . ان أبى
ضرب . . .

ضربة فى دماغك . . الماكينة لا بد
أن تدور الآن . . أفهم ؟ !

وأسرع رجب يقول :
— أعرف ياريس . . أعرف . . لكن . . .
وفى ارتباك أضاف :

— أليست لك زوجة ياريس ؟ !
فحدق فيه الرجل بدهشة بالغة . .
وكانه يرى مجنوناً أمامه . . ثم قال :
— شىء غريب . . مادخلك أنت فى
حياتى وبيتى ؟

ثم ضربه على رأسه براحته مهدداً :
التفت لعملك يا شاطر !

وانحنى رجب وبدأ يصلح الماكينة
والعرق يلمع على وجهه الشاحب . .
وبعد لحظات طويلة ، تعذب فيها رجب
انطلقت صفارة المصنّع تعلن راحة
الغداء .

وفى البوفيه . . وجد رجب نفسه
وحيداً . . بين زملائه الزائطين . . وهم
يتبادلون النكات والمداعبات . . فانزوى



في الركن .. وراح يحدث نفسه :
- لماذا يا أبى تفعل كل هذا في

زوجتى ؟

وغامت عيناه وهو يتذكر تلك الايام
التي عاشها في القرية .. حيث كان
محط استهزاء الجميع .. لطيبته
الزائدة عن الحد ..

وخيل اليه ان اصوات اهل قريته
تطارده بكلمات قاسية :

- رجب أهبل .. رجب العبيط !
فانتفض في ذعر .. وعندئذ قال له
عامل البويه :

- ماذا بك يا أخ رجب ؟ .. لماذا
تجلس هكذا وكأنك مستول عن تنظيم
الكون ؟ !

وشعر رجب ببوادر راحة نفسية ..
لأن عامل البويه حدثه .. فأسرع
يقول :

- زوجتى أرسلت لي خطابا اليوم تقول

فيه ان ابي دامى طرداها من البيت !
و . . .

ولكنه توقف فجأة . . عندما تركه
عامل البوفيه وانشغل فى عمله . .
فاعتصرت المرارة قلبه ، وهو يزداد
احساسا بغربته وشقائه ، وحمل على
نفسه وخرج من البوفيه ورسالة زوجته
فى قبضته . وفى أعماقه احتراق :
ومس لنفسه :

— سنة ونصف وانا أعيش غريبا
بعيدا عنهم . . والدم جف فى عروقى
من الجرى وراء لقمة الخبز . . و . . لم
أر زوجتى غير مرة . . مرة واحدة كل
ثلاثة أشهر و . . .

وغلبه الأسى فصمت . .
لكنه أحس بفراغ هائل مخيف يحيط
به . . فهرول الى الخارج . . كان يود
الهرب . . الانطلاق . . الى أين ؟ !
لم يكن يعلم . . لكنه أصبح بخساف
بوجوده بين زملائه ورئيس عمله .
وراء حارس الباب فاستوقفه . .
وسأله :

— الى أين يارجب ؟ !
فانهار رجب عند المدخل . . ورأه
جين راحتيه ثم . . .
فسأله الرجل :
— ماذا بك يا ولدى ؟

— لا شئ يا عم محمود . . لا شئ !
ولكنه لمس طيبة قلب «عم محمود» ،
فهم أن يحدثه عن المشكلة التى أطارت
عقله . . لكن صفاة المصنع أعلنت بدء
«العودة للعمل» . . فنهض فى اعياء واتخذ
طريقه الى محل عمله وقد بلغ به الضيق
حنتهاه :

— ماذا أفعل يا عبد الرحيم ؟ . . هل
أسكت ؟ . . ان زوجتى لا ذنب لها فى
الموضوع . . مالها والارض . . ان

الخلاف كله بين ابي ونسبى . . فما
هو ذنب زوجتى . . لكن . . انا اعرف
السبب . . منذ تزوجت فاطمة . . وأنى
لا تكف عن اعلان سخطها عليها . . بغير
مناسبة . . أتعرف لماذا يا عبد الرحيم ؟
لأنها كانت تريدنى ان أتزوج ابنة
خالتى . . وانا رفضت لأنى كنت أحب
فاطمة . . ياسلام يا عبد الرحيم . . ان
فاطمة مثل حبة الجميز . . حلوة
وطيبة و . . .

ولكنه عبد الرحيم فى جانبه وهو
يقول :
— يارجب انتبه . . الساكنة كادت
تاكل ذراعك .

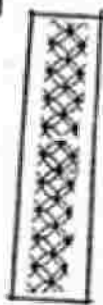
ثم تركه ومضى لعمله .
واخيرا . . خرج العمال فى جماعات
و . . وفى مؤخرتهم رجب يسير كشيئا . .
لا يعرف لماذا تحدث هذه المسائل من
حوله . . والده وأمه يطردان زوجته ،
بسبب خلاف مع والدها . . أو بلا سبب
و . . لماذا ؟ . . وزملاءه فى المصنع يمتص
العمل كل وقتهم . . و . . لا أحد —
يشاركه أحزانه . . و . . اقترب من
مدخل المنزل الذى يسكن فى إحدى
حجراته . . وسمع وهو يصعد السلم
سمع مواء قطه وقط فى بئر السلم ،
فتوقف برهة ، وتكرر المواء بشكل مثير
وتورد وجهه خجلا عندما رآها !

وصعد السلم وقد ارتسم فى خياله
زوجته وهو يضمها الى صدره فى حب
وحنان ، وهى تقبله باشتياق وطمأ
و . . دق قلبه بحلاوة الذكرى ، وتغلغل
شعور بالراحة فى نفسه ، فقال فى رقة
وطيف زوجته مازال يملأ خياله :

— سأحضرها لتعيش معى هنا . .
وأحس بالهدوء يحتضن كل مشاعره .

الخزانة

بقلم



فخرى فايد

أريد وجهه راضى فأصفر ثم أحمر لما
سمع رئيسه ينبئه برغبة المفتش القادم
من الوزارة فى أن يلقي نظرة على
الخزانة ، وراحت تجاعيد وجهه ترتعد
فى انفعال انعكس على صوته وعشات
ووهن وهو يعلن :

— لا .. اننى أرفض .

سأله رئيسه مندهشا : كيف ترفض
.. انها أوامر الوزارة ؟

صرخ راضى فى غضب : وأين كانت
أوامر الوزارة طيلة الخمسة عشر عاما
الماضية ؟ .. اننى لن أسمع لاحد مهما
كان بأن يفتح الخزانة . السماء أقرب
اليهم من فتحها .

همس رئيسه وهو يميل على أذنه
هامسا : اذا كان هناك عجز فى عهدتك
تستطيع أن تسويه بدون ضجة أو
فضائح ، فى مكتبى خمسون جنيتها
أضعها تحت تصرفك ولك أن تسدها
وقتها وكيعما تشاء . وبأن التأثير على
راضى ، فخرجت كلماته هادئة متوسلة :
لا ياسيدى .. ان الامر ليس كما تظن .
انه أعمق من هذا ، انها الخزانة ...

لقد اعتاد راضى ألا يكون فى حياته
ما هو سر يخفيه ، ولا ما هو خاص به
فيغلق أبوابه دون من حوله : فزوجته
لا تترك ثنية فى ملابسه الا وفتشتها
وهى تفتح رسائله وتقرأها قبل أن
يقراها هو ، أنها تنتظره كل يوم فى
مدخل البيت لتستجوبه فى دأب ومثابرة
عن كل ما صدر عنه أثناء مكوثه بالخارج
بطريقة تشعره بأنه واقع تحت تأثير
كابوس لاسبيل للخلاص منه الا بتقيؤ
كل ما بداخله . أما زملاؤه فى العمل فانهم
يفتشون مكتبه ، ويضعون أيديهم فى
جيبه ويخرجونها بكل ما تنعثر فيه
أصابعهم : علبة سجائره . حافظته .
ورقة بها أسماء الدائنين . رسالة غالبا
ما تكون من ابنته المغتربة تشكو له على
صفحاتها قسوة زوجها ، كما أنهم
يتبسطون معه فى الحديث فيسألونه عن
أدق ما فى حياته من أشياء ، وكان «راضى»
فى البدء يجد غضاضة فى أن يجيب ،
ثم اعتاد مع تتابع الايام أن يحكى بلا
تخرج . حتى أننا نستطيع أن نقول ان
حياته كانت كعلبة من زجاج شفاف .
لكن ...

وبالرغم من هذا ...

ولكنك لن تفهمنى ياسيدى : انه شيء
مريع . انها فى حوزتى منذ خمسة عشر
عاما لم يمس مابداخلها مخلوق غيرى ،
انا فقط . لا زوجتى ، ولا زملائى .
انها . . انها ، ولكن . . هل ستفهمنى
ياسيدى ؟ لا . لا أبدا لن تفهمنى .

واندفعت الدموع الى مآقى راضى
فسكت ليخلف من انفعاله ، ثم تسأل ،
أنت . . أنت يا سيدى هل شككت فى
يوما ؟
: أبدا .

: هل تعتقد أننى لص ، أو أننى أقدم
على فعل شيء مشين ؟
: مستحيل .

: اذن فانا رجل نظيف ؟
: يا الهى ، وهل هناك من يشك فى
نزاهتك ؟

وما دمت كذلك يا سيدى ، لم
يتطفلون على خزانتى ؟

تمتم رئيسه مهونا الامر : انها مجرد
اجراءات روتينية ، تنفيذ أوامر ليس الا .
ثار راضى فارتفع صوته حتى تحول
صراخا : أية أوامر تلك . لينفذوها على
أنفسهم لكننى لن أسلم المفتاح ،
ليكسروها أو فليحرقوها . لكن الحزاة
لن تفتح بمحض ارادتى .

وجذبت الضجة المفتش فأقبل على
الحجرة تسبقه نظرات متسائلة مالبثت
أن تحولت الى مزيج من الدهشة والخوف .
فما أن رأى راضى المفتش حتى اندفع
اليه يجذبه بيديه الواهنتين من ياقة
سترته وصوته يردد : انك لن تجرؤ على
فتحها ، أبدا لن تفتحها أنت أو غيرك ،

اننى أرفض هذا التفتيش . . . أسمعنى ،
اننى أرفضه . . . أرفضه .

وحاول الرجلان أن يهدئا من ثورته :
فقط لتفاهم فى هدوء .

لكن راضى لم يقبل مبدأ التفاهم
مطلقا . فهو لن يسلمهم المفتاح ، وعلى
المفتش أن يتصرف كيف يشاء .

مدده المفتش : سأبلغ الامر لرجال
الشرطة لينفذوه بالقوة

ورجا رئيسه : لا داعى لهذا
فسيسلمك المفتاح .

بينما أصم راضى : أبدا لن أسلم
المفتاح لاحد فانا أرفض هذا التفتيش .

وغضب رئيسه ، وصرخ المفتش :
سأكتب عنك تقريرا يخسف بك
الارض ، وسأطالب بإحالتك الى النيابة
الادارية ثم اندفع الى الهاتف . وما هى
الا لحظات حتى عوى نفير عربة الشرطة
تحت النافذة ، وتدفق ما بجوف العربات
من رجال داخل الحجرة يحيطون براضى :
وكلمات منهم ورفض منه حتى ارتفعت
حرارة النقاش وأخذت طابع المراك ،
فصرخ الضابط : ساكسر الحزاة وفى
هذه الحالة ستتحمّل المسؤولية وحدك .

قفز راضى فأسند ظهره الى باب
الحزاة ، وصاح متحديا : لن تستطيع
مسها .

وتدخل الحاضرون فالتفوا حول
الضابط وارتفع لفظهم . كانوا خليطا
من البشر : شرطة . مخبرون . ناس
من العامة وكلهم يتطفلون الى الحزاة تكاد
نظراتهم أن تخرق جسد راضى وتدفع
بالرجفة فى أوصاله ولما تقدم الضابط

: لا رجاء .

: من أجل شيخوختي

وكاد الضابط يمضي في عتاده لكنه أدرك أنه قد يستثير راضى فزم شفتيه وأمر الجنود بأن يتردوا كل من بالحجرة ، ويبقى المفتش واثنان من رؤساء الأقسام .

... ولما بدأ الجنود ينفذون الأمر زفر راضى بارتياح وابتعد عن الحزانة وانجه الى مقعد قريب وترك جسده يتكوم فوقه ثم مد يده بالمفتاح الى الضابط ونظراته المتعبة ترجوه : أخرجهم .. أخرجهم جميعا يا سيدي .. جميعا .

وحينما استقر المفتاح الرطب في كف الضابط تألقت عيناه بانتصار ، وصرخ في جنوده يستحثهم على الإسراع وماهى الا لحظات حتى أخلت الحجرة .

وتقدم الضابط بخطوات واثقة ففتح الحزانة ثم استدار متجهسا الى راضى وناداه : انهض ، ياسيد راضى لتحضر الجرد .

لكن راضى لم يرد ، ظل في جلسته المتراخية فتحرك الضابط واقترب منه وقال في لهجة يشوبها بعض من غضب : انهض ياسيد راضى .. هيا .. هيا

وتناول الضابط يد راضى ليساعده على القيام فلم يبد على ملامحه الصفره مايبين أنه سيسنجب فصرخ به الضابط نائرا ، وهو يشعر بأنه قد أمين : أقول لك قم ياسيد راضى .. هيا ..

وجذب يد راضى بعنف ليجبره على النهوض فاستجابت اليد ومال راضى الى أمام .. الى أمام .. أمام ، ثم سقط الجسد الهامد من فوق المقعد بقوة منفردا على الأرض .

يشق طريقه متجهسا الى راضى ، شعر راضى بخوف لا حدود له ، همس أحد الوقوف في أذن الضابط : عليك أن تستعمل ذكائك فانت لا تستطيع أن تكسر الحزانة الا بأمر من النيابة .

تمتم الضابط : أعرف هذا ، ولكن لأحاول أن أهوشه .

ورسم على وجهه تعبيرا صارما ، ومد يده مشيرا الى راضى وصاح : ابعد يا عسكري .

وتطلع راضى الى العيون التى ترقب الموقف فامتلا هلعاً وهمس : لا داعى ياسيدي لكسر الحزانة ولنتفاهم .

فوجىء الضابط فلم يرد وان تألقت عيناه ، أردف راضى : فلنتفاهم ياسيدي فى هدوء

تدارك الضابط الموقف : آسف فليس لدى وقت أضيعه فى المحاوره ، ساكسر الحزانة ، هذا ما عزمت عليه .

: افهمنى ياسيدي . سأعطيك المفتاح .

فرد الضابط كفه وقال آمرا : هاته . جالت عيناه راضى فى الوجوه فانفرست فيها مائة عين ، وخرج صوته كالعبرات : انتحها أمام كل هؤلاء ياسيدي ؟ ..

: طبعاً

: وما الفائدة من وجودهم ؟

: شهود .

: أرجوك ياسيدي لاداعى لكل هذا الامتحان

: أى امتحان ؟

: أخرجهم من الحجرة وأنا مستعد لتنفيذ كل ما تأمر به .

: لن يخرج أحد .

: أرجوك ياسيدي .

الشيخ عثمان

قصة سراديه

بقلم: السيد علي كرام

في فمه • واخذ حجرا ورمى به الشعبان •
ولكن الشعبان لم يقع ، وارسل آخر
وثالث • وفجأة توقف • ماذا يقول عنك
الناس عندما يرونك يا عثمان • وانت
رجل كبير ينادونك بشيخ عثمان •

كان عثمان أكبر أولاد أبيه • وعندما
توفي والده في السنة الماضية بقي هو
المسئول عن الساقية والحمار والبقرتين •
وكبير في عيون الناس • ومن ثم بدأوا
ينادونه بشيخ عثمان • وكانت أقواله
وحركاته وسكناته تقول انه في سن
العشرة أو أكثر وليس الثالثة عشرة •
يقوم في الصباح ليؤدي الصلاة ، وبعد
ذلك يتحرك الى الساقية ، ويحرق فيها
حتى يأنيه البقية من الرجال • كان
يؤدي عمله في نشاط واحساس عميق
بالمسؤولية التي تتمثل في أمة آمنة
وأخته سعيدة وأخيه الصغير علوي •
كبير في نظر أمه وأخته وأخيه الصغير
الذي كان يناديه - بابا - •

توقف عثمان عن رمي الحجارة ،
وتلفت حواليه وعلى شفثيه ابتسامة ••
فلم يره أحد • ودخل المراح ، وصار
يربت على ظهر إحدى بقرتيه بعد أن أله
بالشرك في ركن من أركان المراح •
بدأ يللمم بقسايا سيقان الذي

عمره ثلاث عشرة سنة •• قمحي
اللون ، قصير القامة على وجهه تجميدات
خفيفة خطت برفق •• رأسه مستطيل •
في عينيه عمق غريب • كان يسير وكان
الدنيا كلها تحت قدميه ، يرفع رأسه
عاليا كأنه يريد أن يعانق السماء •
أدار جسده ناحية اليمين ، وتوقف
فجأة ثم أحنى ظهره بصعوبة ليلتقط من
الأرض شركا كان قد نصبه في عصر
الامس • الشرك لم يكن في محله ••
يلتصق به ريش قمريه •• وارتسمت
على شفثيه بسمة المראה والياس •
وبلامبالاة ألقى بالريش في الفضاء
فاخذت نسمة الصباح معها الريش •
جلس عثمان في مكانه يحدق في الأرض
يبحث عن أثر •• أي أثر •• أقدم
حمار •• بقرة •• ماعز •• ولكنها كلها
لا تهتم بشركه • ووجده أثر ثعبان كبير
وتبعه وقد نوى شيئا • انه الثعبان ••
هو الذي أخذ قمريته • وتبع الاثر الذي
يتلوى في الزقاق الذي يشق أخواض
البامية • وتوقف تحت نخلة القرقودة ••
ينظر في جذعها فلم - يجده • وابتدأ
يدور تحت النخلة ولكن بدا له ان
الثعبان لم يفارقها على الإطلاق • ونظر
الى أعلى فرأى عدوه الثعبان يلتف بحسده
حول جريدة من جرائد النخلة والقمرية

أحضرها بالامس عشاء لبقرتيه ، وكومها
فى داخل المراح ، وبعد ذلك بدأ يجمع
بعر البقرة الصغيرة ليزيحها عن طريقه .
وابتدا يفرش البعر تحت الشمس .
والقى بنظرة الى الجعرانة التى كانت
تدحرج كرة من البعر . ووقف يمد
جسده فى الفضاء كأنه يريد أن يعانق
السماء .

كانت أخته سعيدة التى تبلغ من
العمر الخامسة عشرة تسير نحوه ،
وقالت وهى تضع البعر الناشف فى قفة
تحملها - عثمان سقيت الحمار . وتوجه
وهو يمد اصبعه نحوها يحذرهما قائلا :

أوعك تشيلى قصبه واحدة من المراح .
القصب دا دايرين نخلى للبقر فى
الشتا .

واجابته بأنها تعرف ذلك . توجه
عثمان الى مربوط حماره خلف المراح ،
وركبه وتوجه الى النهر . كان يبدو على
الحمار انه لم ير الماء منذ أيام مما جعله
يخوض فيه حتى وصلت المياه الى بطنه .
فى تلك اللحظة كانت أسراب من الفتيات
يحملن الصفائح الفارغة ليملأنها من
النهر . وتوقفن عندما رأين عثمان
يفسل ظهر حماره وهن يهمن لبعضهن
بصوت خافت ، وعلى وجوههن فرحة
طاغية . . كان فى نظرهن كبيرا . .
كبيرا وعاقلا . وحقق فيهن عثمان ثم عاد
يفسل ظهر حماره . وتقدمت الفتيات
وهن يشمرن ما عليهن من ثياب الى النهر
ليملأن الصفائح . عاد بحماره الى المراح ،
وهناك وجد أمه آمنة قد عادت من
الجزيرة بعد أن أحضرت كمية من
النجيلة لغذاء البقرتين . وكان يبدو
عليها التعب والارهاق ووجهها ينم عن
تعبير مخلوط بالفرح والحزن . شعيرات

بيضاء متطفلة بدأت تنسرب داخل
شعرها قبل أوانها . ورفعت رأسها فى
اغياء شديد تنظر الى ابنها كأنها لا ترى
رأسه . . خيل لها أنه أطول من كل
شئ . وتقدم هو منها وطبع على جبهتها
المكسوة بالتراب قبلة حارة جعلت
الصفاء يرجع الى وجه الام الكئيب .
وانفجرت شفتاها عندما بدأ عثمان
ينفض عن قميصها بقايا النجيلة التى
علقت به . ونهضت واقفة لتضمه بقوة
كأنها تريد أن يدخل فيها مرة أخرى .
وتقدمت منها سعيدة التى كانت تحمل
على رأسها وتضع تحت ابطنها حزمة من
جريد النخل الجاف . جلست بالقرب
من أمها ، وأخذ عثمان يفرغ النجيلة
والبقرتان تلتهمانها فى سرعة . . وضرب
عثمان احدى البقرتين لتفسيح له الطريق ،
وأخذ ما بقى من النجيلة وأفرغه أمام
حماره الذى كان يفتح فمه يستعد
للنهيق ، ولكنه بلغ صوته عندما رأى
الخضرة أمام عينيه .

طلبت آمنة من ابنها أن يذهب معهن
للبيت الا انه اعتذر بأنه يريد أن يرى
الاحواض التى سوف تسقى بالليل .
وتوجهت آمنة وسعيدة الى الحملة عندما
أخذ عثمان شركه وكأنه يسرقه . فقد
دخل المراح مرة أخرى ببطء وهو ينظر
الى والدته وأخته .

ذهب عثمان الى شجرة الطلح التى
وجد تحتها دروبا كثيرة للزراير
والقمارى . وهناك نصب شركه ورجع
قافلا للبيت . وفى الطريق أحس بشوق
ويتطلع نحو الغد ، الذرة قرب أن ينضج ،
وشركه سوف يقبض له ذرورا او
قمرية . . وأخته سوف يزفونها بعد
حصاد الذرة . . لوازم العرس جاهزة

البامية الناشفة كثيرة .. وأعواد
الملوخية طالت .. والريححة والحنة
والمحلب والصندل اشترتها والدته من
- الحلبية كل شيء جاهز وابتدأ يغنى
- الله ليل ياليل - . فى الخور الذى
يقع جنوب الحلة كانت ليلي تحمل
صفحة مليئة بالماء .. وتوقف عن
الغناء . وحقق فيها : المياه تسيل على
خديها .. شعرها مبلول .. وقالت له
وهي تمسح المياه من عينيها .

- عفنت البحر بوسخ حمامك .

ولم يجبهها فقط دندن - الله ليل
ياليل . وتذكر فجأة ما كانت تقوله له
أمه بالأمس بعد أن تناولوا طعام العشاء .
قالت له أمه :

- حتعرس ليلي والله فاطمة ولا عاشه
ياعثمان ؟

ولم يجبهها ساعتها .. ولم يصدق أنه
وصل بعد مرحلة الزواج .. الله يا شبح
عثمان .. انت كبير .. كبير وكل
الناس يحترمونك لماذا لا تتزوج ؟ ودخل
البيت . مكون من ثلاث حجرات مبنية
من الجالوص . البوابة الرئيسية تهدمت
جوانبها وشعر عثمان بكأبه وضيق ..
يجب أن يبنى هذه البوابة ، ويغير
السقف من القصب الى الجريد ..
ودخل على أمه ، ورائحة البامية التي
لم تنضج بعد تقابله فى بوابة المطبخ
وجلس بقربها وأمه تعوس بينما كانت
سعيدة تفرك البامية بقطعة خشب .
وسأل عن أخيه الصغير الذى كان يفظ
فى نوم عميق . ثم خرج بعد أن أخذ
قطعة من الكابيدة التي كانت ترقد على
طبق الدوم . توقف خلف البوابة
الكبيرة ، وقبل أن يخرج التهم قطعة

الكابيدة .. وتوجه الى مراح إبقاره .
أطلق حمامه بعد أن وضع عليه جوال
التراب ، وذهب الى الخور الذى يقسع
جنوب الحلة ، وهناك فى حجرة جانبية
بدأ عثمان يغنى الجوال بالطين . وأفرغ
الجوال أمام البوابة الكبيرة ، وربط
حمامه خلف المنزل ، ودخل على أمه
وأخته اللتين كانتا قد بدأنا فى تناول
الطعام . وجلس بعد أن غسل يديه من
التراب ياكل معهن ، ثم قال لاخته
سعيدة .

- الضهر املى صفيحتين موية عشان
عاوزين تصلح البوابة .
- حاضر .

تمدد عثمان على فرش مفروش على
الأرض ، وغط فى نوم عميق . وأيقظته
أخته وهي تقول له لقد أحضرت المساء
وبللت الطين . فارتسمت على شفتيه
ابتسامة عريضة وخرج وهو يتنأب .
وكانت فى عينيها بقية نوم تخلص منها
عندما غسل وجهه . وجد أمه تعجن فى
الطين ، فاحضر طشتا ووقف فوقه
وابتدأ البناء نزل من ظهر الطشت بعد
أن أتم بناء الامكنة المتهدمة ، ووقف
ينظر إليها . ثم مال بجسده يغسل
يديه من بقايا الطين . بعد ذلك ركب
حمامه وذهب الى الساقية . فأخذ إحدى
بقريته وأخذ أخرى من مراح عم عبد الله
وتوجه الى الساقية . نظر الى البشر
ليتاكد من وجود كل « القواديس » ثم
ركب على « التكم » وارتفع صوت الساقية
عاليا جعل زوجة عم عبد الله توقظه من
نومه . كان عثمان يغنى « الله ليل ياليل »
ثم يتبعها فى حين آخر بقراءة فى المواد
الشريف .



طريق السوك

بقلم : حسنى المشراوي

وكثيرا ما اثبتوا خطأ افكارى وآرائى
ولكننى اتمسك بها وان كانت خطأ ..
لا أدري لماذا .. ربما القرور والشعور
بأنى فى مستوى فوق الناس يدفعنى
لذلك ..

وتتجادل حتى يقبل « الجرسون »
ويخبرنا عن ميعاد اغلاق المقهى .. انه
متعود أن يفعل ذلك .. فنحن أول
« زبون » له وآخر « زبون » .

ثم تسير الى حيث نفترق واحدا بعد
الأخر .. ذاهب كل منا الى منزله .

وفى صباح احد الايام قال لى ذلك
الصديق المختلف فى افكاره عن آرائى -
على نفس المائدة .. وفى نفس المكان .

- لقد حصلنا على فريسة كأنها البدر
فى كبد السماء .. ولكنها على الارض
.. هل تشاركنا الليلة فى التهامها .

فقلت له فى غير اكترات :

- فى منزل من .

- ان والدى الليلة خرجوا من المنزل
فأفضل أن يكون فى منزلنا .

- ولكننى مللت لكثرتهم .

- وان يكن ذلك .. فان فيهم سلوى
وبخاصة لمن شاكلك .

فى كثير من الاحيان كنت عندما اخلو
الى نفسى أفكر فى أشياء أصبحت الآن
أنشدها فى وجوه الناس جميعا .. غير
خائف ان ينتقدنى احد منهم او يكشف
من خلفها سرا من اسرارى ذلك لاننى
املك من الشجاعة فى ابداء الراى اكثر
من غيرى .. وفى احد الايام قلت أمام
اصدقائى فى غرور وكبرياء .

- بالمال نحصل على كل شىء حتى
الاحترام وكل شىء معنوى .

فقال احدهما وكان يدافع عن نفسه :

- بالمال تشتترى المادة فقط ولكن
لا تستطيع أن تشتترى القيم الانسانية
وتدخلها فى نفسك .

- ماذا تعنى !؟ ..

- اعنى انك وان كنت على درجة كبيرة
من الثراء فانك لن تستطيع ان تغير
من حالتك النفسية .. او لن تستطيع ان
ترفع من انفسنا الصورة الناطقة عن
شخصك .

- افصح فانك تتكلم مالا يفهم .

- ذلك لانك لا تفهم ما اقول .

كنت اتمسك برأىى وكأننى على حق

- أتريد أن تقول شيئا ؟ !

- لا .. فقط اردت ان اذكرك بأنك
ترى .

ثم قلت له وكأنني قد نسيت شيئا :
- ومن المشترك ؟ !

- انا وانت وسامى .. أو تظن
غيرنا .

- اذن افعل ما تستطيع ان تفعله
لاجل هذا .. وانا فى الثامنة مساء
ساكون عندكم .

- ولكن النقود .

وأخرجت من محفظتى النقود واعطيته
ورقة تحمل عشرة .. وعندها قلت :

- هل يكفى ؟ !

قال بارتياح قد بدا على محياه :

- يكفى .

وأخرجت اتجول فى الطرقات غسبر
عابىء مما حدث قبل لحظات على الاطلاق
بل لم أعط لنفسى التفكير فى ذلك
كعادتي . ولكن شيئا لم تطمئن اليه
نفسى قد تراءى أمامى ثم اخترق اسوارها
فشعرت بأن الخوف والفزع قد اخذ من
نفسى ما أخذ .. ولكن قسوة ارادتي
وجراتى ازالته هذا الكابوس عن كاهلي
حين أنت الساعة الثامنة .

كان الظلام يحيط المدينة من كل
جانب عدا الاماكن الموجود بها تلك
الانوار الصناعية .. وبينما كانت تتراءى
لى هذه المناظر .. كنت أرى أشباحا تدق
اجراس الخوف والفزع فيرن صداها فى
نفسى .



نفسك

وأخيرا .. أخيرا وصلت الى منزل
صديقي وكم من مرة اليه قد وصلت
ولمثل هذه المهمة .. ثم دخلت المنزل ..
وفي اثناء وصولي الى نهاية الدهليز
وجدت ما حدثتني عنه نفسي .. وجدت
الرعب وقد برزت انيابه .. ولكن
بصورة أبشع مما كنت أظن .. فلم
أعمل لذلك حسابا حتى لا تواجهني
الصدمات .

لقد وجدت اختي في المنزل ..
وجدتها خارجة .. اذا فهي الفريسة ..
وقد تم كل شيء .

انهارت قواي .. وارتجف جسدي
واومضت عيناى ببريق الشر .. ثم بعد
عنيبة وجدت ان قوة لا أدري كنهها قد
ملكته وأصبحت بها عات قوي ..
ونظرت بجانبى فوجدت حجرا كبير الحجم
يجثو حيث نظري .. فحملته بيننا
كانت تقول ببراعة ظننتها خداعا :
- ها انت قد ..

فأدركت سبب حملي الحجر .. حيث
أرادت ان تهرب من غضبي .. ولكن
الحجر ارقدها على الارض وحشم رأسها .

ياله من منظر .. لن انساه مادمت
حيا .. بل وان حاولت ان انسى ..
فقد أدركت ان انفا قد هبط الى مكان
فيها وقد تهشمت أسنانها وفغرت
عيونها الجميلة .. وأمسى وجهها
مدرجا بحمرة قانية كأنه تلك الانوار
الصناعية التي مررت عنها قبل دقائق
.. لقد تحولت الى منظر لا أستطيع أن
أميزها به .

ثم تركتها تن كالحسروف الدبيح
ودخلت لاقتل صديقي بنفس الحجر الذي
قتلت به اختي .. عندما وجد نذير
الشر في عيني قال :

- انها اتت للسؤال عنك فقط .

فوضعت عليه الحجر وقلت :

- ولكنك السبب .. مت مثلها .

وتملكنتني رغبة في ان امحو اسم كل
من في داخل المنزل .. من صديق
وعدو .. وبينما كنت أبحث عن في
الداخل اذ بالبوليس يلقي القبض على
.. ويكبل يدي بالحديد .

وبعد ايام قدموني للمحاكمة ..
فقال الحاكم يسألني :

- اتقر بأنك القاتل ؟ !

- نعم أنا ذاك .

- وما السبب ؟ ! ..

- لقد أردت أن أكون انسانا ففعلت
ذلك .

واجتماعات كثيرة عقدت لشأني ..
وفي النهاية كان المؤيد هو المالك لحياتي
.. وعلى الرغم من مضي ثلاث سنوات
للحادثة فأنني لازلت أذكر ذلك الوجه
البريء - وجه اختي المظلومة - فلا يفارقني
صباحا او في المساء وكأنه يعاتبني على
ما فعلت .. وأبتهل الى الله في كل لحظة
من حياتي ان يرحمها وبالفقران لما فعلت
ثم أدركت أخيرا ان المال ليس كل شيء
في الحياة .

محسى دورا

بقلم : على حسين خلف



بالتخلي عنه ، اسطوانات ما قبل الميلاد بالنسبة له ان كانت في ذلك الزمن اسطوانات !

ويدور أحمد الدورة الثانية ودموعه تسح على خديه وفمه مسترخ فلم يعد قادرا على الصراخ . الشوك والساحة والجلاد والسوط . . ينتزعونه من واقعه ، يرمونه بعيدا ، حيث لا ساحة ولا شوك ولا جلاد . . . الى « ساحة المقخرة » حيث وقفت جموع من الناس غفيرة تنتظر الباص ، والرضا يتساقط باستمرار . رياح تشرين تصفع وجهه بشدة وهو يصعد « باص بلد الشيخ رقم (١) » ، يأخذ مكانه بصعوبة لاذحام الركاب ، ثم جلس وأشعل سيجارة ، ويده اليمنى تحت (كبوته) الثقيل تتحسس شيئا ما . وتطير دخان سيجارته وتكثف مما أزعج السيدة التي بجانبه والتي طلبت منه أن ينفث الدخان بعيدا عنها لأنها تكره الدخان والمدخنين !

مد يده من الشباك وألقى بعقب السيجارة فتتنفس المرأة الصاعدة ، وهو ينزل أمام جامع الاستقلال ، وبعد أن أدى فريضة العشاء ، فضل أن يسير

صرخ أحمد وهو يركض فوق ساحة مفروشة بالاشوك ، مخلوطة بحصى الرمل ، حافى القدمين ، وسوط جلاده « حاييم » يمزق لحم ظهره ليتابع الركض بسرعة . الساحة ملطخة بالدم من أقدام الفدائيين والمناضلين العرب ، والشوك الاحمر تقصف أطرافه لكثرة ما لسع من أقدام رجال . هذه أول مرة يسير فيها أحمد تحت السياط ، وفوق الشوك والحصى المزركشة بالاحمر والابيض . أطراف الشوك تفوص في قدميه فيصرخ ، وتتأرجح الصور أمام عينيه . أمه تشق الصور البامته وتظهر والى جانبها أبوه يرجوه أن يكف عن فكرة الالتحاق بالثورة « فللمعركة رجال غيره ! » ، وثوسلات زوجته العاتبة ، ونظرات صغار ثلاثة بريئة تتمسح به ، رفض طلبات الجميع وصرخ في وجوههم :

— حب الوطن أقدس من حب الأمومة ، تريدون أن أتخلف ؟ ولم لا يتخلف كل رجل في مثل سنى ! اذن لضاعت الثورة . . لا ، لا سالتحق بالثورة رغم أنوفكم .

أصوات نشيجهم تصفعه وهو يغادر المكان ، ولعنات أمه ! وتهديدات والده

ويدخل بعدها مقهى (مشيل) اليهودى -
هذه الامتار القليلة تحمل ضعف ما
تحمله من السير مسافة الكيلومترات
السابقة ، ها هي الانوار تشع من مقهى
مشيل فحدث نفسه :

« وليكن الطوفان .. لم الخوف ؟ »
الانسان يموت ميتة واحدة ، ثم دلف
الى الداخل .

عيناه ترقبان الباب باهتمام زائد
والدم يتفجر بركاناً فى عروقه لا بسبب
الحماس فقط وانما بسبب الخوف
ايضا ، فهذه اول مرة يقوم فيها بمثل
هذا الدور منذ أن خرج من السجن قبل
سنة تقريبا ، وعلى أثر محاولة لقتل
(دافيد يوم) قائد قوات لواء جلبوع .
الدقائق تنمرغ بطيئة قبل أن تموت
وضجيج لاعبي (الشدة) يتزايد وهو
فريسة القلق ، ثم ظهر (مروخاى)
ببزته العسكرية وجسمه الضخم الذى
يشبه البغل الى حد ما ، وجلس على
الطاولة المحاذية له فابتسم ابتسامة
الانتصار .

سيطرت الحمرة على مروخاى فقد
احتسى خمسة كؤوس من الويسكى ،
ولم يعد قادرا على التمييز أو التفكير
الواعى ، فاستل احمد هذه الفرصة
وانتقل من طاولته الى طاولة مروخاى
واخذ يلاطفه فى الحديث فسر مروخاى
كثيرا وتمنى أن يلتقى به كل ليلة !

حل احمد بنود (كبوته) فغطى بذلك
أطراف الطاولة وسمح لنفسه بيسر
وسهولة أن يضع القنبلة تحت الطاولة
بل تحت مروخاى بالضبط ثم بعد أن
فرغ من مهمته نهض وحاول الخروج
فاستوقفه مروخاى وأصر على بقائه .

على قدميه وخاصة أن السماء كفت عن
المطر ، وحركة الرياح خفت قليلا ، فقطع
ما تبقى من شارع (جسر رشميا) ثم
انعطف الى شارع فرعى ، فاذا به أمام
(مركز بوليس الحسبة) والجنود
يتبخثرون بالبستهم السوداء حاملي
الاسلحة سريعة الطلقات .

لم يلتفت كثيرا وهو يذرع شارع
(وادى النسانيس) ، وأخذ يسير
الهوينى ، لان الطقس استهواه ، فكان
صيفا ، تلك التى وافقت مولده حتى
شبابه ، لم تظهر بمثل هذه الروعة التى
تنجلي فيها الآن ، والاضواء الكهربائية
تنكسر فى برك الماء الصغيرة والمتجمعة
فى الشارع .

وقف للحظة ، وارتفعت دقات قلبه
وهو يستجمع شتات أفكاره ويتمتم
لنفسه : (العملية فى غاية الصعوبة) ،
ثم يتحسس ما فى سترته تحت
(الكبوت) ويتمتم : « الاعمار بيد
الله ! » . ولكن هواجسه لم تتخل عنه ،
أفكاره تضطرب ، الحوادث المرعبة تمر
كشريط مسجل ، انه يذكر حادثة القوات
العربية الفلسطينية حين طوقت هذا
الذى سيرا ، فى مستعمرة (كفارى
خيسكل) .

« أبو دره ورجاله بقيادة خليل
المضرى عجزوا عن قتله فكيف بى أنا ؟ »
قال لنفسه ثم استطرد :

« ساتوكل وأقوم بمهمتى ... لن
يكون أشد حرصا من (يوسف تلحى)
سيدوق مصيره » .

واندفع الدم الحار فى عروقه ،
وهو يجتاز (ساحة الحناثير) ، ها هو
يصل ، لم يبق أمامه الا بضعة أمتار ،

جالس على أرض الغسرة الفسيحة ،
ورائحة فضلات الحيول تعبق جو الغرفة ،
والحديد يعض بساقيه ويديه ، فاحس
بالقيد في كل شيء الا بشعر لحيته الذي
أجيزت له الحرية .

الجلاد يهوى على وجهه صارخا
بحسرة : أين الثوار ؟ فيقابله - أحمد
برد خافت : في المعركة . فيحملني به
ويلطمه لطمات متوالية يقطعها بسبابه :
ابن الكلب .. ابن الحيوان .. ابن
الـ ...

وينخسه بسكين صغير في صدره ،
نزف الدم على أثره ، فتقدم الحير
المكلف بتعذيبه وطلب من الجلاد أن
يتوقف ويتصرف ، وبعد أن خرج قال
لأحمد - بعد ملاطفة قصيرة - : لقد
أسأنا فهمك .. أعذرتنا .. التعذيب
لا يجدي نفعا .. ما دمت أسيرا عندنا
فمن الخير أن تفكر بالطريقة التي تريحك
.. سنطلق سراحك إذا أخبرتنا بأماكن
الثوار .. أما النقود فهذه المئات منها
.. ثم ما شأنك أنت بالثورة .. أنت
شاب عليه أن يتمتع شبابه ، لا أن يضيعه
بين الجبال .. وسنزوجك بمن تريد ..
ولكنك لن تحصل على شيء إذا بقيت
عنيذا مصرا على الإنكار .. ما رأيك ؟

فأجابه بإبتسامة صفراء ، وهزة من
رأسه تعني الرفض .

- يا صديقي فكر جيدا سأتركك الى
الغد .

وعاد في الغد ليرى ما النتيجة فصدمه
جواب أحمد بجرائنه : « الدراهم ..
يا صديقي النصوح لن تمنحني وطننا
أعيش فيه بحرية .. وامتاع نفسي
بمجتمع دنس مثل مجتمعكم لهو حقارة

حتى الثانية عشرة ! الدقائق تمر ،
وأحمد يكاد يفقد السيطرة على نفسه
وينوى الهرب أمام الجميع ، دقائق
معدودات ثم تنور القنبلة ، ومروخاي
يقول بلهجة السكاري :

- ما دمت مصرا على الذهاب ..
سأتي معك .

- لا .. لا ابق هنا سأعود أنا بعد
لحظات .

فقال مروخاي مقهقهبا : دعك من
المواعيد .. ولتحتس كاسا من الخمرة
فهو يساوي كل الذين ستقابلهم .

فعقد أحمد ما بين حاجبيه وارتسمت
دلائل الخوف على وجهه ، وذعرا قاتلا
يموج في عينيه فتظاهر باللامبالاة وقال
بشيء من الرضى :

- أقسم لك بشرفي أنني لن أتاخر
كثيرا .

وأخذ يبتعد تدريجيا ومروخاي يرجو
أن يبقى ، وثوان معدودات باقية تسرع
في السير . أحمد يفرك يديه خائفا
غاضبا ، وهو يتراجع باستمرار ، يكاد
يصرخ .. وانفجرت القنبلة وطار
مروخاي !

ويدور أحمد الدورة الثالثة بأعينه
شديد ، اذ تصلب الدمع في عينيه فلم
يعد يقوى على الانهمار ، وجف ريقه
فتقلصت شفتاه وبلل الزم قميصه من
سياط الجلاد . الشوك لم يعد يفوص
في قدميه لعدم وجود فراغ فيهما ،
الساحة تدور أمام عينيه ، وبصره الزائف
يمزق شعر لحية الجلاد : ووقع بصره
الحائر على باب الساحة حيث قدم قبل
دقائق من غرفة التعذيب .. هو ،

أعجب كيف تسألني عنها ، أما خيانة
الثورة فهذا مستحيل لو قطعت أربا
أربا ، .

فحذق به غاضبا وقال بحزم :
« حسنا .. ما دمت كذلك فسأريك
العذاب » .

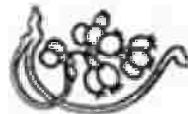
وتتوالى هزات أحمد فوق الكرسي
الكهربى دون جدوى وهو يكاد لا يرى
شيئا من تورم وجهه اثر الكدمات الكثيرة
حتى كادت عيша أن تختفيا ، فيصرخ
الخبير من جديد : « جهز لى الساحة
بالشوك والحصى » .

وتنتهى الدورة الثالثة فيحاول أن
يدور الرابعة ، وبقية من عزم تبقيه
واقفا يترنح وصور بطولته تظهر بأبهى
رونق - .. هجومه على مستعمرة (كفر
ناحوم) وقتله قائدها ثم مشاركته فى
حصار مستعمرة (مشمارهاعيمك)
ومدفعه الهاون يقذف باتجاهها صور
زاهية تشجعه ولكن الى حين .

الدورة الخامسة بدأت كزحف النمل.

والسياط لم تعد تنهاوى على جسده اذ
لم يبق فيه مكان غير مبلل بالدم . صوت
الجلاد : هل تعترف ؟ اذا اعترفت
سأوقف العذاب . لا يحمل جوابا فلم
يعد يستطيع الاجابة . طفلاء خالد
وابراهيم يشقان حجب الصمت والشوك
والسياط ، ويتمثلان أمامه بضحكة
بريئة ، وعلى عكس هذه الصورة كان
حال زوجته ، عيون كالدم من كثرة
البكاء ، وتوب قديم حدادا عليه ، صور
متباينة تتصادم ، أمه طريحة الفراش ،
وأبوه لا يعرف الا عصاه ، مسئول عن
حطام هذه الأسرة ، أرضهم تلك التى
اضطر والداه الى بيعها ، صور حياته
تمر أمامه كشاشة سنيما ، وصوت
الجلاد يرتفع بغضب شديد : هل
تعترف ؟ وهو يوالى الزحف .

صوت الجلاد يصرخ من جديد :
سأطلق النار اذا لم تتكلم . وأحمد يكاد
أن يتهاوى من شدة الاعياء ، ثم تكوم
جسدا بلا حراك اثر طلقات ثلاث من
فوهة مدس الجلاد .





للحمية مع الياس

بهم: زكى توفيق

سلمان .. فى المقهى الصغير ، الذى
اتخذ منه محلا لمراجعتة منذ اكثر من عشر
سنين .

واعتدل سلمان فى جلسته ، ولعت
عيناه جذلا . وسرعان ما نهض قائما ،
ليلقى الشاب القادم اليه . ووجد يده
اليمنى ، بدون ما وعى منه ، تخبس
بكومة المفاتيح الصغيرة ، التى حشا بها
جيب سترته . ووجد يده اليسرى
بدون وعى منه ايضا ، تتحسس كومة
اخرى من المفاتيح ، كان وضعها فى جيبه
الايسر حين غادر البيت فى الصباح ..
وكانه يريد الاطمئنان عليها ، أو يريد ان
يستمد منها العون والقوة .

وطلب اليه صاحب السيارة ، ان
يعالج قفل الصندوق الخلفى لسيارته ..
حيث انكسر مفتاحه ، وظل جزء منه فى
داخل القفل . ولم يعد فى الامكان فتح
الصندوق .

ان مهمة سلمان هذه سهلة جدا .
ولا تتطلب منه اكثر من ان يجرب فى
القفل .. مفتاحين ، أو ثلاثة ، أو أربعة
من مجموعة المفاتيح التى يعلا بها جيوبه
والتي هى كل عدته ورأس ماله فى كسب
عيشه .. وتمر بضع لحظات هينة .. ثم

مضت اكثر من ساعة ، وسلمان
جالس فى مكانه على التخت ، متكورا ..
وعيناه الفائرتان ترمقان الطريق بلهفة ،
وكانهما تنتظران شيئا لابد من مجيئه ..
عاجلا أو آجلا .

ومرقت من امام عينيه ، فيما مرق من
مئات السيارات والسائبة ، سيارة
صغيرة عادية ، لم يابه لها اول الامر ، ثم
جذبت نظره فجأة .. فقد وقفت على
مسافة قصيرة من المقهى الذى يجلس
فيه . ثم نزل منها شاب كان يركب
فيها وحده ، وقصد من فوره الى محل
تصليح السيارات ، الذى وقفت امامه
السيارة .

وهب صاحب المحل الى لقائه . ودار
بينهما كلام قصير ، مز يعده صاحب
المحل رأسه معبرا عن أسفه .. فهو لم
يستطع - كما بدا لسلمان - أن يفضى
للشاب حاجته . واستدار رأسهما الى
جهته .. رأس صاحب المحل ، مع إشارة
طويلة من يده . ثم رأس الشاب ايضا
وتبادلا كلاما آخر ، لم يلبث الشاب بعده
انلقى بتحية سريعة من يده ، مودعا
بها صاحب المحل وشاكرا حسن لقائه .
ثم سار بخطوات ثابتة ، الى حيث يجلس

لا يلبث بعدها القفل .. أى قفل .. ان يفتح .

ولكن هذه المهمة ذاتها .. صعبة ،
وأحيانا صعبة جدا ، بالنسبة لمصلحي
الاقفال أو الحدادين أو امثالهم .. ممن
لا يحترفون مهنة سلمان .. التى تعلم
دقائقها وفنونها ، بتحاربه الخاصة ..
عبر السنين الطويلة ، والصبر المميز ،
ولهذا اعتاد ان يفرض شروطه على مراجعيه
.. ملء صدره وملء فمه ، وانقا انها لن
ترد بحال .. فكان أن قال ..

- انى افك القفل ، بس على شرط ..
أخذ نص دينار .

فأجاب الشاب صاحب السيارة ..
وعلى وجهه علامات الدهشة والازعاج .

- نص دينار ؟ اشدعوة يعمود ؟
فرد عليه سلمان بحزم قاطع .

- هاى هى .. نص دينار . ماتقبل؛
الله وياك .

ووجد الشاب نفسه مضطرا لقبول
هذا العرض الجائر . فلم يكن فى المدينة
الصغيرة كلها ، من يزاول هذه الصنعة
.. غير سلمان .

وجرب سلمان مفتاحه الاول فى القفل
.. فلم يفتح . ثم جرب مفتاحا ثانيا .
وجرب ثالثا . ورابعا وخامسا .. دون
ان يفتح القفل . وكانت ابتسامة
الرضا والتفاؤل ، لا تزال ترسم على
شفتيه الباهتتين .. دون ان يعتريها
القلق .

وتركه الشاب لقضاء شغل له ، حتى
ينتهى من مهمته . فشيعه سلمان بنظرة
ساخرة ، وكأنه يقول فيها .. ولكنك
لن تبعد بضع خطوات يا هذا ، الا
ويكون القفل قد انفتح .. فلماذا
لا تنتظر ؟ .



ولكن الذى حدث ، لم يكن فى
الحسبان .

لقد جرب سلمان أكثر من عشرين
مفتاحا ، دون ان يجد فى مجموعته المفتاح
المنشود . حتى تعب ظهره واعياه
الانحناء . فجلس القرفصاء وراء السيارة
.. ومضى يجرب مفاتيحه الاخرى ، تحت
الشمس المحرقة ، واحدا بعد الآخر ..
فى صبر وأناة .

ومع كل مفتاح يفشل فى تجربته ،
يتقلص جزء آخر من ابتسامة الرضا
والاعتداد التى كانت ملقبة ظلها على
وجهه النحيل كله ، ويحس بنفسه ..
وكانها تتهاوى شيئا فشيئا ، فى اعماق
بشر لا قرار لها .

وانقضت ثلاث ساعات . وجرب
سلمان مفاتيحه كلها . ثم عاد فجربها
أكثر من مرة .. والقفل لم يفتح !
وكانما ركبتة قوة خفية ، أصرت على
إبقائه مقفلا فى وجه سلمان ، وفى وجه
مفاتيحه ! .

وتيقن فى النهاية من فشله . فنهض
متحاملا على ساقيه المكدودتين ، والعرق
يتصبب من جبينه ، وقد استحال كتلة
من اليأس والالم .

والقى سلمان على المفاتيح المكومة عند
قدميه ، نظرة تفيض بالسخط والمرارة ..
وبصق عليها بقوة . ثم عاد فانحنى عليها
ليجمعها من الأرض ، فان هذه المفاتيح ،
وان خبيث أملها وجرحت كبريائه .. هى
وحدها مصدر رزقه . وهى .. هى كنز
الذى لا يقنى .

وعاد مخذولا الى مكانه على التخت .
ولم يزد ان قال للشباب صاحب السيارة

- يرحم أبوك ، امين مشترى
هالسيارة ؟!

ولم تكذ السيارة الصغيرة تغادر
مكانها ، حتى جاءت سيارة أخرى ..
تقصد سلمان ، وتطلب اليه عين الطلب
ولم يجد سلمان فى نفسه المهزومة ،
ما يشجعه على المصالاة فى الطلب ..
كما اعتاد ان يفأل فيما يطلب من اجور
من قبل .. فى عزم لا يريم . فقام الى
عمله .. بدون ثمة كلام ! .

وقبل ان يجرب مفتاحه الاول ..
بادره صاحب السيارة من خلفه .
- بالله كيل ما تشتغل ، خلى نتفق
علاجرة .. مواحسن من اللغاوى ؟ .
فأجاب سلمان من دون تردد .
- حسب امرك .

فالتقى صاحب السيارة بعرضه ، بقوة
واصرار .
- اذا لكبت لى مفتاح للقفل ، انطيك
مية فلس .. صار ؟ .
ومرة أخرى أجاب سلمان من غير
تردد .

- حسب امرك اغاتى .
ووضع أكوام المفاتيح كلها أمامه ..
وجلس على الأرض متربعا . وبدأ يعالج
قفل الصندوق .. وجرب المفتاح الاول
فلم يفتح القفل . ثم جرب المفتاح الثانى
.. وفى لحظة واحدة ، انفتح .
وضحك سلمان ضحكة تفيض بالمرارة
وتتمتع بضع كلمات من السباب البذى .
.. اودعها كل ماجاش فى نفسه من
سخط وحنق .

ومرة أخرى .. بصق على كومة
المفاتيح . ولكن بصقته هذه المرة ، كانت
أقوى بكثير من تلك التى بصقها على
مفاتيحه .. قبل لحظات .

ناسخ في الليل

منولى

بقام : ضياء الشرقاوى

البيضاء راقدة وسط ستة وثلاثين قرشا في قاع الجيب .. هذا الشهر ملعون جند الناس الى جوار مدافئهم أو فى فراشهم .. لا زبائن .. وسميحة لا تمرض الا فى هذا الشهر الملعون الشحيح .. والميدان فسميح كئيب تضيق حدوده فى الظلام .. وثلاث عربات فقط يحلقون حول بعض اثنتان صغيرتان .. وواحدة قارعة يلوح عليها عليها العز والثراء .. انه لا يأمل كثيرا فى العربتين الصغيرتين والعربة الكبيرة لن تعطيه أقل من خمسة قروش .. خمسة قروش .. العربتان الصغيرتان قرشان أو ثلاثة .. ما يأتى منهم ؟ سيضعه فى جيب سميحة .. ضرورى .. تحس الجيوب الاخرى .. جيبه خال لم يضع فيه شيئا تماما فليؤجل موضوع رتق الحذاء .. وهذا جيب الايجار فيه قروش قليلة .. وجيب زوجته .. وجيب الاكل .. وجيب محمد .. جيوب كثيرة واسعة خالية الوفاض وثنى الورقة برفق .. وادخل يده بين زراير الجاكته .. ودلفت أصابعه دون أن تتحسس طريقها الى جيب سميحة حيث تركت الورقة فى القاع .. وانتشله من تفكيره صوت عربة من العربتين

أدخل يده بين زراير الجاكته .. ودلفت أصابعه دون أن تتحسس طريقها الى جيب سميحة .. انها تعرف طريقها تماما الى هذا الجيب ولم تخطئ مرة واحدة .. فوق القلب مباشرة والتفت حول ورقة مطوية راقدة فى ركنها بهدوء .. ونشرها امام عينيه وأخذ يتفحص الكلمات الغريبة التى لا يعرف منها شيئا .. أفى هذه الكلمات القليلة الشفاء لسميحة من مرضها الطويل ؟ .. وتداخلت الحروف أمام عينيه وتشابكت وبرز من بينها وجه الطبيب الشاب وهو يقول له :

اشتر هذا الدواء بسرعة .. واعطها جرعة كل ساعتين ..

قال له بتردد :

— أهذا الدواء غال يا سيدى ؟

قال الطبيب الشاب :

لا .. لن يزيد عن جنيه ..

تعمم ؟

— جنيه .. جنيه ..

لطمته هذه الكلمات .. وود لو يقول

له : ألا تكتب لنا دواء رخيصا شيئا ما

بدل هذا الدواء بأسيدى ؟

وهامو شهر كامل يتقضى ولا يستطيع

أن يشتري هذا الدواء .. الورقة

الصغيرتين .. واندفع نحوهما يلوح بيده
ويتقدمهما .. وعندما حاذته .. اسقط
الرجل في يده قرشين .. ومرتقت تقتحم
الظلام .. رفع الحارس عم بيومي
القرشين الى شفتيه وقبلهما بامتنان ..
وامتدت يده بهما بين الزراير ودلفت الى
جيب سميحة .. وخيل اليه ان الكلمات
تجمعت ورز من بينها وجه الطبيب
الذي اخذ يحصى الفقد .. فتمتم عم
بيومي كأنه يحاذته ويطمئنه :

وقل العربية الصغيرة الثانية
قرشين لآخرين .. والعربة الكبيرة
خمسة قروش .. يكون الحساب خمسة
واربعين قرشا .. هانت ..

وأحس بالارتياح .. خيل اليه انه
لمح ابتسامة على وجه سميحة .. أخذت
الرياح الباردة تجوب الميدان طولاً وعرضاً
مثل الكلاب الجائعة المجنونة تطارد
بعضها بعضاً .. لقد صارت اكثر من
العربات هذه الايام .. والرياح تجوب
الميدان دون أن تدفع شيئاً .. ماذا
سيقبض من الرياح ؟ هل هي تعرف أن
وراءه في البيت ابنة مريضة تحتاج
الدواء .. وفي قدميه حذاء يحتاج
الرتق .. وسكننا يحتاج الايجار ..
وولدا وزوجة .. الرياح لا تعرف شيئاً
.. ولا يريد أن تعرف شيئاً .. حتى
ولا تريد أن تتركه واقفاً في مكانه وحيداً
في أمان الله .. بل تصفعه وتعابته ..
وتجذب ذيل جلبابه .. وشق طريقه
الى العربية الصغيرة وجلس الى جانبها
يحتضن بها من عبث الرياح .. وسميحة
ترمه بعينيها الذابلتين في حنان ..
ود لو أغلقتهما ونامت فلماذا تستيقظ
معه في الاخرى حتى هذه الساعة المتأخرة
من الليل .. التؤنس وتبدد وحشته ؟
فلتنامي .. معي العربتان تؤنسان

وحشتي .. يومان أو ثلاثة وسأشتري
لك الدواء .. وتستردين صحتك
وعافيتك وتلعبين مع الاولاد في الحارة
كما كنت تلعبين .. واسمع صوتك
يأتيني من بعيد .. وتعلقين بعنقي ..
واضمك الى صدرى .. اليس لهذا الليل
من نهاية ؟ .. أين صاحبها تين
العربتين ؟ .. هل ناما في الملهى ..
لا بد انهما قد ناما هناك .. فكثيرا
ما ينامون في أماكنهم من فرط السكر
وينسون أنفسهم ويتركوننى ملقى
بجوار عرباتهم .. وألقى نظرة الى الملهى
.. الموسيقى الصاخبة الضارية تغفو ..
والانوار تخفت .. والطريق الى البيت
طويل .. ساعة كاملة حتى يصل اليه
.. ساعة كاملة .. وتخيل صاحب
العربة الصغيرة يقول له :

أين تسكن أيها الرجل ؟
- في السيدة عائشة ..

- ياه .. انها بعيدة جداً .. والدنيا
ليل .. تعال معي لأوصلك ..

وتمرق العربة في الطرق الكثيرة
لا يههما الوحل ولا البرد .. كل شيء
غرق في النوم .. من هنا يا سيدي ..
على طول .. الشارع القادم .. في آخره
.. في ماذا تفكر أيها الرجل ؟ .. ان
ابنتي سميحة مريضة منذ شهر .. انها
بنت حلوة ستحبها ان رأيتها .. ألم
تعرضها على طبيب ؟

- نعم .. نعم يا سيدي والله ..
وكتب لها الدواء .. ان الدواء غالى
يا سيدي .. ثمنه جنيه .. جنيه كامل
وهذا الشهر شحيح .. شهر بارد ..
والرياح أكثر من العربات .. الرياح
لا تدفع شيئاً يا سيدي .. لقد وفرت
ثمانية وثلاثين قرشاً حتى الآن ..

— خذ أيها الرجل هذا الجنيه واشتر
الدواء ..

— أدامك الله يا سيدي في صحة
وعافية .. انها بنت حلوة ستحبها ان
رايتها ..

وفتح عم بيومي عينيه في ذعر على
صرخات رجل .. وقفز حارس العربات
من مكانه ..

أيها الحمار .. أين أنت ؟

— هذا هو انا ياسيدي ..

كان صاحب العربة الفارغة .. رجل
قصير ضخم .. له رأس كبير .. وعينان
تلتزمان بالسكر والغضب .. وتقف في
جانبه فتاة رفيعة من فتيات الملهى ..
وأما كثيرا تذهب مع الرجال في مثل
هذا الوقت ..

— اين فوانيس العربة يا لص ؟

وكان لكمة قوية سقطت فوق رأس
الحارس فأفقده الوعي .. فوانيس ؟
اي فوانيس ؟ .. ماذا يقصد .. هل
سرقته وهو نائم ؟ .. وأخذ يحمل في
العربة بذهول .. والرجل الضخم يعدو
حوله ويلوح بيديه في عصبية ..
وتتمتم : والله ياسيدي ...

— أين كنت ؟

— لم أتحرك من هنا ياسيدي ، والله ..

— اذن كيف سرقته الفوانيس ؟ ..

— لم أتحرك من هنا ياسيدي والله ..

كان الرجل يزداد صخباً ويتحسس
أماكن الفوانيس في غضب .. ولم يعرف
الحارس ماذا يفعل وقد تملكه الخوف ،
وأخذ ينظر هنا وهناك لعل أحدا ينجده
ويقف الى جانبه .. ليته يستطيع أن
يعدو بأقصى سرعة .. ويذوب في الظلام ..

والله لم أرها ياسيدي ..

— اذن من سرقها .. أمي ؟

— والله ...

— يا عسكرى .. يا عسكرى .. لا بد

أن آخذك الى القسم ..

واخذ صوت الرجل يمزق صمت
الميدان .. وصمتت الرياح مرة واحدة
وفجأة .. وأخذت عينا الحارس تدوران
هنا وهناك ولا تريان شيئا .. وأمسك
به الرجل من جاكته الصفراء .. وأخذ
يجذبه وراءه ..

وخرجت الفتاة من صمتها وقالت
للرجل :

— اتركه يا سنسن .. لا تعكر دمك ..

وازدادت ثورة الرجل وقال :

— لابد أن آخذه الى القسم .. لم
يسرق الفوانيس أحد غيره .. اللص ..
— والله ياسيدي .. أخذني النوم

رغما عني .. لم أر الفوانيس ..

.. ووقعت عينا الحارس على رجل قادم
فصرخ مستعينا :

الحقني يا عم والنبي .. ربنا
يخليك ..

وتجمع ثلاثة رجال آخرون على صوت
الجلبة .. وحاولوا أن يتفاهموا مع
الرجل الضخم الذي زاده السكر ثورة
وغضباً .. وازدادت قبضته على الجاكته
الصفراء تشبثا واصرارا .. وابتعدت
فتاة الملهى قليلا ووقفت الى جوار العربة
ترقب المعركة في ملل وغَيْظ ، وانفلت
الرجال يتححصون الفوانيس ، ويقدمون
الحلول والترشيات الممكنة .. ويستثيرون
كرم الرجل وأريحيته .. دون فائدة ..

وقال أحدهم :

كم تمن الفوانيس ؟ .. جنيته ..
اننان .. افرض أن هذا المبلغ سرق من
سيادتك ..

— هذا الرجل مسكين يا سعادة البك
.. وعنده أولاد ..

قال الرجل بقلظة :

— لا يهمني ذلك .. القسم أو يدفع
تمن الفوانيس ..

— كم تمن الفوانيس ؟

— ثلاثة جنيهاً .

— لا . . . ليس ثلاثة جنيهاً . . .

لن يزيد ثمنها عن جنيهين .

— ثلاثة جنيهاً أو القسم .

ياسعادة البك . . .

— ثلاثة جنيهاً أو القسم . . . ليس

لدى وقت لأصعبه .

قال احد الرجال :

— فلنذهب الى القسم . . . لن يفعلوا

له شيئاً . . . ثلاثة جنيهاً . . . انك

تبالغ . . . الرجل غلبان وليس له ذنب .

كان بيومي صامتا . . . تجذبه قبضة

الرجل الضخم الهائج هنا وهناك . . .

والرجال الاربعة ناثرون كأن القضية

قضيتهم هم . . . وفي عيونهم الاصرار . . .

وتحرك الرجال خطوات . . . وتلاقت

اعينهم لحظة ثم قال أحدهم لزملائه :

— ما رأيكم يا رجال ؟ فلندفع له المبلغ

وأمرنا الله .

رقضت اعينهم الاذعان للرجل . . .

وتهامس رجلان ثم قالوا :

— انتظر قليلاً ياسعادة البك .

وتوقفوا جميعاً ملتفين حول الحارس

. . . وواصل أحدهما :

— ان الرجل فقير . . . وصاحب عيال .

وسندفع لك النصف ولتتحمل انت

النصف . . . هذا عدل .

قال الرجل باصرار وهو يهم بمواصله

الطريق الى القسم :

ثلاثة جنيهاً أو القسم .

كور أحد الرجال قبضته وفكر في أن

يطوحها في وجهه الضخم ويصرعه

أرضاً .

سأل رجل منهم الحارس :

— هل معك نقود ؟ .

هل يقول لهم لا . . . هل سيكون

كاذباً حينذاك . . . ليس له الحق في

قرش واحد من قروش سميحة الثمانية

والثلاثين . . . انه يستطيع التنازل عن

القروش القليلة التي ادخرها للإيجار

وتعتمد : نعم .

— أرنا كم معك ؟

ومد يده في جيب الإيجار . واخراج

قبضة من القروش واسقطها في يد

الرجل الذي أخذ يحصيها وقال :

— ثلاثة وعشرون قرشاً فقط .

تتمت عم بيومي :

— ليس معي غيرها .

— كل واحد يمد يده في جيبه يخرج

ما يستطيع يا رجال . . . لوجه الله .

ومد الرجال ايديهم في جيوبهم . . .

واسقط كل منهم ما استطاع في راحة

الرجل : ثلاثة وعشرون . . . ثلاثة

وثمانون . . . جنيه وثلاثة قروش . . .

جنيه ونصف . . . ومنى نصف جنيه . . .

فيكون المجدوع جنيهين . . . هاهما جنيهان

ياسعادة البك واترك الرجل .

قال الرجل الضخم :

— ثلاثة جنيهاً كلمة واحدة . . .

سأعرف كيف يدفعها في القسم .

— ياسعادة البك . . . جنيهان .

ومد عم بيومي يده خلال زراير الجاكطة

. . . وتحسست أصابعه طريقها الى جيب

سميحة . . .

وأحس بيد ابنته تمتد من الجيب

تبعده يد عن النقود . . . لا . . . لا يا ابني

سيأخذني الى القسم . . . يا ابنتي . . . انه

مصر . . . ورخش . . . وسادفع الجنيهاً

الثلاثة هناك أو أحبس . . . سأموت يا ابني

سأموت . . . اني انتظر الدواء منذ شهر

السعال يمزق صدري . . . والدماء تلوث

شفتي . . . سيعوضنا الله يا ابنتي

وليرزقنا برزقك . . . لماذا تمتلىء عيناك

بالدموع يا ابنتي ؟ . . . وبرز وجهه

الطيب من بين الكلمات . . . وقال

حازماً :

اشترى هذا الدواء بسرعة .

هل أعود اليها وجيبها خال .. ماذا
سنقول سميحة ؟ اليوم في جيبك عشرة
قروش يا سميحة اليوم في جيبك واحد
وعشرون قرش يا سميحة .. اليوم
صارت ستة وثلاثين .. سأشتري لك
الدواء قريباً يا سميحة .. ماذا سأقول
لها اليوم ؟ .. هل سأقول لها لم يعد
في جيبك مليم واحد يا سميحة .. هانت
يا ابنتي .. لا .. ما زال الطريق الى
الجنية طويلاً ..

ما زال الطريق الى الشفاء طويلاً ..
كانت أصابعه تتلاحم .. وتتقدم ببرود
هل تواصل الطريق وتنتزع من بين
أصابعها الواهنة حق الدواء رغم الدموع
.. أم تنكص وليكون ما يكون ..
يا ابنتي العزيزة .. أعدك وعداً صادقاً
سأشتري لك الدواء قريباً .. سأسأل
جارناً قرضاً مرة ثانية .. سأستعطفه ،
وستأتي في الغد مائة عربة وعربة ..
وكل النقود ستكون لك .. ستكون
للدواء .. صدقيني .. لن أستطيع أن
أدفع لهذا الرجل ثلاثة جنيهات بمفردي
في القسم وسأجسسوني .. وربما
سحب مني الرخصة .. هل يرضيك
هذا ؟ .. لن تريضي إذا جيسوني في
في القسم .. ولن أستطيع أن أدرك ..
أما في الغد .. فستأتي مائة عربة وعربة
بالتأكيد .. وكل النقود ستكون لك ..
خذها يا أبي .. خذها .. واصطدمت
أصابعه بالقروش .. وافرغ قبضته في
يد الرجل وهو يقول :

— هذه نقود سميحة .. ثمانية
وثلاثون

قال الرجل الضخم : من يفتشه يجد
معه مائة جنيه على الأقل .
قالت فتاة الملهن في غضب : لماذا
كل هذا الإصرار ؟ .. الرجل عجوز
ومسكين .

قال الرجل :

أنا واثقانه هو الذي سرق الفوائيس .
قال الحارس عم بيومي : والله لم أسرق
شيئاً .. كيف أسرق ولي ابنة مريضة ؟
وواصل الرجل : لابد أن نؤذيهم
ونضعهم عند حدهم .. ولعل هذا يكون
درساً نافعا .

وانفجر عم بيومي يبكي فجأة .
وأزاح أحد الرجال قبضة الرجل الضخم
بعيدا عن كتف الحارس .. وامسكت
الفتاة بذراع الرجل وقالت :
— يكفي هذا .. يكفي هذا .. انه
رجل مسكين .

لا يهمنى هذا .. انه لص .
قال عم بيومي : والله لقد أخذت حق
الدواء .

قال الرجل الضخم وفتاة الملهن تذلعه
أمامها : دعيني حتى آخذ حقى كاملاً ..
هذا اللص .

وصرخ الحارس : لست لصاً .. أنا
لست لصاً .
— أسمعني ماذا يقول الآن هذا
الحمار ؟
— لقد أخذت ثمن الدواء ماذا تريد
بعد ذلك ؟

كان الرجال متوترين .. لف الرجل
الضخم حول عربته .. وجلس أمام
عجلة القيادة .
فتحت الفتاة باب العربة ومدت يدها
بسرعة الى عم بيومي .. وأسقطت في
يده ورقة نقدية .. وهيمت :

— خذ هذه الخمسين قرشاً من أجل
الدواء ايها الرجل
— لا يا ابنتي .. ابقهم من أجلك ..
غدا ستأتي مائة عربة وعربة .
ولكن قيل أن يقول أى كلمة كانت قد
أغلقت الباب .. وانطلقت العربة .



السعيد بيومي الورقي

أن تضعه في اعتبارك ، والا فما كنت
لاترك المحاضرات هذا اليوم لاذهب حيث
انتظرها ، لكن لا بأس .. يبدو أني
سوف أحب كالآخرين .. وبهذه المناسبة
يقال ان الحب هو أجمل ما في الوجود ..
على كل لنجرب هذا الاجمل اليوم - وأنا
أقيم في « الازارطة » وهي لاتبعد عن
محطة الرمل بأكثر من خمس دقائق
سرعان ما طويتها ، ووجدت نفسي في
محطة الرمل ، وأجلت بصرى هنا وهناك
.. الحمد لله ، لم تحضر بعد .. فالساعة
الآن العاشرة الا عشر دقائق ووقفت أمام
باعة الجرائد وقد عقدت يدي خلف ظهري
أنظر الى الجرائد والكتب .. ويبدو أني
أطلت النظر بعض الوقت فقد أفقت فجأة
على صوت صبي صغير وهو يجذبني :
- باغة ، مشط ..

فالتفت اليه ، وأنا استعبد بالله
وصحت به : - لا هذا ولا ذاك ، اغرب
عني قبحك الله .. الا أن الملعون أصر على
مضايقتي في هذا الصباح ، وقد اشرفت
الساعة على العاشرة بالضبط ، وأخذت
أنطلع الى جميع الجهات المؤدية الى محطة
الرمل ، والصبي ما زال يلح :

- والنبى يا بيه ..

الساعة الآن التاسعة والنصف ،
مازال أمامي المتسع ، فاعتقد ان نصف
الساعة الباقية كفيلة بأن تجعلنى أبدو
على خير ما يرام .. وأسرعتم في ارتداء
ملايىسى ، وتمشيط شعرى .. لم يبق
على الميعاد سوى ربع ساعة فقط ...
وأصدقك القول حتى لاتتعجب ، هذه
هي المرة الاولى التي أعطى فيها امرأة
« ميعادا » أو اخذ من امرأة « ميعادا »
فأنا كما لا تعرف شديد الحياء ، يقلب
على طبعي الحجل .. و «أموت» في جلدى
من الشيء الذى يكون فيه « الحريم » ،
ولو أن بينى وبينك ، النساء أجمل شيء
في الدنيا ، لكن أنا والحمد لله معسوم
الحبرة ، فأنا شديد الحجل كما قلت لك ،
وصدقنى في ذلك - وبكل جراءة قلت
لها سأنتظرك يوم الأربعاء القادم في
محطة الرمل الساعة العاشرة .. وبكل
بساطة أقسمت أنها سوف تحضر ..
لكن المهم ، عندما أتقابل معها ، ما الذى
أعمله ، وأين آخذها ، وكيف أسير
معهما ، وأنا جد خجول ، لقد كان
الاجدر أن أستشير أحد الزملاء ، لكن
لا بأس « تفرج » عندما تأتى ..

انها بارعة الجمال حقا ، هذا ما يجب

وكنت أن أجن : - ما الذي تريده
منى أيها الأبله ، أغرب والا اشبعتك
ضربا .

ونظري حائر هنا وهناك ، ويبدو أن
الصبي قد لاحظ اللهجة الجادة التي أتكلم
بها ، فتركنى الى صيد آخر . ولم تأت
بعد ، لقد اتفقت معى على الساعة العاشرة
وما هي العاشرة . . اخشى أن تكون
تلك ضحكة منها . وعند ذلك اقتابتنى
الهواجس . . ماذا سيكون موقفى أمام
نفسى ، وأمام ضميرى ، وكبريائى التى
جرحت ، وكرامتى التى أهينت لسكن
لا بأس ، لننتظر قليلا ، ربما عاقها بعض
الامور . . الساعة الآن العاشرة والرابع ،
والوقت يمر ببطء ، يا الهى . . ان جميع
الانظار تنجبه الى . . انها الطامة الكبرى
وربى ، لماذا ينظر الى الجميع هكذا ، أفى
حيثى ما يغرى بالنظر ، أم وقفتى . .
نعم ، انها ولا شك . . وقفتى . . نصف
ساعة بالتسام ، وأنا هكذا لا ريب انها
كفيلة بأن تجذب الانظار الى . . لكن ،
مثلا ، مثلا . . أنا فى انتظار الترام ،
ولكن أى ترام ، لقد مر العديد منها . .
الا لعنة الله على النساء . . اهكذا تضحك
على « مقصوفة الرقية » هذه . . والله
العظيم بنت « مقصوفة » لراحت ولأجاء
. . لكن النصيب . . لاشك أن كرامتى
الآن قد انهارت تماما ، وضميرى . .
نعم ضميرى ما الذى أقوله له . . فقط
لو تجى ، كنت أنقضى عن الوقت الذى
مر ، لكن . . وتذوقت لأول مرة تقريبا
سعم الحبيبة والمرارة . . طعم الفشل . .
ان له مذاقا مرا ورثيت فى نفسى لحال
هؤلاء العاشقين . . أتراهم هكذا . .

الطيف هكذا مرة واحدة . . انها مى
لاشك تلك القادمة من أقصى الشارع . .
واسرعت الحطى قليلا ، وارتفعت الدقات
وتجمدت مرة واحدة ، لم تكن هى . .
لقد كانت فتاة مماثلة لها فى القد . .
لعنة الله على نظرى ، مع العلم أن نظرى
سنة على ستة ، مثل نظر زرقاء اليمامة
بالضبط . . الساعة الآن العاشرة
والنصف . . العاشرة والنصف ولم تأت
وأخذت أدور حول نفسى فى تتابع ،
وما عدت أحفل بالنظرات التى لاشك
فى أنها موجهة الى . . فلينظر من ينظر
ما شاء . . يكفى ما أصيبت به كرامتى
وكبريائى . . والمصيبة أنه أول لقاء . .
والألين من هذا أنى لا أعرف عن الفتاة
سوى اسمها . . أى وربى اسمها فقط ،
وهى لاتعرف عنى شيئا البتة ، سوى
اننى انسان ، ويبدو من نظراتى انى
متيم فقط . . فقد تعرفت بها فى ظروف
حرجة ، وأصدقك القول ، لست بالمحدث
البارع خصوصا مع النساء ، فسرعان
ما اتلغثم ، وتنتابنى موجة من الحجل
والارتباك ، ولا أدري ما الذى أقوله ،
سوى أن أداعب اصابعى . . واتذكر انى
ذات مرة ذهبت الى أحد الزملاء وكانت
عنده فتاة قدمنى اليها ، وقدمها الى . .
ولم أدر ماذا أقول ، سوى أن ابتسم ،
وأخفى الابتسامة بأسرع من البرق ،
وافتح فمى لكى أقول شيئا ثم لا أقول . .
هكذا أنا دائما ، ضعيف من ناحية
الجنس اللطيف . . المهم أن ما تبادلت مع
هذه الفتاة كان مجرد كلمات متفرقة هى
حصيلة ساعتين . . أى وربى ساعتين
. . اعلم ايه الدنيا تجارب ، وأنا ما زلت
تحت التجربة .

الا لعنة الله على هذه الفتاة . . لا ريب

واسرعت دقات قلبى ، ولا ريب أن
وجهى قد تقلب لونه الى اللون عدة كالوان

انها تلسع كما لو كانت مشتعلة ..
رحماك يا الهى ، واحسست بالظلمة :

- يا اخينا يابتاع القازوزة ؟

فالتفت الرجل الى

- قزازة وحياة والدك .

وتناولت الزجاجاة ، وحاولت أن
أتناول منها بعض الجرعات ، ولكن
أمسكت فجأة عن الشرب ، وناولتها
للرجل بأسرع من لمحة البصر ومعها
تمننا وأسرعت الحظو فى خفة العصفور
الطليق فى روضة من الرياض العبية ..
انها هى نعم .. وابتسمت ابتسامة
عريضة ، أخفت وراءها كل ما بهى من أسى
وشجن ، وعددت لها يدى وأنا أمسى:

- صباح الخير .

- صباح الخير .

وتزحزحت الى جوارها فى سكون
وابتسام ، وسرنا .

انها لم تجد فى ما يجعلها تحبذ متابعة
التعرف .. آه ، لو تجىء ، لسوف أقضم
رقيبها ، أبصق على وجهها ، أتركها فى
الطريق تمد ذراعها لتسلم على واذهب
بعيدا .. لا بد أن أثار لكرامتى .. لاشك
أن كرامتى الآن تنزف دمعا ودما .

الساعة الآن الحادية عشرة الا خمس
دقائق .. ساعة وخمس دقائق ، وأنا
أقف هكذا كالطريد .. أترك محاضراتى
واضبط على كرامتى وكبريائى من أجل
هذه « المقصوفة الرقية » ثم لآتأتى ..
آه يا كرامتى .. رحمة الله على .. لقد
فقدت كل شيء .. أى وربى .. فقدت
نفسى ، وما الذى يتبقى للإنسان بعد
الكرامة والكبرياء ... والمصيبة أنها
لم تأت بعد .. وشعرت بالأسى وطعمه
المالح فى جوفى ، حتى كدت أشرق ،
ولا بد أن عيني أغرورقت بالدموع ، لأنى
لم أعد أثبت الأشياء بوضوح ، أو يبدو
من غيبة المكثرة . وانتابنى دوار هائل من
الشمس المحرقة التى تلسع رأسى منذ
أكثر من ساعة ، وتحسست رأسى ..



هَذَا ج

مراد صبحي

المفزل مبكرا ، ولا تزال آثار « البودرة »
بادية فوق وجهه . فقد كان من عادته ألا
يعرض لموسي الحلاقة إلا إذا كان لديه
عمل ، ثم أبدل الصندل الذي ينتعله بالحذاء
« الاجلسيه الاسود » اللامع ، وجلبابه
الزفير بأخر أبيض حريري نظيف مكوي
مخصص للحفلات ، وأرتدى فوقه معطفه
الحالك السواد ، وأحكم وضع طربوشه
فوق رأسه بميل كبير نحو أحد حاجبيه
وقد تدلى الزر فوق أذنه يداعبه —
كالماتق — بحنان .

وهكذا أكمل ارتداء زيه الرسمي ...
وأصبح على « سنجة عشرة » ... وجلس
في انتظار من سيذهب معه إلى الفرح ...
وهو يسلى نفسه بتدليك جلد الطيلة
براحة يده بين الحين والحين ، ليعث فيها
الدفء فتشد وينجلي صوتها ... وطال
عليه الوقت ... ولم يحضر أحد ، فغشعر
بدبيب السام والملل يتسللان إليه ، وتحرق
شوقا للذهاب وقد استعاد في أذنيه
صوت من كان يصف له الاستعدادات
الكبيرة التي أقالها أصحاب الفرح لهذه
المناسبة السعيدة . وأخيرا لم يجد بدا
من اصطحابه معه لأول مرة ، موصيا إياي

.. لم أر أبى في صفري — وهو
يؤدي عمله « كطبل » في فرقة للعوالم .
قبل تلك الليلة التي ذهبت فيها —
بصحبتة ... إلى ذلك المفزل المقام فيه
« الفرح » لأول مرة .

.. وكانت كل معرفتي بعمله ...
تنحصر في تلك الاخبار .. التي كان أبى
يقصها علينا ... عن الانسراح ...
والليالي الملاح ، التي يحييها مع زملائه ،
وما قد يحدث فيها — من فوائد ...
وطرائف ... لا تخلو منها عادة !

... وكنت أحيانا — أذهب إليه في
ذلك المقهى المعروف بزيائنه من أولاد
« الكار » الذين يتخذونه مقرا ومجلا مختارا
لهم ، في الليالي التي لا يوجد فيها عمل
لديهم — وما أكثرها . فأجده وقد اتخذ
ركنا منها ، وراح يدرب أصابعه على
« طبلته » العتيقة الأثيرة إلى نفسه ..
التي لا تفارقه أبدا ، مشاركاً أحدهم في
التدريب على غناء أغنية جديدة لمطرب
كبير .. أو « منولوج » حديث « لمنولوجست »
معروف .

وفي تلك الليلة ... دخل أبى علينا

بضرورة مراعاة اصول الادب واللباقة فى تصرفاتى ولم اصدق اذننى لفرط السعادة التى غمرتنى .

فقد آن لى ان ارى ، راي العين ...
هذه الدنيا الساحرة — دنيا الافراح بعد ان سمعت من ابى عنها الكثير .

ولست اذكر كيف وصلنا الى المنزل المنشود لارى واجهته وقد غمرتها الانوار الباهرة الملونة ، التى خلقت بصرى ، واستولت على شاعرى ، وجعلتنى احس بالدماء تجرى فى عروقى بحرارة ونشوة !! وسمعت افراد الفرقة تنادى على ابى :

— تعالى هنا يا مصطفى ... انت
اتأخرت علينا خالص .

ودخل ابى معهم فى مناقشة طويلة ، حول التأخر عن الموعد ، ومن هو المخطئ .. ومن هو المصيب ، بينما كان يتخذ مجلسه الى جوارهم امام المدعوين فوق نصب مرتفع — اشبه بخشبة المسرح بينما اندست وسط صفوف المدعوين ، وانا اتيه نرجسا .. واكاد اميل على اذان الجالسين الى جانبى لاقول لهم بكل فخر ... اننى ابن مصطفى .. هذا « الطبل » المعروف .

وبدا الحفل بتقديم رقصة بلدية من « الباتعة » — راقصة الفرقة ومطربتها الاولى — التى راحت تتثنى وتتمايل .. على انغام الموسيقى ... وضربات انايل ابى المدربة على طبلته العتيقة ... وانتشيت بهذا الجو المشحون بشاعرات الفرح .. والسعادة ، وعجبت كيف قدر لى ان اظل كل تلك الساعات الماضية دون ان اتمع بالتواجد فى مثل هذه الليلة ... ولو حتى مرة كل حين وحين !

وانتهت « الباتعة » من تقديم رقصتها وتبادل معها افراد الفرقة الآخرون بقية فقرات البرنامج ، الذى ساعم فيه والذى بنصيب الاسد دون ان ينال تسطه من الراحة ... فلا غنى للفرقة عن اصابعه الماهرة وضربات البارة فوق الطبله يصحبها هزات جسمه المتتابعة الى اعلى واسفل ، ويمينا ويسارا ، وخلف وامام وكأنه جالس فوق زبلك تبعاً لما تتطلبه اصول الصنعة والايقاع المطلوب وامتدت السهرة وامتدت حافلة بالوان المرات والموسيقى والرقص والطرب والفكاهة تتخللها لحظات لجمع « النقطة » من المدعوين تهبط خلالها « الباتعة » الى صفوفهم وتتثنى بجسمها اللدن فوق صدر هذا او ذاك فما تلبث الايدى ان تمتد الى الجيوب وتخرج منها ما تجود به انفسهم ، او ما يحبون ان يعرف عنهم من الكرم او اعزازهم للعريس السعيد فيلمستون الاوراق المالية المتفاوتة القيمة تبعاً لتفاوت درجة اظهارهم لمشاعرهم فوق جبين الراقصة او يضعونها فى فتحة ثوب صدرها الواسعة التى تكشف عن جزء كبير من نهديها الناضجين فتنتقل برشاقة ودلال لتقبل النقطة بحمد وشكر وتناولها لرئيس الفرقة الذى يمسكها بين اصابعه مظهراً قيمتها للملا وهو يردد كلمات صاحبها فى تحية العريس واهل العريس « والجدعان » « والحقه » « واللى شرفونا » و « انا وانت » والف مرة « وسلام ياعم » .

وتعزف الموسيقى جزءاً من السلام الوطنى قد يطول او يقصر حسب قيمة النقطة ثم تمايل « الباتعة » على آخر وثالث ورابع ، وتكرر التحية ويتكرر السلام ، حتى اذا ما احست الباتعة بان

المدعويين قد اكتفوا ولو مؤقتا بما نقدوها
 اياه في هذا الشـوـط ، عادت تعلى
 النصب وتوالى تقديم رقصاتها واغانيها
 وفكاهاتها بالفتاوب مع زملائها وزميلاتها
 ومضت الساعات تلو الساعات حاملة
 المتعة والهناء وقاومت رغبتي القاهرة الى
 النعاس بعزيمة قوية حتى اظهر امام
 والدى بمظهر الكبار الذين يعتمد عليهم
 فلا يحرمنى من صحبته الى الامراح
 التالية . وفجأة تصاعدت اصوات عابثة
 متساحكة من جماعة من الشباب تبدو
 عليهم آثار الخمر بوضوح من عباراتهم
 وتصرفاتهم ، تقول بصوت منغم رتيب .

— عاوزين صفصف ، عاوزين صفصف
 عاوزين صفصف .



وتساءلت في نفسي عن يكون هذا
 الصفصف الذى يطالب المدعوون بسماعه
 بهتل هذه الضجة الساخرة ، وحملت
 بعيني ، وتطلعت بعنقى لاراه : واذا بى
 اشاهد ابنى يقف مترددا ليقبل بعاصفة
 من الضحك والتصفيق والتهريج والصفيح
 وبدا في القاء منلوج فكاهى وهو يهتز
 بجسمه الضئيل القصير هزات متتابعة
 على انغام الموسيقى ضج لها المدعوون
 بالضحك لكنها اثارت في قلبى الصغير
 كوامن الالم والمرارة وانا اراه في اهتزازاته
 العشوائية هذه مثارا لضحك الضاحكين
 وهزء المستهزئين وسخرية الساخرين .
 ورغم كل ذلك كان يواصل منلوجه الذى
 نال كثيرا من الاستحسان ، وكثيرا ايضا
 من « التريقة » « والقفشات » وقارب
 المونولوج على الانتهاء وزادت حماسة ابنى
 وجلبة الموسيقى الدالة على ذلك ، واذا
 به بحركاته شبه الهستيرية يقترب من
 حلقة النصب المرتفع دون ان يدري ،
 واذا بقدمه تزل فيتهاوى الى الارض على

حين غرة وكاد أن يحدث له ما لا تحمد
عقباه لولا أن أسرعت أيدي القريبين منه
الى نجدته فأسندته وانتشلته من سقطته
نلم يصيب الا بعرج ظهر أثره في مسيره
واضحاً وهو يعود الى كرسـيه مـاـدا
بذراعيه الى الامام يتحسس بهما الطريق
ووجهه ينطق بالالم البالغ ، وعيناه
الغـائـرتان المظلمتان تحدقان في لا
شيء .

وشاهدت كل ما حدث لأبى المسكين
وكاد قلبي أن يسقط بين ضلوعى وأنهرت
دموعى الغزيرة المتتابعة فوق وجنتى وأنا
اجد أبى الضريع الذى لا يرى شيئاً مما
حوله يحدث له هذا الحادث المؤلم المأسى
الذى كاد أن يودى به لولا ستر الله ،
ومع ذلك كله أراه يكتم آلامه وأوجاعه
ومشاعره واحاسيسه ازاء تحديق الأعين
فيه بما تحمله من معان متباينة ، ويعود
فى الحال ليستأنف عمله فى سبيل لقمة
العيش وكان شيئاً لم يحدث .

يا لأبى المسكين .. اننى لم أشعر
بفضله ومدى تضحيته وكده وسهره
الليلالى بطولها حتى مطلع الفجر فى
سبيلى وفى سبيل أخوتى الكثيرين ووالدتى
المريضة رغم عاهته ليوفر لنا جميعاً بكل
ما فيه من جهد أسباب العيش الى الآن
وعصمت بأن أترك متعدي لأذهب إليه حتى
أطمئن عليه ، وإذا بأفراد الفرقة
الموسيقية بصحبة والدى يعزفون
مقطوعة موسيقية مرحة ليزيلوا بها آثار
ما حدث من النفوس ، ويعيدوا الى الحفل
بهجته ورويقه . وما أن رأى الحاضرون
أبى وهو يشـارك الفريق على طبلته
المعهودة بأصابعه الخربة حتى قبلوه
بالتصفيق الحاد الصادق هذه المرة .

وإذا بأحد المدعويين يسر فى أن
رئيس الفرقة شيئاً ما ، فغمر بعينه الى
زملائه الذين كنوا عن العزف على الفور
دفعة واحدة قبل انتهاء المقطوعة ، ولم
يستمر أبى فى ضرباته الإيقاعية الا أقل
من القليل ريثما ادركت أذناه المرهفتان
حقيقة المؤامرة فكف بدوره . وعاد الفريق
الى العزف فاستأنف أبى إيقاعه ثم
توقفوا ثانية على حين غرة ولكنه كان
فى هذه المرة كله أذان لما سيحدث من
مفاجآت فتوقف معهم فى آن واحد ، ولم
يتمالك المستمعون أنفسهم فانتعلقوا فى
تصفيق حاد طويل تتخلله عبارات
الاستحسان الصادقة .

وهنا امتلأت نفسى بالفخر لموقف أبى
المشرف وطردت هذه المشاعر احاسيس
الالم السابقة ولم أتمالك نفسى بدورى
فغادرت مكاتى مندفعاً صوبه متخطيماً
الصفوف بلا تردد ، وارتقيت النصب
المرتفع بخطوات ثابتة مرفوع الرأس ،
وبكل ما بى من عاطفة القيت بنفسي بين
أحضان أهله بحرارة .. وأنا أهتف من
أعماقى : —

— أبويا أبويا .

وتدحرجت عبرات الفخر من عيني ..
نوق وجه أبى . الذى ضمنى الى صدره
بحنان ، وبادلنى العناق وتـد داخلته
مشاعر السعادة والرضا .. وعادت
الإشراقة الى وجهه الحبيب ، والبسمة
الحلوة المعهودة عنه الى شفتيه .

وزدادت عاصفة التصفيق شدة
وحرارة واستمرت فترة طويلة بلا انقطاع
دون أن أدرى — وقتئذ سبباً لذلك .

لقصة حول العالم

بقلم : على شمس



جناية الذرة على القصة القصيرة

كان من المعروف عن الروائي الامريكى ارنست هيمنجواى انه عالج فيما عالج من الوان الكتابة القصصية لونا طريقا يتاير اشتغاله بالصحافة في مطلع حياته .. وهو لون حار الناس في تسميته ، لكن الصحفيين يميلون الى حصره تحت عنوان « قصة ذرية » او « قصة في دقيقة » ، او غير ذلك من عناوين تدل على صفة هذا اللون القصصى المركز الذى يشبه الذرة في ضآلتها لا في تكاثرها حين تنفت .

ومن قبيل هذا اللون مقال طريف يدور حول القصة القصيرة .. كتبه وليام بيند الأستاذ بجامعة ميسورى الامريكية ، وجعله مفتاحا يهتدى به القارئ في تلوقه لنماذج القصة القصيرة في مختلف الآداب العالمية . وقد نشر ضمن الفهرس الدورى الذى تصدره دار « منتور » بنيويورك تحت عنوان « القراءة الرشيدة » .. وهو فهرس يظهر كل أربع سنوات ابتداء من عام ١٩٣٢ ويضم قائمة وصفية لنحو ١٢٠٠ كتاب مختار من أشهر ما أنتجه العقل البشرى في مختلف فروع المعرفة على مدار التاريخ ، قديمه وحديثه .

والمقال - تنطبق عليه صفة الضآلة السابقة .. لكنه بشر - على ضآلته - عدة قضايا جذيرة بالمناقشة .. اوثر ارجاءها الى حين الفراغ من ابراده بنصه .. يقول وليام بيند :

« من المرجح ان القصة القصيرة أقدم الاشكال الادبية المعروفة ، وما من شك ايضا في أنها أحدث هذه الاشكال . فالقصص والحكايات والاسكتشات القصصية مريقة عراقة الادب المكتوب ذاته ، ومع هذا فالقصة القصيرة باعتبارها نمطا ادبيا تتحقق فنيته بوعى تعد ذات اصل حديث نسبيا . وليس لهذا الاصل - ان شئنا التوسع في الجدل - قيمة كبيرة ، رغم انه من المعروف عن القصة القصيرة انها - بوجه عام - الشكل الادبى الرئيسى الوحيد الذى يعتبر امريكا في أساسه .

فبعض النقاد بلح على أن اول نماذج للقصة القصيرة في الادب الحديث هي

الاستكشافات القصصية ذات الألوان الدافئة التي كتبها واشنطن أرفنج ، بينما يخلع البعض الآخر المصطلح على بعض الحكايات التي كتبها هاوثورن مثل « ابنة رابنشين » وهي حكايات أقامها حول موقف واحد مكثف تنمو منه سلسلة من الحوادث المتشابكة تنتهي بضرورة متوقعة . ولا يزال آخرون يذكرون اننا - فيما كتب قبل العمل الناضج الذي قام به ادجار الن بو - نعدم العثور على السعى الواعي وراء كلية التأثير والعلاقة الوثيقة التي تربط بين العقدة والشخصيات والبناء والفكرة الدافعة ، وهي عناصر تميز القصة القصيرة الحديثة عن الاستكشافات القصصية التي نراها في كتاب الهند « البشانترا » أو في الانجيل . ولئن كان كل ما تقدم هاما فان الأكثر أهمية هو أن أرفنج ، وهاوثورن ، وبو كانوا صنلعا جادين مهرة . فهم عالجا القصة القصيرة بشكل جدي ، باعتبارها وسيلة ترفيه ، وباعتبارها شكلا أدبيا ، وعربة لنقل وتوصيل التفسير الجدي لمشاكل وجود الإنسان . ويعد كل منهم رائدا في حدود طريقته الخاصة . وقد أضفى كل منهم على الشكل الاصاله والمهارة الفنية ، ومهد الطريق للعديد المترايد على الدوام من القراء الذين وجدوا ان القصة القصيرة - منذ مطلع القرن التاسع عشر - هي أعظم الانماط الادبية قاطبة من حيث الذبوع والانتشار .

ولقد كانت القصة القصيرة لانفتا تاتر تاثرنا بالفابالمناخ الاخلاقي والسياسي والاجتماعي والادبي السائد في بيئتها . ذلك لان «المودات» الادبية تميل الى التفرع بشكل يكاد أن يكون جذريا ودون سبب واضح تماما - شأنها في ذلك شأن أزياء النساء . فالقصة القصيرة التي يستحسنها جيل ما ، قد يستسغفها جيل آخر ، كان لم تكن . وعلى سبيل المثال نجد ان القصص القصيرة التي كتبها فرانز كافكا والتي لاقت الإعجاب على نطاق واسع ابلان حقيقتين من الزمان مضيتا ، هي نوع شديد الاختلاف عن نوع القصص النثرية القصيرة التي كتبها ادجار الن بو ، أو هنري جيمس أو ا . ا . كويارد أو أرنست همنجواي .

ومن ثمة فان محاولة تعريف القصة القصيرة ليست بذات بال . فالقصة القصيرة ، في أبسط أشكالها تتركز حول موقف يتضمن كائنات بشرية تعاني نوعا ما من المشاكل التي تحتاج الى نوع ما من القرارات والحلول . وتكون هذه القرارات والحلول اما طبيعية (فيزيقية) أو نفسية ، حسبما تكون الحالة .

ولقد جنح كثيرون من الكتاب ، منذ عهد شيكوف وجيمس ، نحو تأكيد الفراسة داخل الشخصية ، أو تأكيد دلالة موقف ما ، أو الكشف عن الدوافع الانسانية ، أو اقتراح طريقة ما للحياة (بدلا من الاصلاحين التقليديين : «خط القصة أو العقدة » .

ولعل أبسط وأفضل معيار للحكم على القصة القصيرة هو اختيار قابلية التذكر . فالقصة الممتازة هي ، ببساطة ، القصة التي تستحق القراءة مرة أخرى . ومن حسن الحظ ان الزمن يميل الى تمييز الثمين من الفث . والقصة الممتازة

تبقى في ذهن القارئ لأنها تترك به بقية من الحق أو الجمال ، ذلك لأنها تكون قد حولت مظهرها ما من مظاهر الحياة الى فن ، داخل كيمياء الخيال الخلاق » .

ومن المفيد قبل أن نناقش ما جاء بهذا المقال « الذرى » أن نوضح بعض الاسماء التى حشدتها الكاتب .. وهى :

● واشنطن ارفنج (١٧٨٢ - ١٨٥٩) أمريكى معروف ، يعده البعض رائد الادب الأمريكى الحديث ، وله كثير من القصص والاشعار والمقالات .

● ناثانيل هاثورن (١٨٠٤ - ١٨٦٤) أمريكى يغلب على قصصه الطابع الرومانسى .

● البانشانتر .. مجموعة من خرافات الحيوان المبنية على الحكمة والموعظة الحسنة ، يرجع تاريخها الى القرن السادس الميلادى .

● ادجار الن بو (١٨٠٩ - ١٨٤٩) القاص والشاعر الأمريكى المعروف ، طور شكل القصة القصيرة واهتم بعنصر التأثير الكلى في كتابتها . ويلقبه أحيانا : « أبو القصة القصيرة » العصرية .

● فرانز كافكا (١٨٨٣ - ١٩٢٤) مجرى ، تسود كتاباته القصصية روح تشاؤمية منفرة أحيانا ، لكنها تستهوى طراز المثقفين الذين يبحثون عن حلول لازمة الانسان المعاصر وتمزقه في الافكار والفلسفات الوجودية المعاصرة .

● هنرى جيمس (١٨٤٣ - ١٩١٦) أمريكى معروف باتجاهاته في تعمق نفوس أبطاله ودراسة سلوكهم من الناحية النفسية .

● ا.ا. كوبارد (١٨٠٨ - ١٩٤٨) أمريكى ذو اتجاهات طبيعية ورمزية في كتاباته القصصية .

نعود بعد هذا الى القضايا التى يثيرها المقال وتنحصر في اثنتين رئيسيتين :
القضية الاولى ان الكاتب اعتبر القصة القصيرة « الشكل الادبى الرئيسى الوحيد الذى يعتبر أمريكيا في أساسه » .. وتلك مغالطة واضحة .

ذلك لانه اعترف مقدما بعراقة الادب القصصى . فالثابت ان تاريخ الادب العالمى قد ورث حصيلة ضخمة من الحكايات النثرية القصيرة والمطلولة ، لعل من اقدمها « قصص السحرة » التى خلفها الفراعنة منذ نحو اربعة آلاف عام ، بالإضافة الى المجموعات الكثيرة الاخرى التى خلفها الهنود واليونانيون والعرب وغيرهم في الزمن القديم ، وما أسهمت به العصور الوسطى وعصر النهضة من خرافات الحيوان

الى مجموعة جيوفاني بوكاشيو المعروفة باسم «الديكاميرون» ، ومع هذا لم تتم الولادة الحقيقية لهذا الشكل الخاص من الكتابة القصصية الا في القرن الماضي بعد انتشار الصحف والدوريات المطبوعة . والثابت ايضا ان اوربا كانت اسبق من أمريكا في مضمار الصحافة المطبوعة ، وان الاخيرة عاشت في كثير من فنونها وآدابها - عالة على التراث الاوربي ، فكيف اذن ابتكرت هذا الشكل ابتكارا بلا تراث خاص يسنده ويؤدى اليه ؟!

ومن الملحوظ كذلك ان الكاتب حاول ان يقصر مهد القصة القصيرة على بلادء دون تتبع لمحاولات الاوربيين ، وخاصة محاولات موباسان في فرنسا وتشيكوف في روسيا بل ان معظم استشهاده - كما رأينا - تعتمد على الكتاب الامريكيين . ومن ثمة لم تخل آراؤه من التحيز وان كانت طريقة مركزة .

اما القصة الثانية فتتفرع من سابقتها ، وترتب عليها . اذ سلم الكاتب بان ادجار الن بو هو صاحب اليد الطولى في تأسيس الشكل العام للقصة القصيرة العصرية . والحق ان هذا الرأي الذي سبقه اليه آخرون حين خلعوا على بو لقب «ابو القصة القصيرة» ، انما يصدق على أمريكا بالدرجة الاولى . ذلك لانه في الوقت الذي كتب فيه بو نماذج ناضجة من القصة القصيرة كان الكاتب الروسى نيكولاى جوجول (١٨٥٢ - ١٨٥٩) يكتب بدوره نماذج أخرى ناضجة ، لعل اشهرها قصة المعطف التى قال عنها دوستوفسكى : « لقد انحصرتنا جميعا من معطف جوجول » . والحق كذلك ان قصص بو القصيرة التى تبلغ نحو ٧٢ قصة انما تشكل فى مجموعها نهجا خاصا فى الكتابة القصصية ليس الاول والاخير من نوعه ، ومجمله ان القصة عملية فنية تخاطب الذهن وتتركز حول تأثير معين ينوهمه الكاتب ويرمى الى خلقه فى نفس القارئ عن طريق عدد من الوسائل الفنية مثل لياقة الموضوع وتناسبه مع التأثير المطلوب احدائه وكذلك الاقتصاد فى الوقائع وتركيز الاسلوب . بل ان هذه التعاليم التى وضعها بو لم تحدث نتائج سريعة فى حينها ، وانما ظلت محدودة الفعالية ، تكاد تنحصر فيما كتبه بو نفسه .

وهكذا فالقول بان القصة القصيرة ابتكار من صنع فرد بعينه او بلد بعينه فيه الكثير من التحامل والتجنى . ذلك لان الاصح من ذلك القول بان القصة القصيرة شكل فنى تطور عبر سلسلة طويلة من التجارب الفردية والجماعية على السواء ، وكذلك عبر اطار انسانى عام .

ولو كان وليم بيدن فصل القول بعض الشيء ، وابتعد عن الشكل «النثرى» للمقال ، لسلسلة القصة القصيرة من اشاعات اللرة الخبيثة !

نوليا ولانبء

● **الفرد دوجان** الروائى الانجليزى المعروف بتخصصه فى التاريخ توفى فى الشهر الماضى عن ٦١ عاما . وهو من جبل جراهام جرين وايفيلين وو . ومن بين رواياته المعروفة : الفهود والزنايق ، احياء الشتاء ، ضمير الملك ، الفارس المدرع .. والاخيرة تدور حول الحروب الصليبية وكانت سببا فى شهرته .

● **نشر الملحق الادبى** لصحيفة « ذى اويزرفر » الانجليزية سلسلة من الفصول للروائى الامريكى الراحل هيمنجواى تحت عنوان « ذكريات باريس » .. كتبها قبل وفاته بأسلوب السيرة الذاتية ثم جمعها أرملته وأعدتها للنشر ..

وقد تناول فيها السنوات التى قضاها بباريس فى أعقاب الحرب الاولى وعلاقاته بمشاهير الكتاب فى تلك الفترة . ومن بين هذه الفصول فصل ممتع بعنوان « رحلة غريبة مع سكوت فيتزجيرالد » ، قص فيه هيمنجواى طرفا من علاقته بالكاتب الأمريكى الذى عاش مغمورا فى حياته ، وتكالبت عليه ظروف بددت استقراره النفسى ، فظل طوال حياته نهبا للوساوس والاوهام .

والرحلة الغريبة قام بها هيمنجواى مع زميله فى سيطرة الاخير ، وهى سيطرة غريبة كصاحبها .. نزع عنها غطاءها استجابة لرغبة زوجته .. وقد قطع الاثنان الرحلة بهذه السيارة المكشوفة من مدينة ليون الى باريس ، وفاجأهما المطر فى الطريق أكثر من مرة فاضطروا الى التوقف نحو عشر سنوات ، وقضيا ليلتهما بفندق صغير ، حيث خلعا ملابسهما المبتلة وانتظراها حتى جفت ، لكن سكوت ما لبث أن سيطر عليه وهم بأنه مصاب بالالتهاب الرئوى ، وأنه لا محالة هالك .. وعبثا حاول هيمنجواى أن يطمئنه .. وظل يحول التخفيف عنه بالحديث تارة ، وبالوصفات الشعبية تارة أخرى ، الى أن أفاق فى النهاية من وهمه واسترد عافيته ..

وقد أنهى هيمنجواى قصة هذه الرحلة الغريبة بقوله لزوجته اثر عودته ان الدرس الوحيد الذى تعلمه منها هو ألا يقامر قط بمصاحبة شخص لا يحبه فى رحلة !

● **احتفل الاتحاد السوفييتى** بذكرى مرور ١٢٥ عاما على ميلاد اديبه الخالد ليوتولستوى .. وقد عقدت بهذه المناسبة عدة ندوات أقيمت فيها ٤٥ محاضرة وبحثا للفيغ من نقاد وأدباء موسكو والمدن الاخرى .. كذلك احتفل بالذكرى الثوية لانشاء مدرسة تورجنيف .. وهى مدرسة أسسها بالقرب من مسقطراسه وكافح طويلا فى سبيل تاسيسها .. وتضم اليوم ٤٠٠ تلميذ .



القصص

بني

والقراء

يقدمه : ثروت أباظه

محمد شحاته عبد الرحمن شوقي

خطابك ياسيدي يفيض تعاطفاً • ولقد تأثرت باشفاقك تأثراً بالغا أشكره عليه • فليس أروح للقلب أن يجد قلباً يفهمه ويتندر خلجاته ونوازمه • أما عن قصتك ياسيدي فهي صريحة أكثر مما يحتمله الفن القصصي • والجانب الوعظي فيها واضح وضوحاً يجتنب بها عن القصة • وقد أحملت العقاب بمن لا يستحقه ، فماتت الزوجة وقد كان مجنياً عليها • ثم انك أنزلت العقاب من حيث لا يحتسب أحسدت فجعلت الزوج مصدوراً وهو في هذا غير مذنب • لو كان الزوج مثلاً قد أساء معاملته الزوجة لكنك بذلك قد جعلت العقاب ينزل على الأخ من نفس عمله • هذا الى جانب أن موضوع القصة سبق معالجته وقد كنت أرجو أن أجده في العلاج جده تحفزني على نشره •• ان أسلوبك خليق أن

حامد محمد حامد وفا

عتابك الشديد الرقيق أنا لا أستحقه يا أخي وإنما عبء العتاب يقع عليك أنت • أنت يا أخي تتعجل في القراءة والا لكنك قرأت اسمك والرد على خطابك والتعليق على قصتك في عدد إبريل وهو العدد التالي لوصول خطابك الى المجلة • اني يا أخي لا أعاتبك فلعل لهفتك على معرفة الرأي في قصتك شغلتك عن انعام القراءة •

أحمد عاصم

أسلوبك القصصي جميل والعرض فيه أصالة • وقد أعجبني أنك تعترف بأنك لم تقرأ شيئاً عن فن كتابة القصة ولكنني لا أشك أنك قرأت كثيراً من القصص • وقد تغنى قراءة القصص عن القراءة في فن القصص • قصتك فيها إنسانية رقيقة أزجيتها في خلال عرضك دون أن يرتفع بها صوتك سائس قصتك في أقرب فرصة •

ينتج لنا قصصا أكثر فنية . أرجو أن
توفق في كتابة القصة توفيقك في كتابة
هذا الأسلوب الجميل .

محمد صلفوت محمد عبده :

أبدأ بتهنئتك على حصولك على
البكالوريوس بدرجة جيد . وأشكر لك
جميل ظنك بي . ثروتك اللغوية زاخرة
ولأسلوبك جميل . لا أدري لماذا تحاول
أن تحشو قصتك ببعض الحكم الكلية ،
فإن هذا لا يتفق إطلاقا مع سلامة عرضك
وفنية العرض القصصى . أما عن
الموضوع فالفجعية فيه درامية بشكل
يجعلها أقرب إلى الافتعال حتى ليخيل
إلى أنك قتلت مبروكة وشحته معا
لتجعل مدبولى يصيح آخر الأمر بعنوان
قصتك «دنيا» . أنا واثق أنني سأنشر
لك عما قريب انتاجا أكثر عمقا في
مضمونه من قصتك دنيا .

وقد كنت أرجو أن ينضج هذا في
قصتك المسابقة وضوحا لا يجعلنى
أخذ عليها ما أخذت . وإنى أشكر على
حسن تقديرك للنقد مما يجعلنى واثقا
من المستقبل الفنى الذى ينتظرى . أما
عن قصتك «الفرج» فالصور الأسلوبية
فيها جميلة معه وإن كنت لا أدري
لماذا تعمد فى السرد إلى بعض الالفاظ
العامة التى تعرف لها - لا شك -
مقابلا فى العربية كقولك الجلبية بدلا من
الجلياب وتنطط بدلا من تقافز . أما
القصة نفسها فانا على ثقة أنك تستطيع
- أنت شخصا - أن تكتب خيرا منها
ولكننى سأنشرها قريبا على أنها صورة
أحسنتم العرض فيها . وستجد فى
هذا العدد قصة أخرى لك ولعلك بهذا
تعرف مقدار حرصنا على نشر الجيد من
الانتاج الجديد .

فخرى قعوار - الاردن :

أسلوبك جميل وطريقة عرضك فيها
واقعية . والقصة فى ذاتها تتسم
بالإنسانية . وإن كان الموضوع قديما
وليس فى العلاج تجديد كبير ولكننى
مع ذلك سأحاول نشر قصتك إن شاء
الله .

محمود محمود جاد الله :

أسرفت فى اللوم أيها الأخ . فقصه
البنات والحداث والكتكوت ليست كما
تظن . والذى قرأها هو أنا وقد أعجبت
بها ولا أعرف كاتبها حتى هذه اللحظة
التي أكتب فيها هذا الكلام . والأسلوب
الذى تنتقده أسلوب يتفق وموضوع
القصة . ومن العجيب أن بين يدي
خطابا آخر من أحد القراء يبدى إعجابه

حسن درويش العقابى - العراق :

يا سيدي كنت أرجو أن تكون
الأخطاء النحوية فى قصتك أقل من
هذا . وعهدى بأبناء العراق يحتفون
بلغة الأجداد فهي أقوى رابطة تصل بين
العرب على اختلاف أقطارهم . أما عن
القصة ذاتها فهي أيها الأخ مقال
تصدره النصيحة الصريحة وأنت
لا شك تدري أن فنية القصة تقتضى أن
نخرج بعبرة من خلال الحادثة أرجو
أن أتمكن من قراءة قصة أخرى لك تكون
عناصر القصة فيها أكثر وضوحا .

سعيد صبحى الصلفانى :

أما عن تعليقك على التعليق فقد وضع
فيه أنك على علم بأصول كتابة القصة .

بالقصة . ولكن هذا جميعه لا يمنعك
حقك في ابداء رأيك بل انى اشكرك على
أنك ابديت رأيك فى صراحة ووضوح
وأحب أن أقرأ رأيك هذا دائما .

محمد الحسينى المرسى :

بالنيابة عن كاتب البنت والحداثة
والكتكوت أشكرك على حسن رأيك كما
أشكرك عن كل الذين رضيت عن
انتاجهم من كتاب المجلة . وقد اعجبت
فعلا بتحليلك لقصة البنت والحداثة
والكتكوت . فان تحليلك هذا يدل على
أنك قارئ عميق النظرة ولا عليك ان
كنت اتفق معك فى المعانى الرمزية التى
التي تهدف اليها أولا أتفق ، فالقصة
الرمزية من شأنها الا يكون لها معنى
واحد . ومن شأن القصة الرمزية أيضا
الا يرضى عنها بعض قرائها كما فعل
محمود محمود جاد الله . أما عن قصتك
« أنت صغير » فقد اعجبت بها حقاً .
وسأشرها عما قريب .

عبد المنعم أحمد ونس :

اكرر الرجاء يا أخى أن تكتفى بإرسال
قصة واحدة . والتمس لى العذر أننى
أنا سأكتفى بالتعليق على واحدة من
قصتيك وهى « أمل تحقق » هى أولا
عبارة عن صورة سريعة ، ولعل سرعتها
لم تمنح لك أن تضيف على ملامحتها
التفاصيل الفنية التى لا بد منها لاكتمال
الصورة . وهى بلا حادثة على الإطلاق .
أعتقد أنك فى حاجه الى مزيد من
القراءة

عائشة أرناؤوط - دمشق :

أسلوبك فى غاية الجمال . وعرضك

شيق فيه أصالة فنية وأصالة عربية معا
وانك بارعة فى تحمیل الاحداث
الصغيرة معانى كبيرة وعميقة ، وتروك
اللفظية ضخمة وقدرتك فائقة على
استخدام هذه الالفاظ . وواضح أنك
بعيدة العهد بممارسة الكتابة الاصيله .
أما عن القصة فى ذاتها فانه يسعدنى أن
تقربها قريبا على صفحات هذه المجلة .

أحمد فراج العبد :

قصتك عرض ساذج لحادثة قد تتكرر
كل يوم وليس عمل القصص أن ينقل
وقائع الحياة كما هى . فانه حينئذ
يكون أشبه بمن يروى على الصحاب
حكاية تسليم وتدفع عنهم ملالة الفراغ
والصمت . القصة انعكاس الحياة على
نفس القصص يعكسها القصص مرة
ثانية الى الحياة . فاذا مرت القصة
بنفس الفنان ولم يستطع أن يضيف
عليها شيئا فأولى به ألا يقصها . لا بد
للقصص أن يقول رأيه فى الحياة من
خلال القصة التى يرويها . أما قصتك
فأنت فيما يبدو قد رويتها كما رأيتها
فهى لا سمة لها ولا معالم . أعتقد أنه
لا بد لك أن تقرأ كثيرا .

محمد عبده الانصارى :

لاشك أن محمد القرش يسعده ان
يجد منك شاهد عيان سميع قصته منذ
سنتين فى نادى القصة . أما عن
قصتك فالتأجيج الحوارية فيها تجعلها
أقرب الى المسرحية منها الى القصة . .
ولذلك أرجو أن نلتقى فى محاولة أخرى .

عبد المحسن سلامة - بيروت :

قصتك فيها من الواقعية أكثر مما

عامر الأبيض :

كنت أرجو أن أنشر قصتك ولكنهما
مباشرة أكثر مما تتحملة فنية القصة .
والواقع أنك كنت تستطيع أن تقدم
موضوعها في شكل مقال وإن خطابك
يدل على ثقافة واسعة . فانت لاشك
تدري مقدار ما تحتاجه القصة من فنية
في العرض بحيث إذا جاءت بهذه
الصراحة ابتعدت عن مفهوم القصة الذي
عرفته من خلال قراءتك . أرجو أن
أقدم اليك عما قريب عملا أكثر فنية .

فيها من الإنسانية . كم كنت أرجو أن
يجد بطل قصتك فتاة تعجب بريحه
ولا تهتم بمظهره . أنك بقصتك تقضي
على بقايا آمال تداعب قوما قست عليهم
الحياة فلم تنعم عليهم بالمظهر الجميل
ووظيفة الأديب أن يفتح مشارق الآمال
فلا يفلتها ، أسلوبك في العرض
لابأس به . وكنت خليقا أن أتغاضى عن
اخطائك النحوية لو أنك قدمت لي في
قصتك عرضا جديدا أو موضوعا
جديدا . أرجو أن نلتقى معا على عمل
لك أكثر توفيقا من قصتك هذه .

